المسلمون والبيزنطيون

فى شرقى البحر المتوسط

فيما بين القرنين ٣ - ٦ هـ / ٩ - ١٢ م

الجزء الثانى

تأليف

الدكتور عبد الحفيظ محمد علي

مدرس تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب بسوهاج — جامعة أسيوط

الطبعة الأولى : القاهرة ١٩٨٢

دار النهضة العربية

للطبع والنشر والتوزيع

المسلمون والبيزنطيون

فى شرقى البحر المتوسط

فيما بين القرنين ٣ – ٦ هـ / ٩ – ١٢ م

الجزء الثانى

تأليف

الدكتور عبد الحفيظ محمد على

مدرس تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب بسوهاج – جامعة أسيوط

الطبعة الأولى : القاهرة ١٩٨٢

دار النهضة العربية

للطبع والنشر والتوزيع

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

يسرني أن أقدم للقارىء الجزء الثاني[1] من كتاب المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجريين التاسع والثاني عشر الميلاديين .

ويتناول هذا الجزء تاريخ العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين من جهة وبين البيزنطيين والصليبيين من جهة أخرى في عهد الامبراطور حنا الثاني كومنين .

---

(١) صدر الجزء الأول من هذا الكتاب تأليف الزميل الدكتور أحمد عبد الكريم سليمان في دار النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٢



مقدمة

ترجع أهمية هذا الموضوع الى الأحداث الهامة والخطيرة التى أثرت فى تاريخ منطقة الشام وآسيا الصغرى فى عهد الامبراطور البيزنطى حنا الثانى كومنين (١١١٨ — ١١٤٣ م) . ولعل أهم أحداث هذه الفترة هو تدخل الدولة البيزنطية المباشر فى شئون الامارات الصليبية فى بلاد الشام ، وجاء هذا التدخل نتيجة صراع وتنافس وخلاف واكب العلاقات بين الدولة البيزنطية والحركة الصليبية منذ قدوم الحملة الصليبية الأولى الى الشرق .

ويمتاز عصر حنا الثانى كومنين بأن الدولة البيزنطية أحرزت فى عهده نجاحا باهرا فى الشرق عندما انتهز الامبراطور حنا النكبات التى تلاحقت على الصليبيين فى الثلاثينات من القرن الثانى عشر والتى دارت حول مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس وفى امارة أنطاكية الصليبية . ونجح الامبراطور حنا فى تثبيت بعض حقوق الدولة البيزنطية فى امارة أنطاكية وفى مملكة بيت المقدس . وأدى ذلك بطبيعة الحال الى تصدع ظاهر للهدف الصليبى فى الشرق .

يضاف الى ذلك أنه خلال عصر ذلك الامبراطور البزينطى بدأت حركة الافاقة الاسلامية عندما بدأ الزنكيون أتابكة الموصل يكونون جبهة اسلامية متحدة تزايدت قوتها يوما بعد آخر ، ولم يكن فى مقدور الدولة البنزنطية مهاجمة المسلمين فى شمال الشام ، ويرجع ذلك بصفة خاصة الى عدم وجود مساعدة من جانب الصليبيين ، ومن نتائج ذلك أن عماد الدين زنكى استرد امارة الرها سنة ١١٤٤م بعد سنة واحدة فقط من وفاة حنا الثانى كومنين .

ولهذا الموضوع أهمية خاصة بالنسبة لدراسة العلاقات بين بيزنطة

من جانب وبين المسلمين المتمثلين فى السلاجقة وأقربائهم بنى دانشمند فى آسيا الصغرى ، والخلافة الفاطمية فى مصر ، والخلافة العباسية فى العراق من ناحية أخرى •

ونظرا لطبيعة الموضوع فاننى لم ألتزم بالتسلسل الزمـنى فى هذه الدراسة وانما آثرت الالتزام بموضوعية كل فصــل ، واتخذت لنفسى منهجا موضوعيا يعالج كل فصل باعتباره موضوعا مستقلا داخل الاطار العام للبحث كوحدة متكاملة •

تطلبت دراسة هذا الموضوع الرجوع الى عدد كبير من المصادر والمراجع ، وبعض تلك المصادر لا يزال بلغته الأصلية كاللاتينيــة أو اللغة الفرنسية القديمة ، ونظرا لطبيعة الموضوع ، فقد اعتمدت على مصادر بيزنطية ولاتينية وآرمينية وسوريانية وعربية •

وعلى رأس مجموعة المصادر البيزنطيــة يأتى تيودور برودروم Theodore Prodromos ، وهو شاعر وأديب بيزنطى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى (ت ١١٦٦ م) وعرف أيضا بسام تيودور الفقير نظرا لحالة الفقر والبؤس التى كان يعيشها ، ويعتبر تيودور أشــهر شعراء البلاط البيزنطى فى القرن الثانى عشر[١] •

حظى تيودور بحماية الامبراطورين حنا كومنين ومانويل كومنين ؛ وقد سمح له مانويل فى النهاية بدخول دير مانجــان Mangan فى مدينة القسطنطينية ، حيث قضى ما تبقى من حياته راهبا فى الدير ، وكان تيودور من شعراء المناسبات وأشعاره كانت تتعلق بمناسبات الميــلاد والزواج والتتويج والنصر والموت الخاصة بالأسرة الامبراطورية ، كما تناول تيودور بعض الأحداث التى كانت تجرى فى البلاد الأجنبية ؛

---

(١) افترض بعض الباحثين أن الشعر الذى ورد باسم تيودور يشاركه فيه شاعر آخر أو شاعرين من شعراء القرن الثانى عشر بنفس الاســم : انظــر :

Kyriakis, M : Poor poets and starving literati in Twelfith century, in Byzantion p. 290 sq.

مما يضفى أهمية تاريخية خاصة على أعماله[٢] ، وترجع أهمية تيودور الى أنه شاهد عيان لأحداث عصر حنا كومنين •

أما آنا كومنين (١٠٨٣ — ١١٥٣ م) ابنة الامبراطور الكسيوس كومنين فهى أديبة ومؤرخة ، شهد لها المؤرخون المعاصرون بالمعرفة والفصاحة[٣] وقد وضعت انا كومنين مؤلفا أسمته الالكسياد[٤] The Alexid وقسمته الى خمسة عشر كتابا عبارة عن سجل كامل لتاريخ الامبراطورية البيزنطية فى الفترة من ١٠٦٩ الى ١١١٨ م وقد أكملت تاريخ زوجها نقفور[٥] بريين الذى حاول أن يضعه عن حياة الامبراطور الكسيوس كومنين ، غير أن الموت منعه من اتمام هذا التاريخ بعد أن وصل الى الكتاب الرابع[٦] • وقد استفدت من الجزء الذى كتبته المؤرخة عن الحملة الصليبية الأولى وعلاقة ألكسيوس كومنين بالصليبيين ، والقوى الاسلامية فى بلاد الشام ، والخلافة الفاطمية ، والحق أن انا كومنين قدمت لنا مادة تاريخية وافية عن علاقة الكسيوس كومنين بسلاجقة الروم فى أواخر أيامه مما لم يرد فى غيرها من المصادر •

وقد ذكرت انا كومنين أن الاتفاقية التى عقدها الكسيوس كومنين

---

(٢) طبعت بعض أعمال تيودور برودووم فى بازيليا عام ١٥٣٦ م وأيضا طبعت له بعض الأعمال فى جنيف مع ترجمة لاتينية قام بها حنا ريبسوس •
كما طبعت له مجموعة أخرى فى باريس عام ١٦٢٥ م ، وله خطب وأعمال غير مطبوعة ، انظر :

Moravcsik. C : Byzantinoturcica I, Die byz abtinis chen Quellen der Geschichte der Turkervolker pp. 326 - 27.

(٣) انظر :

Cinnamos : Epitome historiarum in corpus introduction p. 21.

(٤) انظر :

Anna Comnena : The Alexiad, Trans, E. A. S. London, 1967, Anne Comnene Alexiade, tr, par Bernard leib, Paris, 3 tomes, 1943 - 45.

وتمتاز الترجمة الفرنسية بالحواشى والهوامش القيمة •

(5) Cinnamos : op. cit., introduction p. 21.

(٦) تمت ترجمة كتب نقفور بريين الى اللغة الفرنسية الحديثة • انظر :
Byzantion, t XXIII 1953.

مع سلاجقة الروم فى أواخر أيامه المقصود منها استمرار السلام بعد وفاة الكسيوس كومنين ، غير أن من أتوا بعد والدها غيروا وبدلوا فتحول كل شىء الى فوضى(٧) • وفى الواقع هذه عبارة هجاء فى حـــق شقيقها حنا كومنين ، وانا كومنين تحاول طمس حقيقة تاريخية فالثابت أن سلاجقة الروم هم الذين خرقوا اتفاقية السلام بعد موت الكسيوس كومنين ، والسرد الذى اختتمت به فصلها الأخير عن حياة الكسيوس كومنين ، سرد ممزق وبه كثير من المغالطات التاريخية ، وبمقارنة ذلك معما ذكره الراهب زوناراس الذى كان على قيد الحياة فى ذلك الوقت والذى أيده نيقيتا كونياتس ، يتبين لنا مدى تورط انا كومنين فى اخفاء الحقائق التاريخية •

يلى ذلك ما كتبه الراهب حنا زونا راس John Zonaras الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى ، وكان يشـــغل وظيفة رئيس البلاط الامبراطورى فى عصر الكســـيوس كومنين ، ثم اعتزل الوظيفة فيما بعد ، وعاش راهبا فى احدى جزر بحر مرمرة • ومؤلفه مختصر التاريخ تناول الفترة من بدء الخليقة حتى عام ١١١٨ م فى ثلاثة أجزاء(*) •

ويعتبر زونا راس من أشهر المؤرخين البيزنطيين الذين نالـــوا شهرة عالمية وقد بذل جهدا كبيرا فى جمع مادته التاريخية ولم يأخذ من المصادر ، الا ما يثق فى صحته ، وقد أخذ من بعض المصادر التى تعتبر مفقودة فى الوقت الحاضر •

ويتمتع تاريخ زونا راس بالثقة كما امتاز بالموضوعية ، وقد كان زوناراس يعرف الكثير عما يجرى فى البلاط الامبراطورى وذلك بحكم وظيفته ، وترك لنا تفاصيل وافية عن أفراد أسرة الكســـيوس كومنين وأولاده ومؤامرات ودسائس الامبراطورة ايرين وأنا كومنين • ولم

---

(7) Anna Comnena : The Alexiad pp. 370 - 71.

(*) Zonaras : Historiarum in C. S. H. B. Bonn 1841 - 1897.

يهتم زوناراس كثيرا بحروب الكسيوس فى أواخر أيامه مع سلاجقة الروم اذ أورد تلك الحوادث مختصرة ، على عكس المؤرخة انا كومنين التى أسهبت فى تفاصيل تلك الحروب ، وكانت ترمى من وراء ذلك تمجيد والدها ، وقد استفدت من تاريخ زوناراس فى المقارنة والمقابلة مع ماكتبته أنا كومنين وخاصة فى فترة مرض الكسيوس وهو على فراشه يعانى من سكرات الموت وقد امتاز سرد زوناراس بالموضوعية وكشف لنا عن مغالطات تاريخية متعمدة من المؤرخة أنا كومنين لطمس الحقائق، فهى تصور أمها بالملاك الطاهر وتشوه سمعة حنا كومنين •

ومن المصادر البيزنطية الهامة التى رجعت اليها واستفدت منها كثيرا مؤلف المؤرخ حنا كيناموس Johon Cinnamos (١١٤٤—١٢٠٣م) وقد شغل وظيفة السكرتير الخاص للامبراطور مانويل الأول كومنين (١١٤٣ — ١١٨٠ م) والراجح أنه شغل منصبا رسميا لدى خليفة مانويل كومنين ، وقد ألف كيناموس كتابا فى التاريخ أسماه المختصر عكف على كتابته فى الفترة من ١١٨٠ حتى ١١٨٣ م[٨] ، وقد غطى تاريخ كيناموس الفترة من ١١١٨ حتى ١١٧٦ م ، ويعتبر كينا موس شاهد عيان للفترة من ١١٤٤ — ١١٧٦ م حيث توافرت له الوثائق الرسمية وشهد المعارك الحربية فى عهد مانويل الأول كومنين ، وقد قسم كتابه الى سبعة فصول خصص الفصل الأول عن أعمال الامبراطور حنا كومنين ، ويمتاز كيناموس بالموضوعية عند تناوله للأحداث والدقة والتفكير العلمى ، وقد اعتمدت على مؤلف كيناموس فى أغلب فصول البحث ، ومدنا بمعلومات قيمة عن المشكلة النورماندية فى أنطاكية وحملتى حنا كومنين على قيليقية وبلاد الشام وحروب حنا كومنين ضد سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى وعلاقة حنا كومنن بالأرمن •

ومن المصادر البيزنطية التى أمدتنا بمعلومات قيمة مؤلف المؤرخ

---

(8) Cinnamos : Epitome Historiorum in C. S. H. B. Bonn 1835.

الشهير نيقيتا كونياتس Nicetas Choniates (١١٥٠ — ١٢١٣ م)[٩] وقد تلقى تعليمه فى مدينة القسطنطينية تحت رعاية أخيه الأكبر الأديب ميخائيل كونياتس Michael Choniates ، وقد تقلد نيقيتا عدة مناصب حكومية ، وعمل سكرتيرا خاصا للامبراطور مانويل الأول كومنين ، وحاكما لمدينة فيليبوليس Philippolis فى عام ١١٨٩ م فى عهد الامبراطور إسحاق انجلوس ، ثم رئيسا للوزراء قبل عام ١٢٠٤ م ، وعندما سقطت القسطنطينية فى أيدى الصليبيين فى عام ١٢٠٤ م لجأ نيقيتا الى مدينة نيقية بآسيا الصغرى وتولى وظيفة كبيرة فى حكومة الامبراطور تيودور لاسكاريس Theodor Lascaris فى المنفى .

وقام نيقيتا بكتابة هذا التاريخ بعد سقوط القسطنطينية فى أيدى الصليبيين سنة ١٢٠٤ م وشمل كتابه الفترة من ١١١٨ م — ١٢٠٦ م ، ومكنه مركزه الوظيفى من التعامل مع كثير من المصادر والوثائق التى استخدمها بذكاء وموضوعية ، علما بأنه لم يكن لديه دائما النزعة لنقد المادة العلمية ، وقسم كتابه الى عشرة فصول خصص منها الفصل الأول للحديث عن عصر حنا كومنين .

ويمتاز مؤلف نيقيتا بالنسبة لهذه الدراسة فى أنه تعرض لبعض الموضوعات فى عهد حنا كومنين بتفاصيل أكثر من زميله كيناموس ، مثال ذلك حصار شيزر عام ١١٣٨ م ، فقد أسهب فى وصف الخطط الحربية والمعارك ، وكان موضوعيا فى ذكر الأحداث وأيضا عند تعرضه للحديث عن حصار حنا لجزر بحيرة بسجوسا فى عام ١١٤١ م فى آسيا الصغرى أتى بتفاصيل دقيقة عن الخطط الحربية التى وضعها حنا كومنين وسير المعركة .

وعلى رأس مجموعة المصادر اللاتينية يأتى كتاب المؤرخ المجهول :

Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum.

ويعتبر من المصادر المعاصرة للحملة الصليبية الأولى من الفترة

(9) Nicetas, Choniates : Historia, in C. S. H. B. Bonn 1835.

١٠٩٥ ـــ ١٠٩٩ م ، وكان مفيدا للبحث بالنسبة لعلاقة البيزنطيين بالصليبيين حتى فتح مدينة أنطاكية[١٠] ويبدأ الكتاب بحوادث مؤتمر كلير مونت فى عام ١٠٩٥ م وينتهى بموقعة عسقلان فى عام ١٠٩٩ م ، والكتاب مقسم الى عشرة كتب ، ويبدو أن الكتب التسع الأولى كتبت قبل أن يغادر المؤرخ أنطاكية فى عام ١٠٩٨ م ، أما الكتاب العاشر وهو أطولها جميعا فقد تم تأليفه فى بيت المقدس حوالى عام ١١٠١ م بعد معركة عسقلان ، ومن معرض حديث الكاتب تبين لنا أنه من افصال بوهيمند وأنه ايطالى الجنسية ومن مدينة ابوليا[١١] .

وبمقارنة النصوص التى وردت فى مؤلف انا كومنين بما جاء فى هذا الكتاب يتبين لنا مدى التناقض بين المؤرخة البيزنطية والمؤرخ اللاتينى مثال ذلك بينما تقرر أنا كومنين اعتذار الكسيوس عن تلبية أى طلب تقدم به بوهيمند ، ويقرر المؤرخ المجهول أن الكسيوس وعد بوهيمند أن يعطيه أراضى فوق أنطاكية مما حدا ببعض المؤرخين المحدثين أن يقرر بأن هناك نصوصا أقحمت ودست فى النص الأصلى فيما بعد لتبرير مطالب بوهميند فى نطاكية[١٢] . وقد تميز كتاب المؤرخ المجهول باظهار العداوة والكراهية نحو البيزنطيين والتحيز لجانب الصليبيين .

والمؤرخ الآخر الذى يعتبر شاهد عيان للحملة الصليبية الأولى هو ريموند أجيل من رجال الكنيسة ، والذى رافق كونت تولوز فى الحملة ، وكان أحد أفراد حاشيته المقربين ، وأهم أعمال ريموند الذى استفاد منها الباحث مؤلفه تاريخ الفرنج الذين استولوا على بيت المقدس[١٣] .

---

(١٠) انظر الترجمة العربية للدكتور حسن حبشى بعنوان أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، وأيضا الترجمة الانجليزية بعنوان :

The deeds of the Franks and the other Pilgrims to Jerusalem (ed by Rosalind Hill) London 1962.

(11) Ibid p. 2 sq.

(12) Ibid p. 12.

(١٣) انظر :

Raimond d. Aguilers : Historia francorum qui ceperunt Jerusalem in R. H. C. occ-t. 3.

ويمكن تقسيم مؤلف ريموند أجيل الى قسمين الأول ما كتبه المؤرخ عن العلاقات البيزنطية الصليبية حتى فتح مدينة أنطاكية ، وفى هذا القسم أظهر المؤرخ عداوة واضحة نحو الكسيوس كومنين ، وفى هذا الجـزء نلمس مدى شكوى المؤرخ ضد الكسيوس كومنين • أما القسم الثانى الذى يبدأ من فتح مدينة أنطاكية ، نجد فيه حديث ريموند أجيل أكثـر اعتدالا بالنسبة للبيزنطيين حيث يذكر الوقائع بدقة بدون تحيز ، وامتاز ريموند بالمعلومات الغزيرة نظرا لمكانته لدى كونت تولوز ، ولقد عرفنا الكثير عن طريقه بعد استيلاء الصليبيين على مدينة أنطاكية ، وريموند هو المصدر الوحيد الذى أخبرنا بالبعثة التى أرسلها الكسيوس كومنين الى الصليبيين فى عام ١٠٩٩ م •

وآخر شاهد عيان للحملة الصليبية الأولى هو المؤرخ فولشر قسيس شارتر الذى حمل الصليب بعد مؤتمر كلير مونت ، ورافق الجيـوش الصليبية مع جيش روبرت النورماندى وستيفن بلوا حتى مدينة مرعش ، ثم سار مع بلدوين دى بوايون الى مدينة الرها ، ومؤلف فولشر هو تاريخ الحملة الى بيت المقدس(١٤) ، ونجد فيه سردا للحوادث من عام ١٠٩٥ حتى ١١٢٧ •

ويعتبر فولشر أكثر انصافا للبيزنطيين منذ اللحظة الأولى ، وقد فهم ظروف الامبراطور الكسيوس كومنين والصليبيين على حقيقتها ، وقد اعترف بأن الصليبيين ما كانوا ليستطيعوا عمل أى شىء لولا مساعدة الامبراطور لهم ، فهو لم يتعصب لبنى جنسه ولم يحمل حقدا للبيزنطيين ، وقد أعطانا صورة اتسمت بالاعتدال بالنسبة للعلاقات البيزنطية الصليبية فى هذه الفترة •

ومن المصادر اللاتينية التى رجعت اليها مؤلف المؤرخ اردريقوس فيتاليس Ordric Vitalis وهو من رجال الكنيسة ، وكتابه التـاريخ

(14) Fulcher of Charters : A History of the expedition to Jerusalen 1095 - 1127.

الكنسى[١٥] • وقد عالج الفترة التى تناولها البحث • ومع أن أوردريك اعتمد الى حـــد كبير على فولشر وبلدريك رئيس أساقفة دول الا أنه أضاف الى مؤلفه معلومات لم ترد فى المصادر المعاصرة مما يؤكد أنه اعتمد على مصادر شفوية من أناس عاشوا الأحداث ، ومع التسليم بأن بعض روايات اردريقوس تجنح الى المبالغة ويغلب عليها أحيانا الطابع الأسطورى الا أن مؤلفه احتوى على حقائق لا يمكن أن يتسرب اليهـــا الشـــك[١٦] • ويقول أوردريك بمناســـبة انتهاء كتابة الجزء الخـــاص بأخبار الصليبيين (هذا ما علمته عن شئون النصارى المنفيين فى الشرق من أجل المسيح يسوع وقد رويته ببساطة كما سمعته من الذين عاشوا الأحداث ودونته بخطى باخلاص لفائدة الأجيال القادمة)[١٧] •

وفى ختام المجموعة الخاصة بالمؤرخين اللاتين يأتى المؤرخ ذائع الصيت وليم الصورى[١٨] الذى ولد فى بيت المقدس عام ١١٣٠ م ربما من والدين ايطاليين ، وكان يجيد اللغتين العربية واليونانية بجانب اللغة اللاتينية وهى لغته الأصلية ، وقد درس وليم الصورى الفنون واللاهوت فى باريس فى المدة من ١١٦١ — ١١٦٥ م وشغل وظيفة مستشار مملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الرابع ، ثم أسند اليه فى عام ١١٧٥ م وظيفة رئيس أساقفة صور بالاضافة الى وظيفته الأصلية ، ويحتـــوى تاريخ وليم الصورى[١٩] على تاريخ مملكة بيت المقـــدس وبدأه من ١٠٩٤ م وانتهى عند عام ١١٨٤ م ، وقام بكتابة ذلك التاريخ بناء على

---

(15) Patrologiae Latinae cursus completus Ordricusvitalis, Historia Ecclesiastica in Patrologiae Latinse. t. 188.

(16) Cahen. C. : La syrie du Nord p. 27.

(17) Ordric Vitalis : op. cit., p. 832.

(١٨) عن حياة وليم الصورى : انظر :

Davis, R. : Relations between east and west in Middle Ages p. 64 sq.

السيد الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٠١ وما بعدها .

(19) William of Tyre : A History of deeds done beyond the sea, vols English trans by Bacbcock, E and Krey. A London 1944.

تكليف من الملك عمورى ملك بيت المقدس ، وجمع مادتهالعلمية من مصادر أصلية حتى عام ١١٦٧ م أما بعد ذلك فان وليم الصورى يعتبر معاصرا ومعايشا للاحداث بحكم مركزه ، وقد كان مؤلف وليم الصورى مفيـدا للبحث خاصة فى موضوع علاقة الصليبيين بالبيزنطيين ، فعندما يتناول تلك العلاقات يبدو وليم الصورى قمة فى الموضوعية والاعتدال فهو يذكر الحقيقة المجردة ، مثال ذلك موقف الصليبيين من الامبراطور حنا كومنين أمام شيزر، فهو لا ينكر أخطاء ريموند وجوسلين فقط بل يحمل الصليبيين مسئولية فشل الحصار ، وفى نفس الوقت يشيد بالجهود الجبارة التى بذلها الامبراطور البيزنطى ويؤخذ على وليم الصورى عدم ذكر تواريخ الأحداث فى بعض أجزاء تاريخه •

ويحتل مؤلف ميخائيل السوريانى مكانة ممتـازة بين مجمـوعة المصادر الشرقية ، وميخائيل السوريانى كان يشغل وظيفة بطرك اليعاقبة فى مدينة أنطاكية فى الفترة من ١١٦٦ حتى ١١٩٩ م وتاريخه الشامل تناول الفترة منذ ابتداء العالم حتى عام ١١٩٥ م ، وتاريخ ميخـائيل السوريانى يمكن الاعتماد عليه لاعتداله وموضوعيته[٢٠] • وقد أمدنا بمعلومات قيمة فى كثير من جوانب البحث وخاصة عن علاقة البيزنطيين بالأرمن ، وقد كان على دراية كبيرة بشئون الكنيسة وكتب باسـهاب عنها ، وميخائيل السوريانى يعترف صراحة بالمعاملة الطيبة التى حظى بها المسيحيون من قبل الحكام المسلمين ، غير أن ميخائيل السوريانى وقع فى بعض الأخطاء مثال ذلك أنه ذكر أن سليمان بن قتلمش قتـل فى مدينة قونية فى حين أن الثابت أنه قتل فى بلاد الشام فى المعركة التى دارت بينه وبين تتش أمير حلب •

ومن المصادر الشرقية التى استعنت بها مؤلف متى الرهاوى[٢١] • وليس معروف لدينا تاريخ ميلاد متى الرهاوى ، وقد بدأ تاريخه فى عام

(20) Chronique de Michel le Syrien patriarche Jacobite d, Antioche, Editée pour la premiere fois et traduite en francais par chabot. T. : t. 3 Paris 1905.

(21) Chroni que de Matthieu d, Edesse, dans R. H. C. Doc Arm t. 1.

٩٥٢ م ، ويبدو أنه مات بعد عام ١١٣٦ م بقليل حيث توقف عن الكتابة في هذا التاريخ ويعتبر جريجوار القس مكملا لتاريخ متى حيث انتهى بتاريخه عند حوادث عام ١١٦٢ م .

أما المصادر العربية فأهمها ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى[٢٢] ، (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ويعتبر من الكتب الأساسية فى تاريخ بلاد الشام فى فترة الدراسة ، وقد أظهر ابن القلانسى تحيزا واضحا للاسرة الحاكمة بدمشق ، واستفاد الباحث بهذا الكتاب فى بعض جوانب البحث وخاصة عند الحديث عن بداية الجهاد ضد الصليبيين .

والى جانب ذيل تاريخ دمشق يوجد كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ[٢٣] (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) وقد دونه أسامة فى شيخوخته على شكل مذكرات دون مراعاة الترتيب الزمنى للاحداث ، وقد اعتمدت عليه عند الحديث عن علاقة مملكة بيت المقدس بدمشق والدور الذى لعبه معين الدين أنر حاكم دمشق ضد عماد الدين زنكى وتحالفه مع الملك فولك ، ويعتبر أسامة شاهد عيان لتلك الأحداث .

أما العظيمى (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م تقريبا) ويعتبر كتابه مهما بالنسبة لتاريخ شمال الشام ، والذى وصلنا هو مختصر تاريخه العام الذى كتبه لعماد الدين زنكى عام ٥٣٨ هـ (١١٤٣ — ١١٤٤ م) وقد استفدت به فى بعض أجزاء البحث .

---

(٢٢) هو أبويعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى العميد ابن القلانسى ولد بدمشق عام ٤٦٥ هـ/١٠٧٣ م وجمع تاريخ دمشق وسماه الذيل ، وهو ذيل لتاريخ هلال الصابى صاحب تاريخ الوزراء اشتمل على تاريخ دمشق وغيرها من سنة وفاة هلال الصابى فى عام ٤٤٨ هـ الى وفاة المؤلف الذى توفى فى دمشق عام ٥٥٥ هـ ولمزيد من التفاصيل : انظر : سركيس معجم المطبوعات العربية جـ ١ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

Cahen. C. : op. cit., pp. 39 - 40.

(٢٣) هو أبو المظفر اسامة بن مرشد بن على مقلد بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى ، ولد عام ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م . انظر ابن خلكان وفيات أعيان جـ ١ ص ١٩٥ — ١٩٩ احسان عباس .

Cahen. C. : op. cit., pp. 45 - 46.

ومن المصادر العربية التى رجعت اليها كتـاب ابن الاثير[٢٤] ، (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤ م) الكامل فى التاريخ والذى أفدت من وصـفه للحرب النفسية التى شنها عماد الدين زنكى على البيزنطيين والصليبيين أثناء حصارهم لشيزر ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) ٠

والى جانب ابن الاثير يوجد كتاب زبدة الحلب فى تاريخ حلب لابن العديم (٦٦٠ هـ / ١١٦٢ م) ولم يقتصر على تاريخ حلب وحدها بل شمل تاريخ الشام منذ العصور الأولى وحتى منتصف القرن السابع الهجرى ، ويعتبر من المصادر الهامة لدراسة تاريخ شمال الشام ، وأمدنا بمعلومات قيمة فى بعض جوانب البحث ٠

وفى ختام هذه المقدمة لا يسعنى الا أن أتقدم بالشكر الى استاذى الأول الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور وأسـتاذى الفاضـل الاستاذ الدكتور محمد محمد أمين استاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة الذى أتشرف باشرافه على هذه الرسالة ، والى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة الذى أشرف على هذا البحث فى بدايته وساعدنى فى اختيار موضوعه ٠

ولا يفوتنى أن أتقدم بشكرى الى كل من ساعدنى وعاوننى فى مرحلة اعداد هذا الكتاب ، وبخاصـة العاملين بمراكز البحث العلمى والمكتبات ٠

وبعد فأرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى اعداد هذا البحث ٠

---

(٢٤) هو ابو الحسن على بن أبى الكرم الملقب بعز الدين والمعـروف بابن الأثير ولد عام ٥٥٥هـ / ١١٦١ م بجزيرة ابن عمر توفى بالموصل فى عام ٦٣٠ هـ/١٢٣٤ م ، ومؤلفه الكامل فى التاريخ بدأه من أول الزمـان وانتهى الى ٦٢٨ هـ ، ومن مؤلفاته أيضا تاريخ الدولة الاتابكية بالموصل ٠
انظر : ابن خلكان وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٣٨ وسركيس معجـم المطبوعات العربية جـ ١ ص ٣٦—٣٧ ٠

الفصل الأول

الدولة البيزنطية وجيرانها فى الشرق
قبيل عصر حنا الثانى كومنين

أحوال الدولة البيزنطية أواخر عصر الكسيوس كومنين — مدى قوة السلاجقة فى آسيا الصغرى — الدولة البيزنطية والمشكلة النورماندية فى أنطاكية — تكوين الجبهة الاسلامية المتحدة فى أعالى بلاد الشام — الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية فى بداية القرن الثانى عشر — تولية حنا كومنين عرش بيزنطة .



عندما وصل الكسيوس كومنين الى العرش البيزنطى كانت الدولة قد تدهورت أحوالها الاقتصادية والسياسية والحربية ، بسبب الصراع الذى نشب بين الطبقة الأرستقراطية من أرباب الاقطاعات الكبيرة فى الولايات والطبقة البيروقراطية التى تكونت من كبـار الموظفين فى العاصمة[1] كما هبت الأخطار على الامبراطورية من كل ناحية[2] بسبب ضعف الأباطرة السابقين ، واستولى الأتراك على المناطق الشرقية منذ عام ١٠٧٨ م ومن بينها مدينة نيقيـة العظيمة[3] ، كما اكتسـح البانجاك[4] البلدان الواقعة جنوب الدانوب حوالى عام ١٠٨١ م ، واجتاح السلاجقة آسيا الصغرى عام ١٠٨٢ م ، وسيطر النورمان[5] على جنوب ايطاليا حوالى عام ١٠٨٣ م وهكذا فقـدت الامبراطورية

---

(١) انظر تفاصيل الصراع بين الطبقتين :

Psellus : The Chronography of Psellus p. 210 - sq.

(2) Anna Comnena : The Alexiad p. 380.

(3) Nicephri Gregoras : Histariarum Extrait in R. H. Grecs. p. 519.

Tabbot. T. : The Seljuks in Asia Minor pp. 45 - 46.

(٤) البانجاك : قبائل رعوية من أصل تركى كانت تعيش فى منطقـة الدانوب وتهدد حدود الامبراطورية البيزنطية ، واشتهرت تلك القبـائل بتجارة جلود الحيوانات واستطاع حنا كومنين القضاء عليها نهائيا عـام ١١٢٢ م. انظر : عمر كمال : الامبراطورية البيزنطية ص ١٢٨-١٢٩ .

Vryonis, S. : The Decline of the Medieval Hellenism p. 20.

(٥) استقر النورمان فى غرب فرنسا ثم نزحوا الى جنوب ايطاليا فى منتصف القرن الحادى عشر ، وفى عـام ١٠٥٩ م ارغموا البـابوية على الاعتراف بهم ، وفى عام ١٠٧١ م استولوا على مدينـة بارى وطـردوا البيزنطيين من شبه الجزيرة . انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور . تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ج ١ ص ٢٩٦ وما بعدها .

أجزاء كبيرة من حدودها الأوربية والآسيوية(٦) .

بذل الكسيوس كومنين — الذى يعتبر وصوله الى العرش عام ١٠٨١ م انتصارا للجيش وكبار الاقطاعنين — جهدا كبيرا لاعادة بناء االدولة ، ولكن البناء الذى أقامه الكسيوس كومنين كان سطحيا وظاهريا(٧) ، ولم يكن حقيقيا لأنه لم يبن على أساس سليم(٨) ، وذلك يفسر لنا ما تعرضت له الدولة من ثورات وأزمات أواخر عصر الكسيوس كومنين .

احتاج الكسيوس كومنين لجيش قوى فى البر والبحر لمواجهة أعداء الامبراطورية ، واعتمد فى تكوين جيشه أساسا على عناصر أجنبية مرتزقة(٩) . ولذا أصبح الأمبراطور فى حاجة شديدة الى المال للصرف على تلك الجيوش ، ومن أجل ذلك أدخل الكسيوس فى القرن الثانى عشر تعديلا على نظام الاقطاع العسكرى وأنشأ نظام البرونيا Pronoia (١٠) .

(6) — Chroni que de Michel le Syrien pp. 179 - 80, t. 3.
— Ostrogorsky. History of the Byzantine state p. 318.
— Kolias, G. : Le motif et les Raisons de L, invasion de Robert Guiscarde en Territoire Byzantine pp. 424 - 25.
— Dielh. C. : History of the Byzantine empire pp. 116 - 17.

(٧) دمر سلاجقة الروم آسيا الصغرى اقتصاديا واجتماعيا ، وهى المورد الرئيسى الذى كانت تعتمد عليه الدولة البيزنطية عسكريا واقتصاديا . انظر : Vryonis, s op. cit., p. 161.

(8) Ahrweiler : Byzance et mer p. 211, ostrogorsky op. cit., p. 316.

(9) Nicephrus, Bryenus : p. 130 in Corpus.

(١٠) نظام البرونويا غالبا ما يكون أراض زراعية ، وقد يكون نهرا أو حق صيد الأسماك فى مياه بعينها ، وتعطى لمدة محدودة أو مدى الحياة ولم يكن وراثيا ، وكان الرجال الذين يحصلون على هذه الاقطاعات لهم حق جباية الضرائب بشرط أن يقدموا للدولة عددا معينا من الفرسان وقت الحرب بكامل معداتهم . انظر :
Charanis. p. The Monastic properties p. 87 - sq. Ahrwieler op. cit., p. 214 sq. Ostrogorsky. G. :pour Histoire. de 1. immunite A Byzance pp. 206 - 207.

اسدرستم : الروم ج ٢ ص ١٣٤ .

ووجد الكسيوس خزينة الدولة خاوية تماما حتى أنه اضطر لبيع مقتنيات البلاط الامبراطورى[١١] ، كما لجأ الى مصادرة بعض أموال الكنيسة والأديرة ، وكبار الملاك من خصومه[١٢] .

كذلك عمل الكسيوس كومنين على انشاء طائفة جديدة من الرجال تكون دعامة قوية لدولته ، فقام بتوزيع المناصب الكبرى على أفــراد عائلته وأقربائه[١٣] ، وأصدقاء أسرته ، ممن يثق فيهم ويأتمنهم على القيام بشئون الادارة والدفاع فى الامبراطورية ، ووزع الأراضى التى صادرها على هؤلاء الأقارب والأصدقاء ، وبذلك أحاط نفسه بطائفــة جديدة من الارستقراطية والبيروقراطية تدين له بالولاء[١٤] . ثم كون مجلسا خاصا من أصحاب الألقاب الرفيعة ، وكبار الموظفين من عسكريين ومدنيين ، وبذلك فقد من بقى من أعضاء اسلناتو والطبقة الارستقراطية القديمة ما كان لهم من نفوذ وسلطان ولذلك كثرت المؤامرات[١٥] .

كان الكســـيوس كومنين يعرف تماما أن الأوضاع الداخلية غــير مستقرة فى دولته اقتصاديا وعسكريا واجتماعيا ، ولذلك نــراه دائما يتحاشى الدخول فى حروب هجومية ، واذا اضطر الى الحرب حاول أولا أن يكسبها عن طريق الحيلة والخديعة ، وكان دائما يسعى الى الســـلام[١٦] .

---

(11) Nicephri. Gregoras : opè cit., p. 519.

(١٢) يعتبر ذلك أول قرار من نوعه يتخذه امبراطور بيزنطى بتجريد الكنيسة من بعض أملاكها ، ولم يكن الكسيوس يكن أى عداء للكنيسة ولكن حاجته الشديدة الى المال دفعته الى اتخاذ ذلك القرار . انظر :
Charanis. p. : op. cit., p. 62 - 70, 111.

(13) Zonaras. J. : Epitome historiarum p. 733 in Corpus.

(١٤) أسد رستم : الروم ص ٢ ص ١٣٤ .
Charanis. P. : op. cit., p. 70.

(١٥) أسد رستم : المرجع السابق ص ١٣٤ .

(16) Anna Comnena : op. cit., pp. 310, 332.

وبينما كانت الامبراطورية تعانى من الأخطار الخارجية نسمع عن حدوث اضطرابات وتمرد بين أفراد الجيش البيزنطى ، ففى حوالى عام ١١٠٣ م أراد الكسيوس كونمين أن يحمى حدود الامبراطورية من نورمان أنطاكية ، ثم يخطط بهدف الوصول الى المدينـة المذكورة . فأرسل حملة برية بقيادة بوتميتس Butumitus واختار له نخبة ممتازة من القواد ذوى الخبرة والثقة ، منهم القـائدان بارداس Bardas وميخائيل Michael وبمجرد أن وصلت الحملة الى مدينة اضاليا فى آسيا الصغرى رفض بارداس وميخائيل ومعهم آخرون تنفيذ أوامر بوتميتس الأمر الذى أدى الى فشل الحملة ، ولجأ المتمـردون الى قبرص حيث تم القبض عليهم هناك وأرسلوا الى القسطنطينية[١٧] .

وفى الفترة ما بين ١١٠٥ — ١١٠٧ م وبينما كان بوهيمند أمـير أنطاكية يستعد للهجوم على أملاك الامبراطورية البيزنطية التى تقـع على شواطىء الادرياتيك ، نشـبت ثورة ضد الكسيوس بقيـادة جريجـورى تارونيتيس Gregory Taronites[١٨] دوق طرابيزون بآسيا الصغرى ، وقد راسله الامبراطور طالبا منه أن يكف عن تلك الثورة ويعود الى القسطنطينية ، وأنه سوف يعفو عنه ، غـير أن جريجورى أرسل الى الكسيوس خطابا يهاجم فيه بعض أعضـاء السناتو والجيش ، وحياة الامبراطور الخاصة مع أسرته[١٩] . ومما

---

(17) Anna Comnena : op. cit., pp. 290 - 91.

(١٨) كان جريجورى من كبار النبلاء البيزنطيين وقد شك الكسـيوس فى اخلاصه وأبعده عن القسطنطينية وعينه حاكما لمدينة طرابيزون ، ونظر جريجورى الى هذا التعيين على أنه اهدارا لمكانته الرفيعة وبمجرد وصوله الى طرابيزون أعلن الثورة ضد الكسيوس واعتبره مغتصبا للعرش وغير كفء لادارة الامبراطورية . انظر :
Anna Comnena op. cit., p. 315.

(19) Anna Comnena : op. cit., p. 316.

يدل على خطـورة تلك الثـورة وأهمية شـخص جريجورى[٢٠] أن الامبراطور حاول مرة أخرى أن يكسبه الى جانبه ، فأرسل اليه أحـد القادة من أقاربه حتى يكون له تأثيرا عليه لكى ينصحه أولا للعدول عن ثورته وفى حالة الرفض يستخدم ضده القوة ، وعندما سمع جريجورى بوصول أحد أقاربه تحصن ، وحاول الاتصال بأمراء بنى دانشـمند لمساعدته وعندئذ حاصره الجيش البيزنطى برا وبحرا وتم القبض عليه وارساله الى القسطنطينية[٢١] .

اكتشف الكسـيوس كومنين فى نفس الفتـرة التى قام فيهـا جريجورى بالثورة فى طرابيزون مؤامرة كبرى لقلب نظام الحكم فى مدينة القسطنطينية[٢٢] ، حيث انتهزت مجموعة من أبناء الأسر النبيلة الصعوبات التى أثارها بوهيمند ضد الامبراطـور البيزنطى ، وأرادت الوصول الى الحكم ، وكان على رأس المتآمرين أربعة اخوة من أسرة انمادس Anemades وأحد الأثرياء البارزين فى السناتو يدعى سلمون Solomon ، وكان قد رشح فى حالة نجاح المؤامرة لمنصب الامبراطور، وتورط أيضا فى تلك المؤامرة سكلروس Sclerus واكسروس Xerus الذى كان يشغل منصب محافظ القسطنطينية سابقا ، ولجأ الكسيوس

---

(٢١) أودع جريجورى السجن وأمر الكسيوس أن يعامل معاملة حسنة اذ ربما تدفعه تلك المعاملة عن العدول عن أفكاره ضد نظام الحكم ، ولمـا استمر فى عدائه للحكم وهو فى السجن ذلك بأنه كان يعلن دائما أمـام حرس السجن واصدقائه من الزوار بأن الكسيوس وصل الى العرش عن طريق الاغتصاب وأنه غير قادر على ادارة الامبراطورية ، فأرسـل له الامبراطور نقفور بريين زوج الأميرة أنا كومنين حيث كانت تربطه صداقة بجريجورى فى الماضى ، ونجح فى مهمته ومن ثم خرج جريجورى من السجن بعد عفو الامبراطور . أنظر :

Anna Comnena : op. cit. p. 316.

(21) Lec cit.

(٢٢) لا يوجد شىء أو ركن لم يأت منه اضطراب أو اثارة ضد الامبراطور ففى الداخل ساد وذاع السخط والنفور وفى الخارج لم تتوقف الثـورات والفتن مطلقا .

Anna Comnena, op. cit., p. 316.

الى استخدام القسوة ضد المتآمرين وبينما هم فى الطريق الى سمل أعينهم تدخلت الامبراطورة ايرين لتخفيف الحكم وقد استجاب لها الامبراطور[٢٣] .

وفى الوقت الذى قرر فيه الامبراطور الكسيوس ترك بيزنطة لملاقاة بوهيمند النورمانى الذى ضرب الحصار حول مدينة دورازو ، كان يعلم علم اليقين أن الأوضاع الداخلية غير مستقرة وأن هناك تذمرا ضده[٢٤] . فبينما كان الامبراطور وبصحبته الامبراطورة معسكرين فى بسيليلوس Psyllus ، وهم فى طريقهم الى دورازو ، كانت هناك مؤامرة أحيكت بمعرفة أحد النبلاء ويدعى آرون Aron ، لقتل الكسيوس كومنين أثناء نومه ، وذلك بعد عوة الامبراطورة الى القسطنطينية وعندما أجلت الامبراطورة عودتها ، تسرع المتآمرون للقضاء على حياة الكسيوس فاكتشفت المؤامرة[٢٥] .

كان الكسيوس لا يكاد أ نينتهى من القضاء على مؤامرة أو ثورة ضده حتى يكتشف الأخرى ، وذلك رغم ادارته الامبراطورية بحنكة ومحاولته نشر العدل والمساواة بين الجميع ، وقد ركز عنايته على رجال الجيش فأغدق عليهم الكثير من الأموال ، ورقاهم استثنائيا ، ورغم كل ذلك كانوا يجحدون أفضال الامبراطور[٢٦] . ففى عام ١١٠٩ م قام أحد قواده ويدعى ميخائيل بثورة ، وكان حاكما لحصن اكرونس Acrounos [٢٧] فى آسيا الصغرى ، واضطر الامبراطور أن

---

(٢٣) انظر التفاصيل :

Ibid, p. 311 sq.

(24) Anna Comnena : op. cit., p. 393.

(25) Ibid., pp. 324 - 25.

(26) Ibid., pp. 309 - 310, 369.

(٢٧) اكرونس من الحصون العسكرية البيزنطية الهامة فى آسيا الصغرى ويقع فى الشمال الغربى من مدينة نيقية على الطريق الموصل الى دوريليوم (اسكى شهر) . انظر :

Vryonis, S. : op. cit., p. 20.

يرسل القائد جورج دوكاس بقوات كبيرة ضد ذلك الثائر ، وبعد حصار دام ثلاثة شهور تمكنت القوات البيزنطية من الاستيلاء على الحصن وارسال الثائر الى القسطنطينية حيث تم اعدامه[٢٨] .

وازداد ضغط الأعباء الاقتصادية على أفراد الشعب البيزنطى ، نتيجة لما لجأ اليه الكسيوس من اجراءات متطرفة لزيادة حصيلة الضرائب ، اذ تضاعفت الضرائب الى ثمانية وعشرين مرة عما كانت عليه[٢٠] ، ويمكن تفسير تلك الزيادة الكبيرة على ضوء الاضطرابات فى الادارة المالية بسبب تخفيض قيمة العملة ، اذ سك الامبراطور عملة نحاسية يتعامل بها مع الشعب ، وفى نفس الوقت أصر على أن تدفع الضرائب بالعملة الذهبية ، أى فرض الضرائب على أساس العملة الجديدة وجباها على أساس العملة القديمة ، وأدى ذلك الى اضطراب فى الأسواق ، وتذمر الشعب من تلك الأوضاع الأمر الذى دفع الكسيوس الى اعادة النظر فى النظام الضرائبى فى المدة ما بين ١١٠٦ — ١١٠٩ م[٣٠] .

وظهرت فى أواخر عصر الكسيوس كومنين مساوىء الامتيازات التى منحها لجمهوريات البندقية[٣١] ، وبيزا وجنوا ، وكانت تنص على

---

(28) Anna Comnena : op. cit., p. 369.

(29) Walter. G. : Le vie quotidienne a Byzance au Siecle des comnenes p. 150,

Cam, med Hist., p. 348, V. 4.

(٣٠) أسد رستم ، المرجع السابق ص ١٣٥ .

Cam, Med, Hist., op. cit., p. 348.

(٣١) اضطر الامبراطور الكسيوس كومنين فى مستهل حكمه تحت ضغط النورمان والسلاجقة والبانجاك ، أن يعقد معاهدة مع جمهورية البندقية عام ١٠٨١ م للحصول على مساعدة بحرية مقابل اعطائها حرية التجارة فى الموانىء البيزنطية ثم تبعها بمنح امتيازا تمماثلة الى جمهورية بيزا وجنوا . انظر :

Levtchenko. M. : Byzance des origines A 1453, pp. 239 - 40.

Runciman : A History of the crusades. p. 15. Vol. 2.

حرية التجارة فى جميع موانىء الامبراطورية دون دفع أية رسوم جمركية ، وبذلك حصل التجار الايطاليون على امتيازات لم يحصل عليها التجار البيزنطيون ، وحرمت بذلك خزينة الدولة من تلك الأموال الطائلة وتعرضت التجارة الوطنية للانهيار ، وأدى ذلك الى تذمر طبقة التجار والحرفيين(٣٢) ، وقضى ذلك على تفوق بيزنطة التجارى بصفة نهائية ذلك التفوق الذى تمتعت به منذ زمن بعيد(٣٣) •

وهكذا كانت تعانى بيزنطة من الأزمات فى الوقت الذى بلغ فيه الكسيوس كومنين سن السبعين واشتد عليه المرض وزاد الألم لدرجة أنه لم يستطع فى بعض الأحيان الخروج لمواجهة أعدائه من سلاجقة الروم(٣٤) ، وفى عام ١١١٥ م تأخر فى الخروج لملاقات سلاجقة الروم لخوفه من قيام ثورة ضده فى القسطيطينية(٣٥) ، لذا فان الظروف الصحية للامبراطور الكسيوس وأيضا الظروف الداخلية فى أواخر عصره لم تساعده على انجاز مشاريعه فى آسيا الصغرى وفى بلاد الشام •

فعندما اعتلى الكسيوس عرش الامبراطورية كانت أقدام السلاجقة قد توطدت فى آسيا الصغرى ،واضطر الكسيوس أن يشترى السلام من سلاجقة الروم بسبب حربه مع روبرت جويسكارد وحاجته للحصول على قوات من السلاجقة ، فعقد عام ١٠٨٢ م اتفاقية مع سليمان بن قتلمش أمير نيقية ، قدم بمقتضاها السلاجقة سبعة آلاف مقاتل فى

---

(٣٢) الاضطرابات والحروب الأهلية التى وقعت فى القرن الحادى عشر الميلادى أدت الى ظهور تلك الطبقة حيث لعبت دورا فعالا فى السياسة عن طريق النقابات والمجالس البلدية .. انظر :

Vryonis, S. : op. cit., p. 161.

(33) Walter. G. : op. cit., p. 155.

Levtchenko. M. : op. cit., pp. 239 - 40.

(٣٤) انظر ما يلى ص ٣٢ •

(٣٥) انظر ما يلى ص ٣٣ •

مقابل منحهم الأراضى التى استولوا عليها ، وبذلك أصبح وجـود السلاجقة فى آسيا الصغرى قانونيا[٣٦] .

انتهز الكسيوس فرصة تفكك الامارة السلجوقية فى آسـيا الصغرى عقب مقتل سليمان بن قتلمش عام ١٠٨٦م / ٤٧٩ هـ وتقسيم ممتلكاته بين أمرائه[٣٧] ، فحدث تقارب بين الكسيوس وقلج ارسلان بسبب الأخطـار التى كانت تواجه كل منهما فالامبراطور الكسـيوس يواجه خطر النورمان فى أنطاكية ، وقلج ارسـلان يواجه خطـر الدانشمندية فى سيواس ، وبفضل مساعدة قلج ارسلان ثم القضاء على الأمير التركى زاخاس الذى استولى على منطقة أزمير بعد وفاة سليمان وحاول الاسـتيلاء على القسطنطينية بعد أن كون أسـطولا كبيرا لهذا الغرض اذ نجح الكسيوس فى تحريض السلطان قلـج أرسلان الذى قام بذبح زاخاس حوالى عام ١٠٩٢ م[٣٨] . وبمقتضى المعاهدة التى أبرمت بين الكسيوس وقلج أرسلان ، أرسل قلج ارسلان

---

(36) Finlay : Hist. of the Grecs p. 72.
Janosk. J. : Syrie Ancienne et moderne p. 238.
Dielh. C. : op. cit., pp. 116 - 17.
Laurent : Byzance et les origine du sultanant de Rum pp. 181 - 82.

(37) Brehir. L. : Vie et mort de Byzance p. 302.
Finlay : Hist. of Grecs, pp. 91 - 92.
سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٨ .
Cam. Med. Hist. : op. cit., p. 331.

(38) Cahen Pre Ottoman Turkey. p. 86, Adontz. N : Notes Armeno Byzantine p. 177 in Byzantion,
Finlay : op. cit., p. 93, Brehier. L. : op. cit., p. 305.
Franzius. E. : Hist of the Byzantine empire p. 303.
Bailly : Byzance p. 311, Ostrogorsky. op. cit., p. 319.
أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ص ٣٧٠ .

الى الكسيوس قوات لعبت دورا كبيرا فى انتصاره على بوهميند فى عام ١١٠٨ م[٣٩] •

كان موت السلطان قلج أرسلان (٥٠٠ هـ/١١٠٧ م) ووقـوع ملكشاه أكبر أبنائه وولى عهده فى قبضة السـلطان محمـد سـلطان السلاجقة ، نقطة تحول فى تاريخ سلاجقة الروم ، وقد أغرى ضعف البيت السلجوقى فى بلاد الروم كلامن كمشتكين غازى الدانشمندى ، والامبراطور الكسيوس •

كرس الامبراطور البيزنطى الكسيوس فى عام ١١٠٩ م جهوده لاعادة بناء ما خربته الحروب فى مدن آسيا الصغرى ، وخاصة أيام زاخاس فقد تحطم نتيجة لتلك الحروب الشاطىء من أزمـير حتى أضاليا ، وأراد الكسيوس أن يعيد تلك المدن الى حالتها الأولى والى رخائها السابق ، وكلف أحد قواده اللامعين وهو يوماسيوس فيلوكالس Eumathios Philokales للقيام بهذا العمل[٤٠] • وبدأ يوماسيوس فيلوكالس باصلاح مدينة ادراميتيوم Adramyttium [٤١] لكى يعيد لها أهميتها التجارية السابقة ، وقد اضطر يوماسيوس أن يطرد جماعات من الأتراك كانت تسكن منطقة لامب Lampe [٤٢] ، بالقـرب من

---

(٣٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٨ ، النويرى : نهـاية الأرب ص ١٥ لوحة ٣٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ جـ ١٢ ص ١٦٧ ، ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٣٤٥ — ٣٤٦ •

Chronique de Michael Le Syrien : op. cit., pp. 192 - 93.

(40) Anna Comnena : op. cit., pp. 359 - 60.
Vryonis. S. : op cit., pp. 148 - 49.

(٤١) ادراميتيوم مدينة كبيرة تقع فى وادى الميانذر بغرب آسيا الصغرى انظر :

Ramsay : The Historical Geography of Asia Minor pp. 12, 26.

(٤٢) مدينة لامب تقع فى منطقة فريجيا باسيا الصغرى •
انظـر :

Ramasay : op. cit., p. 136.

لوباديوم[٤٣] ، واشتبكت قواته مع الأتراك وانتصر عليهم فى معركة عنيفة قتل وأسر فيها عدد كبير من الجماعات التركية[٤٤] .

وهكذا عادت الحرب الى آسيا الصغرى مرة أخرى وكان للهزيمة الساحقة التى منيت بها الجماعات السلجوقية ، والمعاملة التى عومل بها الأسرى صدى واسعا فى أنحاء آسيا الصغرى واستطاع حسن[٤٥] أمير قبادوقيا أن يجمع أربعة وعشرين ألف مقاتل للثأر والانتقام ، فحاصر مدينة فيلادلفيا Philadephie ما بين عامى ١١٠٩ — ١١١٠ م وعندما وجد أنه لن يقدر على تلك المدينة الحصينة تركها وقام بنهب مدن الشاطىء سارديس Sardis ، وأزمير Smyrna وبرجاموس Pergamos [٤٦] غير أ نيوماسيوس انتصر عليه وأجبره على التقهقر[٤٧] .

عدل الكسيوس كومنين عن سياسته[٤٨] بالنسبة للمشكلة النورماندية فى أنطاكية ، لكى يتفرغ للعمل ضد سلاجقة الروم ، ذلك لأن الأوضاع السياسية فى آسيا الصغرى بدأت تتغير بعد أن أطلق

---

(٤٣) مدينة لوباديوم تقع ناحية مدينة بروسا prousa بآسيا الصغرى . انظر :
Ramasay : op. cit., p. 160.

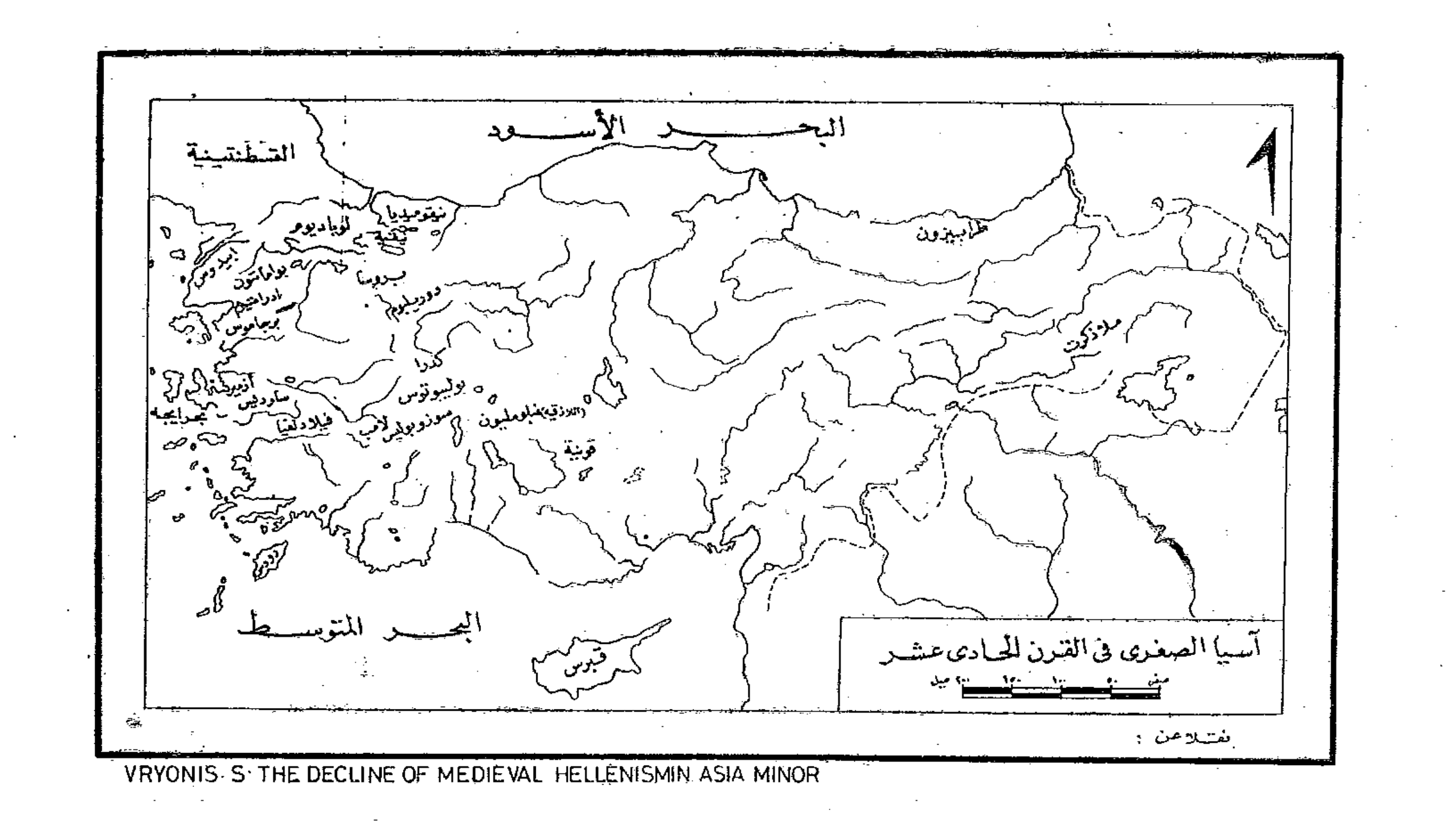
(44) Anna Comnena : op. cit., pp. 359 - 60.
Chalandon. F. : Essai sur le regne d, Alexis ler Comnene pp. 254 - 55, Finlay : op. cit., pp. 124 - 25.

(٤٥) المعلومات عن شخصية الأمير حسن قليلة ، انظر :
Chalandon. F. : op. cit., p. 255. Note No. 2.
وقد قتله السلطان ملكشاه الثانى : انظر :
Anna Comnena : op. cit., p. 407.

(٤٦) انظر الخريطة .

(47) Anna Comnena : op. cit., pp. 361 - 62.
Finlay : op. cit., p. 125.
Chalandon. F. : op. cit., pp. 255 - 56.

(٤٨) انظر ما يلى ص ٥٣ .



VRYONIS. S. THE DECLINE OF MEDIEVAL HELLENISMIN ASIA MINOR

السلطان محمد سراج ملكشاه بن قلج ارسلان والذى وصل الى قونية فى عام ١١٠٩ م ، حيث أعلن سلطانا على سلاجقة الروم[٤٩] . وأخذ يعد العدة لشن هجوم على أملاك الدولة البيزنطية من أجل الاستيلاء على فيلادلفيا ، وبعض المدن الأخرى ، وعندما علم الكسيوس بذلك ، خرج فى شتاء عام ١١١٢ م على رأس قواته وعسكر عند خريسونس Chersones حيث استدعى قواته البرية والبحرية من جميع الجهات[٥٠] . ويبدو أن الامبراطور أخذ من هذا المكان يرقب الموقف الحرج الذى تتعرض له الامبراطورية فى تلك الآونة ، ففى نفس الوقت كان هناك هجوم آخر للاساطيل البيزية ، والجنوية على أراضى الامبراطورية ولذلك لم يدخل الكسيوس المعركة بنفسه ، وترك حاكم فيلادلفيا قنسطنطين جبراس Constantine Gabras يتصدى للسلاجقة والذى تمكن من هزيمتهم وعندما علم ملكشاه بهزيمة جيشه أرسل رسالة الى الكسيوس يطلب الصلح[٥١] . وانتهى الأمر بعقد اتفاقية بين الطرفين فى عام ١١١٢ م[٥٢] . ويبدو أن ذلك الصلح كان مؤقتا ، وأن انتصار البيزنطيين على السلاجقة لم يكن حاسما والدليل على ذلك استئناف الحرب بين الطرفين فى العام التالى . فعسكر الكسيوس رغم مرضه فى دامليس Damalis حيث وصله خطاب من يوماسيوس حاكم مدينة نيقية يصف له

---

(49) Chroni que de Michael le Sysien op. cit., p. 192.
Cahen. C. : La Sysie du Nord pp. 253 - 54.

(50) Anna Comnena : op. cit., p. 368.
Chalandon. F. : op. cit., p. 265.
Mccabe. J. : The Empresses of the constantinople p. 211.

(51) Anna Comnenea : op. cit., pp. 368 - 370.
Chalandon. F. : op. cit., pp. 264 - 65.
Finlay : op. cit., p. 125.

(52) Anna Comnena : op. cit., p. 370.
Chalandon. F. : op. cit., p. 265.
Finlay : op. cit., p. 125.

ما يفعله الســـلاجقة بمدينة نيقية والمدن المجاورة ، من تخريب ونهب ،. فتحامل الامبراطور على نفســـه وتحرك تجاه مدينة نيقية ، وما أن وصل الى مدينة كيبتوس Cibotus حتى وصلته الأخبار بأن الســـلاجقة اجتاحوا ضواحى نيقية علاوة على استيلائهم على لباديوم Lopadion وتخريب مدن بوامانتون Poimanenon وباريون Parion وأبيدوس Abydos (٥٣) .

لم يستطع الكسيوس أن يواجه الأعداء لمرضه ، لذلك أرسل الى يوماسيوس حـــاكم نيقية يأمره بتتبع السلاجقة بخمسمائة جندى على أن يتجنب الاشتباك معهم ، ولكن يوماسيوس شن هجـــوما على القوات السلجوقية بالقرب من بوامانتون مخالفا بذلك تعليمات الامبراطور ؛ وتمكن فى البداية من الانتصـــار عليهم ، غير أن القـــوات البيزنطية تعرضت لهزيمة ساحقة ووقـــع يوماسيوس نفســـه أســـيرا فى يـــد السلاجقة(٥٤) .

عندما تأزم الموقف قرر الكسيوس أن يواجه السلاجقة بنفســـه ؛ وتمكن من مفاجأتهم ، ونشبت معركة ضارية بين الطرفين عند مدينـــة اكروكس Acrocus بالقرب من نيقيـــة عام ١١١٣ م ، انتصر فيهـــا البيزنطيـــون كما تمكن يوماسيوس من الهـــرب والفرار الى معســـكر البيزنطيين ، وعـــاد الكسيوس الى القسطنطينية فى أواخر عام ١١١٣م كمنتصر(٥٥) . ويبدو أن الكسيوس عندما احتك بالسلاجقة فى هـــذه

---

(53) Anna Comnena : op. cit., p. 374 - 76.
Chalandon. F. : op. cit., pp. 265 - 66.
Cahen. C. : op. cit., p. 91.

(54) Zonaras. J. : op. cit., pp. 756 - 57.
Anna Comnena : op. cit., pp. 376 - 77.
Michaelis Glycas pp. 623 - 24 Chalandon. F. : op. cit., p. 265, Finaly : op. cit., p. 126.

(55) Zonaras. J. : op. cit., pp. 756 - 57.
Anna Comnena : op. cit., p. 377.
Michaèl Glycas : op. cit., pp. 623 - 24.

المعركة شعر بقوة السلاجقة ومدى الخطر الذى ينتظر الامبراطورية فى المستقبل .

علم الامبراطور الكسيوس فى عام ١١١٥م أن السلاجقة يعدون لغزو أراضى الامبراطورية ، فأخذ يستعد لمواجهة تلك الأخطار، غير أن مرضه منعه من التصدى للسلاجقة ، الأمر الذى جعل السلطان ملكشاه يجتاح الأراضى البيزنطية دون أن يقابل مقاومة تذكر ووصف السلاجقة الكسيوس بالجبن وادعاء المرض(٥٥) خوفا من الحرب(٥٧) .

وفى عام ١١١٦ م بدأ الكسيوس الحملة التى كان يخطط لها بعد أن زالت الظروف التى أدت الى تأخيره ، وعندما تجمعت جيوش الامبراطور بالكامل ، رحل الامبراطور بجيشه الى قمم مالاجنا Malagna (٥٨) ، وبعد عدة أيام جاءه رسول يخبره بوصول السلاجقة الى حصن جورج بالقرب من نيقوميديا Nicomedia ، لذلك تحرك بقواته على الفور ، وتقدم القسم الرئيسى من القوات البيزنطية بقيادة الكسيوس نحو كدريا Kadrea على طريق بوليبوتوس Polybotos. (٥٩) . وهناك علم الكسيوس بأن السلطان ملكشاه أمر بحرق المدن لايقاف تقدم الجيش البيزنطى ، وبعد تردد قرر الكسيوس أن يستمر فى السير الى فيلوميليون Philomelion ، وقد وصل اليها دون أن يقابل مقاومة تذكر واحتلها بسهولة(٦٠) ،

---

(٥٦) يبدو أن السبب الحقيقى لهذا التأخير هو خوف الامبراطور من قيام ثورة فى العاصمة ، وربما كان للامبراطورة ضلع فيها ، وهذا يوضح استمرار مرافقة الامبراطورة للامبراطور أثناء المعارك ، انظر :
Chalandon. F. : op. cit., p. 269.

(57) Anne Comnene Alexiade, t. 3, pp. 187 - 88.

(٥٨) مالاجنا : جزيرة صغيرة بجوار مدينة القسطنطينية وخلقدونيا ويوجد بها عدد من الأيرة . انظر :
Anne Comnene op. cit., p. 190. Note, No. 1.

(٥٩) تقع مينة بوليبوتوس فى الشمال الغربى لمدينة قونية . انظر :
Vryonis. S. op. cit., p. 20.

(60) Zonaras. J. : op. cit., p. 757.
Ephraemius : De Alexio Comnene, p. 156 in Corpus, Anna Comenena : op. cit. p. 401.

واكتفى الكسيوس بتلك الغزوة وقرر الانسحاب والعودة الى القسطنطينية بعد أن أخذ معه كثيرا من نساء وأطفال وشيوخ تلك المناطق(٦١) .

يبدو أن الكسيوس فشل فى تنفيذ الخطة التى رسمها عند بداية الحرب وهى نقل المعركة الى قلب الأراضى السلجوقية ، فقد خشى القوة السلجوقية الكامنة فى آسيا الصغرى ، وتردد الامبراطور الكسيوس فى السير الى فيلوميليون وأى الطريقين يجب أن يتخذ طريق قونية أو يهاجم السلاجقة ، الذين كانوا قرب فيلوميليون .

ولم يكن انسحاب الامبراطور الكسيوس من مدينة فيلوميليون باختياره ، بل يبدو أن السلاجقة أرغموه على ذلك ، لقد اتبع السلاجقة فى حربهم مع الامبراطور خطة ناجحة وهى حرق جميع الحقول فى سهول آسيا الصغرى ، فتعذر على الجيوش البيزنطية الحصول على المؤن ، وأصبح طول خطوط المواصلات بالنسبة للامدادات يمثل خطورة كبيرة على القوات البيزنطية وعبئا لا يمكن تحمله ، لذلك رأى الكسيوس أنه لا مفر من الانسحاب .

عامل آخر أثار رعب الكسيوس وخوفه على الجيوش البيزنطية ، وهو تحرك بنى دانشمند(٦٢) فى الشمال ، اذ انتشر الخبر بسرعة فى كل أنحاء آسيا الصغرى بأن بنى دانشمند تحركوا ضد الامبراطور الكسيوس(٦٣) . ويبدو أن أمراء بنى دانشمند فى سيواس الذين كانوا فى البداية يخضعون من الناحية النظرية لسلاجقة الروم ، وأصبحوا مستقلين تماما فى نهاية القرن الحادى عشر للميلاد ، انتهزوا فرصة

---

(61) Ephramius : op. cit. p. 157.

Anna Comnena : op. cit p. 401.

Chalandon. F. : op. cit. 270. Finlay. op. cit. p. 127.

(٦٢) انظر التفاصيل عن أمراء بنى دانشمند فى الفصل الرابع .

(63) Anne Comnene : op. cit. pp. 200 - 201.

انشغال الامبراطور الكسيوس وغاروا على الأملاك البيزنطية فى شمال آسيا الصغرى •

بينما كانت الجيوش البيزنطية تنسحب بعد صدور أوامر الامبراطور اليها ، وصل السلطان ملكشاه الى ميدان المعركة ، وكانت القوات السلجوقية التى تحت قيادة مونوليك العجوز Monolyke تراقب انسحاب القوات البيزنطية دون الدخول معها فى معركة ، حيث أن خبرة مونوليك جعلته لا يخاطر بقواته • ولكن عندما وصل السلطان ملكشاه عاتبه لتأخره فى محاربة البيزنطيين • وقرر ملكشاه مهاجمة الجيوش البيزنطية المنسحبة رغم نصيحة مونوليك له بعدم الاقدام على ذلك ، وكانت نتيجة المعركة التى نشبت بين الطرفين انهزام ملكشاه وهروبه الى أحد المعابد المجاورة[٦٤] •

تجمعت قوات السلاجقة مرة أخرى على المرتفعات وحاولت مضايقة القوات البيزنطية أثناء الليل ، وكان السلطان ملكشاه يخطط لدخول معركة أخرى ضد الجيوش البيزنطية ، لكنه عدل عن ذلك وذهب مع قائده مونوليك لطلب الصلح[٦٥] من الامبراطور البيزنطى[٦٦] • ويبدو أن ملكغازى محمد الدانشمند ضغط على ملكشاه منتهزا الخلافات الأسرية محاولا استرداد ملطية ، لذلك اضطر ملكشاه أن ينهى الحرب بينه وبين البيزنطيين[٦٧] •

التقى السلطان ملكشاه مع الكسيوس كومنين عام ١١١٦ م فى السهل الواقع بين أجوستوبوليس Augoustopolis واكرونيوس

---

(64) Anne Comnene : op. cit. pp. 205 — 207.
Chalandon. F. : op. cit. p. 270.
Le Beau du Bas empire p. 463, t. 9.

(٦٥) أنا كومنين تشير بأن السلطان ملكشاه أرغم على طلب الصلح نتيجة للهزيمة الكاملة أمام البيزنطيين ، انظر :
Anne Comnene : op. cit. p. 209.

(66) Loc Cit.

(67) Bar Hebraeus : The Chronography p. 241 — 43.

Akronios بالقرب من فيلومليون بغرب آسيا الصغرى حيث تم توقيع المعاهدة بين الطرفين ، ومن شروطها : أن يتنازل ملكشاه للدولة البيزنطية عن جميع الأراضى التى استولى عليها السلاجقة بعد موقعة ملاذكرد ، وتبقى فى أيديهم الأراضى التى حصلوا عليها قبل تلك المعركة ، وفى مقابل ذلك يعيشون فى أمان ويحصلون على مساعدة بيزنطة(٦٨) . وقد منح الامبراطور البيزنطى السلطان أموالا كثيرة(٦٩) .

قبل مغادرة السلطان ملكشاه أراضى الدولة البيزنطية ، وصل خبر الثورة التى قامت ضده وأخرجت أخاه مسعودا من السجن ، حيث أعلن العصيان ضد السلطان وذلك بمساعدة غازى بن الدانشمند ، وعندما سمع الكسيوس بذلك نصح السلطان بالبقاء بعض الوقت فى الأراضى البيزنطية ، غير أنه رفض ذلك ، وخرج السلطان فى طريقه الى بلاده وبصحبته بعض ضباط الجيش البيزنطى ، وقد تمكن رجال مسعود من القبض على السلطان ملكشاه وانتهى الأمر بقتله قبل أن يجف مداد المعاهدة البيزنطية السلجوقية(٧٠) .

لم يكن نصر فيلومليون نصرا حاسما ولم ينل من قوة السلاجقة شيئا ، والدليل على ذلك أن الضعفاء من رعايا الامبراطورية من النساء والأطفال والشيوخ رفضوا البقاء هناك ، واضطر الامبراطور الى حملهم معه الى القسطنطينية مما يدل على أن تلك المناطق لم تكن آمنة رغم طرد السلاجقة منها .

---

(68) Anne Comnene : op. cit. p. 209.
Finlay : op. cit. p. 127, Le Beau : op. cit. p. 465.

(69) Zonaras. J. : op. cit. p. 758.
Anne Comnene : op. cit. pp. 209 — 210.
Michaelis Glycas : op. cit. pp. 623 — 24.
Chalandon. F. : op. cit. pp. 270 — 71.

(70) Anne Comnene : op. cit. p. 212.
Chronique de Michel le syrien : op. cit. pp. 194 - 95.
Le Beau Ch : op. cit. pp. 466 - 67.

ويؤكد هذا أن السلاجقة استولوا مرة ثانية على مدينة سوزويوليس Sozopolis وعلى اللاذقية التى تقع فى اقليم فريجيا بآسيا الصغرى • وقد وصلوا حتى نهر المياندر وقطعوا الطريق الموصل الى اضاليا جنوب آسيا الصغرى ، وذلك قبل وفاة الكسيوس بقليل[٧١] •

أما عن علاقة الدولة البيزنطية بالصليبيين فى عهد الكسيوس[٧٢] فتبدأ بمحاولة الكسيوس تجنيد الصليبيين لخدمة أغراضه ومصالحه الخاصة ، اذ كان توقيت وصول الصليبيين الى القسطنطينية مناسبا مع خطة الكسيوس ضد السلاجقة ، والتى كانت ترمى الى فتح الولايات الشرقية[٧٣] •

---

(71) Nicetas, Ch.: Historia p. 17 - 19 in Corpus.
Grousset. R.: Hist. des Croisades p. 84, t. 2.
Chalandon.: op. cit. p. 271.

(٧٢) ثارت مناقشات طويلة بين المؤرخين المحدثين عن طلب الكسيوس مساعدة عسكرية من البابا اربان urban الثانى عام ١٠٩٥ م ، الفريق الذى يؤيد طلب المساعدة يستند الى نصوص وردت فى كتابات المؤرخين المعاصرين وأيضا خطابات متبالة • انظر :

Charanis, P: Byzantium the west and the Origin of the first crusade: p. 17 sq in Byz. Greek source on the origin of the first crusade pp. 93 - 94.

أما الفريق المعارض يقول بأن الرسائل التى تبودلت بين الكسيوس والبابا كانت من أجل اتحاد الكنيستين وتحرير بيت المقدس ، وأن مركز الامبراطورية البيزنطية فى عام ١٠٩٥ م كان قد تحسن ولم يكن الكسيوس فى حاجة الى جيوش صليبية • انظر :

Chalandon. F.: Hist. de la première croisades pp. 17 - 18.

Come Riant. P.: inventaire critique des lettres historiques des Croisades p. 101 - 105.

Jonanson. E.: The problem of the spurious letter p. 811 sq.

كما أن فريق ثالث قال بأن الكسيوس طلب قوات مرتزقة تعمل تحت امرته وليست جيوشا منتظمة وهذا هو الذى يبدو مقبولا • انظر :

Strogorsky: op. cit. p. 320.
Vasiliev: Byzantium and Crusading p. 386 - 88.

(73) Nicephori Gregoras: op. cit. p. 519.

والأحداث التى وقعت فى القسطنطينية فى عام ١٠٩٧ م تفسر بجلاء ووضوح ، ما وقع فى المستقبل من عــداء مرير بين البيزنطيين والصليبيين فى بلاد الشام ، اذ غيرت ميــزان القوى فى المنطقــة ، ودخل فى الصراع الذى كان بين المسلمين والبيزنطيين طرف ثالث ، وبدأ صراع بين قوتين مسيحيتين ، القوة الأولى تتمثل فى الدولة البيزنطية وترى أحقيتها فى السيطرة على الشرق ، وترى أن التخلى عن حقوقها فى آسيا الصغرى وبلاد الشام ، لا يتفق مع تقاليد الامبراطورية ، أما القوة الثانية فتتمثل فى الصليبيين وترى أن البيزنطيين أصبحوا غير قادرين على السيطرة على الشرق بما فيه من خيرات وكنوز دفينة ، الاقتصاد الغربى فى مسيس الحاجة اليها[٧٤] .

اهتم الامبراطور البيزنطى بتحديد الجانب القانونى للعــلاقة . بينه وبين الصليبيين ، وتصور الامبراطور أن جموع الصليبيين عبارة عن نجدة سريعة لنصرة المسيحية وطرد الســلاجقة من الأراضى التى احتلوها فى آسيا الصغرى ، وفى ضوء هذا التصور طالب الامبــراطور البزينطى الأمراء الصليبيين الذين وصلوا الى أراضيه تباعا أن يقسموا يمين الولاء للامبراطور بمعنى أن يقسم القائد الصليبى أن يكون تابعا للامبراطور البيزنطى فى الأراضى الآســيوية التى عســاه ينجح فى استردادها من المسلمين[٧٥] .

اختلفت مواقف الأمــراء الصــليبيين من الامبراطور البيزنطى واصراره على تأديتهم يمين الولاء ، وكان أول الواصلين الى العاصمة البيزنطية هيو الكبير شقيق ملك فرنســا وذلك فى خريف عام ١٠٩٦ م ، وقد أدى قسم الولاء والتبعية للأمبراطور دون أن يبدى معارضة ، وكان من رأيه الخضوع لطلبات الامبراطور ، حتى يمكن التعاون معه ، لأن الصليبيين دون مساعدة الكسيوس لا يستطيعون عمل شىء[٧٦] .

---

(74) Conder. C. : The Latin Kingdom of Jerusalem p. 30.

(٧٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٤٧ — ١٤٩ .

(76) Anna Comnena : op. cit. p. 261.
Roger of Wendovers : Flowers of Hist. pp. 387 - 88 Vol. 1.

أما جودفرى دى بوايون فقد رفض فى بادىء الأمر تأدية قسم الولاء للامبراطور ، واعتبر ذلك لا يتفق مع مركزه وثروته ، غير أنه بعد قليل سـلم بطلبات الامبراطور وأدى قسم الولاء والتبعية(٧٧) .

وعندما وصل الى القسطنطينية ريموند صنجيل وبصحبته اديمر Audimer أسقف بوى رفض أداء قسم الولاء والتبعية كما فعـل الآخرون ، وانتهى الأمر بأن تعهد بأنه سوف يحافظ على شرف وحياة الامبراطور(٧٨) .

وكان آخـر من وصـل من الصـليبيين الى القسـطنطينية بوهميند(٧٩) ابن روبرت جويسـكارد النورمانى أمير تارنت والعـدو القديم والتقليدى للامبراطورية البيزنطية ، والذى حاول اخفاء هدفه العدوانى وتظاهر بصداقة الامبراطور ، ورغم المقابلة الودية التى تمت

---

(77) Ordric Vitalis : Historia Ecclesiastica p. 662 in M. P.L. t. 188.

Anna Comnena : op. cit., p. 261.

William of tyre A Hist. of deeds pp. 131 - 32 Vol. 1.

Roger of Wendovers. op. cit. pp. 388 - 89.

أسد رستم : المرجع السابق ص ١٢٧ .

جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ١٨٩ .

(78) Fulcher of Charter : A Hist. of Expedition to Jerusalem, pp. 79 - 80.

Roger of Wendover : op. cit. pp. 389 - 90.

Raymond of Aguilers in making crusades pp. 48 - 49.

سعيد عاشور : المرجع السابق ص ١٥٧ — ١٥٩ ، الجستا ص ٣٠ــ٣١ تعريب حسن حبشى .

(٧٩) ولد بوهيمند ما بين سنتى ١٠٥٢ — ١٠٦٠ م فى عام ١٠٨٥ م رافق والده روبرت جويسكارد فى حربه ضد الدولة البيزنطية ، وعنـدما مات والده أصبح أميرا على تارنت وبارى .. انظر :

Rey. E. : Prince d'Antioche pp. 324 - 25.

بينهما ، فان بذور الشـك والريبـة كانت ظاهـرة بين بوهيمنـد والكسيوس[٨٠] .

وبعد وصول جميع القوات الصليبية استدعى الكسـيوس كومنين بوهميند وأمراء الصليبيين ، وتمت الموافقة النهائية على معـاهدة القسـطنطينية فى مايـو ١٠٩٧ م ، والتى نصت على أن جميع المدن والحصون التى كانت فى حوزة الامبراطورية البيزنطية ، تعـود مرة أخرى للبيزنطيين بمجرد فتحها بمعرفة القوات الصليبية . والتـزم الامبراطور بالاستمرار فى مديد العون والمسـاعدة للصليبيين عسكريا وماديا[٨١] .

بدأت العلاقات بين الكسيوس كومنين والصليبيين يسـودها الشك وعدم الثقة من الجانبين رغم التظاهر من الجانبين بالصـداقة والوفاق ، ورغم ما بذله الكسيوس من جهود ومساعدات ، اعترف بها مؤرخو الحروب الصليبية أنفسهم[٨٢] .

---

(80) Anna Comnena op. cit. pp. 263 - 266.
Cartis. F.: Roger of Sicily pp. 104 - 105.
Numismatique de 1, orient latin p. 30.

(81) Anna Comnena : op. cit., p. 261.
Roger of Wendover, p. 391.
Mathieu, d'Edesse : Extrait, Cf. R.H.C. Doc Lrm. pp. 27 - 28.
Nicephri Gregoras : op. cit., p. 520.
Gesta Francorum, p. 12.
العظيمى : تاريخ العظيمى : نشره كاهن ص ٣٧١ — ٣٧٢ .
Chalandon, F.: op. cit. p. 188.
Cam. Med. Hist. : op. cit. p. 388.
Dielh : op. cit. p. 123.
Ostorogrsky : op. cit. p. 320.
Vasiliev : op. cit. p. 408.
سعيد عاشور : المرجع السابق ص ١٦١ .
Sherrard. P.: Byzantium pp. 164 - 65.

(82) Fulcher of Charters : op. cit. pp. 79 - 80.

وتتضح أمور الشك والريبة فى أقوال المؤرخين المعاصرين فيقرر مؤرخ الجستا بأن الكسيوس يمقت ويكره الجنس اللاتينى ، أما وليم الصورى فانه يصف الامبراطور بالمكر والخبث والنفاق والتضليل[٨٣] ، ومن الجانب الآخر تصف أنا كومنين الصليبيين بأنهم أقوام متبربرين وافقوا على خطة بوهميند الذى وصفته بالخبث والمكر والنفاق للاستيلاء على أملاك الامبراطورية فى الشرق وأن الامبراطور الكسيوس كان يعرف ذلك جيدا ولا يظهره[٨٤] .

ظهر سوء النوايا بين الكسيوس والصليبيين فى أكثر من موقف وأبرز مثال على ذلك الطريقة التى تم بها استيلاء الامبراطور البيزنطى على نيقية[٨٥] ، وتخلص بوهميند من الجيش البيزنطى قبل الاستيلاء على أنطاكية[٨٦] .

---

(83) William of Tyre : op. cit. pp. 135 - 36.
Gesta Francorum : op. cit. pp. 11 - 12.
(84) Anna Comnena : op. cit. p. 258.

(٨٥) للتفصيل ، انظر :
Fulcher of Charters : op. cit. pp. 82 - 83.
Chronique de Zimmern : in Arch. or. lat., pp. 27 - 28.
Hetoum comte de Garigos : p. 471 in R.H. arm t. 1.
Anna Comnena : op. cit., p. 269 sq.
Ordric Vitalis : op. cit. p. 665 - 68.
Albert of Aix : in making crusades p. 56.
Gesta Francorum : in making crusades, p. 55.

(٨٦) للتفصيل ، انظر :
William of Tyre : op. cit. p. 219.
Chalandon, F. : op. cit. p. 200.
Runciman : Antioch to Ascalon in A Hist of crusades pp. 13 - 14 ol. 1 (ed setton).
Finlay : op. cit. p. 110.
France. J. : The crisis of the first crusades. p. 280 in Byzantion.
Anna Comnena : op. cit. p. 276.

ورغم ذلك حرص معظم الصليبيين على ابقاء التعاون بينهم وبين البيزنطيين ، بالرغم من اعتقادهم بأن الكسيوس تخلى عنهم فى أحرج الظـــروف ، ذلك لأنهم كانوا فى حاجـــة الى الامبراطور لاســـتكمال فتوحاتهم والوصول الى بيت المقدس وهو الهدف الأول الذى أرسلت من أجله الحملة الصليبية ، لذلك قرر مجلس زعماء الصـــليبيين الذى اجتمع فى أنطاكية بالاجماع ، ارسال مبعوثين الى الكسيوس يرجونه الحضور شخصيا لمساعدتهم بمقتضى اتفاقية القسطنطينية[٨٧] .

ويبدو أن الكسيوس شرع فى اعداد حملة للحاق بالصليبيين ، ولم يتمكن من اعدادها فى وقت قصـــير بعد أن فرق الحملة الأولى على أثر الاشاعات التى ترددت بسقوط أنطاكية فى أيدى المسلمين ، وقد أرسل مبعوثين ، ووصل هؤلاء المبعوثون الى انطاكية فى فبراير ١٠٩٩م عندما كان الصليبيون محاصرين حصن عرقة ، وهم يحملون رسالة من الامبراطور يشكو فيها من استيلاء بوهيمند على نطاكية على عكس ما تعهد به ، ويطلب منهم أن ينتظروه ليذهب معهم الى القدس[٨٨] .

نشب الخلاف بين الصليبيين بعد فتح أنطاكية ، واحتدم النزاع بين بوهيمند وريموند صنجيل ، فبوهيمند يريد أن يستولى على أنطاكية

---

(٨٧) الجستا : المصدر السابق ص ٩٨ .
William of Tyre : op. cit. p. 298.
سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٢١٤ — ٢١٥ .
Rey. E. : op. cit. pp. 327 - 28.
جوزيف يوسف : المرجع السابق ص ٢٤٦ .
(88) Raymond D. Aguilers : p. 286 in R.H. occ., t. 3.
William of Tyre : op. cit. p. 327.
Cam. Med. Hist. op. cit. p. 399.
Michoud : A Hist. of Crusades p. 194. Vol. 1.
Grousset. R. : op. cit. p. 112.
Comte Raint. P. : op. cit. p. 189.
Finlay : op. cit. pp. 112 - 113.
سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٢١٦ .

لنفسه ، وريموند يعتبر ذلك خروجا على اتفاقية القسطنطينية ، وبذله زعماء الصليبيين جهودا جبارة للتوفيق بين بوهيمند وريموند صنجيل ، غير أن ريموند ظل يعترف بحقوق البيزنطيين فى أنطاكية وعدم أحقية بوهيمند فى تلك المدينة(٨٩) .

كان ريموند صـــنجيل يرى ومعه أقليـــة من زعماء الصـــليبيين انتظار الكســـيوس للســـير معهم الى بيت المقدس بعد أن تسلم اليه مدينة أنطاكية ، أما غالبية الزعماء فقد رفضوا طلب الامبراطور الخاص بانتظاره ، وتعرض الزعماء لضغط من عامة الجيش الصليبى الذى طالبه بالسير فورا دون ابطاء الى بيت المقدس(٩٠) .

ويبدو أن سياسة الكسيوس الحذرة وتردده فى الرد الفـــورى على الصليبيين كان لها ما يبررها فالصليبيون أرسلوا الى الامبراطور يطلبون حضوره وكان ذلك الطلب مشروطا بسير الكسيوس معهم لفتح بيت المقـــدس ، ومعنى ذلك تقـــديم مزيد من التضحيات والأمـــوال البيزنطية ، فى الوقت الذى سيطر فيه بوهيمند على أنطاكية ، وقبل ذلك استولى بلدوين على مدينة الرها(٩١) . فذهاب الكســـيوس على رأس القوات البيزنطية الى بلاد الشام قد لا يحقق أهداف السياسة البيزنطية بل ربما يؤدى الى صدام بين الكسيوس وبوهيمند ، فضلا عن ارتباطات الكسيوس مع الفاطميين(٩٢) ، وبرغم كل هذه العقبات فقد

Raymond D. Aguilers : op. cit. p. 267.

الجستا : المصدر السابق ، تعريب حسن حبشى ، ص ١٠٦—١٠٧ .

(90) Raymond D. Aguilers : op. cit. p. 267.

الجستا : المصدر السابق ، تعريب حسن حبشى ، ص ١٠٦—١٠٧ .

(91) William of Tyre : op. cit. p. 327 sq.

Rey. E. : op. cit. pp. 328 - 29.

Cam. Med. Hist. : op. cit. p. 339.

Raymond D. Aguilers op. cit. p. 267.

(٩٢) انظر ما يلى ص ٥٦ — ٥٧ .

وعد الكسيوس الصليبيين بالحضور على شرط أن ينتظروه لمدة شهر .

تأكد للسفارة البيزنطية بشكل قاطع أن الصليبيين لا يعترفون باتفاقية القسطنطينية التى أبرمت بينهم وبين الكسيوس ، واعتبر الامبراطور أن بوهيمند هو المسئول الأول عن تدهور العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين(٩٣) .

وفى الوقت الذى نجد فيه الخصومة اشتدت بين الكسيوس وبوهيمند نجد أن هناك تقاربا بين الامبراطور الكسيوس وريموند صنجيل ، وذلك بالرغم مما حدث فى القسطنطينية من سوء تفاهم بين الاثنين فى عام ١٠٩٧ م(٩٤) ، ونلاحظ أن فتح انطاكية كشف فجأة العداوة بين بوهيمند وريموند ، ومهما يكن من قول أن ريموند كان يريد أنطاكية لنفسه الا أن الحقيقة التى لا يمكن انكارها ، تمسكه بالعهد(٩٥) الذى قطعه على نفسه للامبراطور ، وظل وفيا للامبراطورية مناصرا لها حتى وفاته .

وقد اتخذ الكسيوس ريموند حليفا مخلصا للبيزنطيين من بين الصليبيين ، ويبدو أن العلاقات تطورت بينهما فى أوائل عام ١٠٩٨ م وأصبحت فى صورة اتفاق(٩٦) .

---

(93) Ephraemius : op. cit. p. 154.

(٩٤) انظر ما سبق ص ٣٩ .

(٩٥) رغم أن ريموند رفض أن يؤدى يمين الولاء للامبراطور البيزنطى وأن يكون تابعا له ، الا أنه تعهد بأن يحافظ على وحياة الامبراطور : انظر ما سبق ، ص ٣٩ .

(96) Hugh. J. and Laurita, L.: The convention of Alexius Commenus and Raymond of Saint Gilles. pp. 326 - 27.

Chalandon, F.: op. cit. pp. 212, 218.

Comte Riant. P.: op. cit. pp. 189 - 90.

Brehier. L. ; op. cit., p. 314.

وسبب تلك العلاقات(٩٧) الطيبة بين الكسيوس وريموند هو تبادل المنافع بين الطرفين •

بدأ بوهيمند الحرب العلنية ضد البيزنطيين فى صيف عام ١٠٩٩م عندما شرع فى حصار مدينة اللاذقية محاولا انتزاعها من البيزنطيين بمساعدة الأسطول البيزى(٩٨) ، غير أن مدينة اللاذقية استطاعت المقاومة بفضل مساعدة الأسطول البيزنطى فى قبرس ، وعند عودة بعض زعماء الصليبيين من بيت المقدس فى سبتمبر ١٠٩٩ م تدخل ريموند صنجيل ومعه الزعماء المذكورين وطلبوا من بوهيمند الانسحاب ، ففك الأسطول البيزى الحصار عن المدينة(٩٩) •

حدثت مفاجأة ببلاد الشام اذ مات جودفرى دى بوايون ، وفكر الصليبيون فى تنصيب ريموند صنجيل ملكا على بيت المقدس لكنهم عدلوا عن ذلك ، عندما علموا بوجوده فى مدينة القسطنطينية(١٠٠) ، كما

---

(٩٧) عن علاقة ريموند بالامبراطور البيزنطى ، انظر جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٢٤٥ •

(98) Anna Comnena : op. cit. p. 292 - 94.

وصفت أنا كومنين هذه الحوادث عام ١١٠٣ م ، ولكن تبين من سردها للتفاصيل أن هذه الأحداث وقعت فى عام ١٠٩٩ م ، انظر : أيضا حاشية رقم ١١ :

Chalandon, F. : op. cit. p. 215, Chalandon.

انظر تفاصيل حصار اللاذقية فى :

Ordric Vitalis : op. cit. p. 745.
Brehier, L. : op. cit. p. 314.
Chalandon, F. : op. cit. pp. 215 - 2166.
Cam. Med. Hist., op. cit. p. 339.

أسد رستم : المرجع السابق ص ١٣٠ •

(99) Ordric Vitalis : op. cit. p. 745.
Chalandon, F. : op. cit. p. 216 - 218.

(100) Anna Comnena : op. cit. p. 288.

وقع بوهيمند أسيرا فى يد محمد الدانشـــمندى فى عام ١١٠٠ م وانتقل حكم مدينة أنطاكية الى تنكريد[١٠١] .

لم يستفد الكسيوس بسرعة من أسر عدوه بوهيمند ويوجه ضربة الى مدينة أنطاكية ، ذلك لأن الوقت الذى تم فيه الأسر لم يكن ريموند صنجيل موجودا فى الشرق ، كما أن وصول بعض الجموع الصـــليبية سنة ١١٠١ م ، عاق الكسيوس عن اتخاذ اجـــراء ضد بوهيمند ، وأدى فشل تلك الحملة الى تعميق الخلافات البيزنطية الصليبية حيث اتهـــم الصـــليبيون الامبراطور البيـــزنطى ، واعتبروه المســــئول الأول عن هزيمتهم[١٠٢] . فى حين أن هزيمة الصليبيين ترجع الى قوة السلاجقة واتحادهم مع أمراء بنى دانشمند .

ونتيجة لتلك الحملة تمكن تنكريد من أسر ريموند صنجيل ، وقد اتضح لتنكريد أن هناك اتفــاقا بين ريموند والامبراطور البيزنطى ، لمساعدة ريموند للاستيلاء على طرابلس ، وايجاد قاعـــدة عمليات فى جنوب أنطاكية للعمل ضد النورمان ، وقد اضطر تنكريد تحت ضـــغط

---

(101) Mathieu D. Edesse : op. cit. pp. 132 - 33.
Chronique de Michel le Syrien : op. cit. p. 189.
Vasiliev : op. cit. 409 - 410.
Ostrogorsky, G. : op. cit. pp. 323 - 24.
Chalandon, F. : op. cit. p. 221.

(102) Ekkehard : Hierosolymita. p. 30 in R.H. Occ., Vol. 5.
Albert D. Aix : p. 584, in R.H. Occ. Vol. 4.
William of Tyre. op. cit. p. 430 - 33.
Anna Comnena : op. cit. pp. 288 - 89.
Mathieu D. Edesse, op. cit. pp. 56 - 57.
Roger of Wendover : op. cit., pp. 454 - 55.
Chalandon, F. : op. cit. p. 231.

بطرك أنطاكية أن يطلق سراح ريموند بعد أن أخذ عليه التعهد اللازم بعدم التدخل فى شئون نطاكية(١٠٣) .

تمكن ريموند من الاستيلاء على مدينتى طرسوس وجبيل ، اللتين كانتا نواة المستقبل لانشاء امارة طرابلس ثم قام بحصار طرابلس بمساعدة الأسطول البيزنطى ، وقد أصبح مشغولا فى محاولته للاستيلاء على تلك المدينة ، ومنذ ذلك الحين ظل يلعب دورا متواضعا فى السياسة البيزنطية ، ولم يتحقق أمله فى الاستيلاء على طرابلس حتى وفاته فى ١١٠٥ م(١٠٤) .

حاول الكسيوس أن يتحالف مع ملك غازى الدانشمندى ويدفع له مبلغ ستة وعشرين ألف دينار فدية لاطلاق سراح بوهيمند وتسليمه للبيزنطيين ، غير أن ملك غازى فضل التحالف مع الصليبيين على التحالف مع البيزنطيين ، ورفض تسليم بوهميند للامبراطور الكسيوس ، وأضاع بذلك فرصة ثمينة على الامبراطورية البيزنطية كان من الممكن أن تستغلها فى المساومة على استرجاع حقوقها فى امارة أنطاكية . وقد تم اطلاق سراح بوهيمند فى صيف ١١٠٣ م(١٠٥) .

انتهز الكسيوس فرصة استيلاء تنكريد على مدينة اللاذقية وأراد

---

(103) Grousset, R. : op. cit. p. 322 sq.
Chalandon, F. : op. cit. p. 227.
Fink, H. : Foundation of the latin states pp. 395 - 96.

(104) Anna Comnena : op. cit. pp. 287 - 88.
Chalandon, F. : op. cit. p. 232.
Cam. Med. Hist. p. 341.

(105) Schulmberger : Numismatique de L. Orient Latin p. 30.
Mathieu D. Edesse, op. cit. pp. 69 - 70.
Michel Le Syrien : op. cit. p. 189.
Brehier, L. : op. cit. pp. 314 - 15.
Rey. E. : op. cit. pp. 330 - 31.

التركيز على المشكلة النورماندية فى أنطاكية ، وأرسل خطابا[١٠٦] الى بوهميند الذى كان خارجا لتوه من السجن ، ينذره بالعواقب الوخيمة التى سيتعرض لها لعدم قيامه بتنفيذ اتفاقية القسطنطينية ويطلب منه الانسحاب من أنطاكية وكل المدن الأخرى حتى لا يعرض نفسه لمزيد من الحروب ، ورد بوهميند على الكسيوس يخبره بأن اتفاقية القسطنطينية أصبحت ملغاة منذ أن عجز الامبراطور عن مشاركة الصليبيين فى فتح أنطاكية[١٠٧] .

وعندئذ أعلن الكسيوس الحرب على نورمان أنطاكية ، فاستولى على طرسوس وأذنه والمصيصة ، وحاصر الأسطول البيزنطى اللاذقية ، فى نفس الوقت الذى تعرض فيه الصليبيون لهزيمة ساحقة — على يد القوات الاسلامية فى موقعة حران سنة ١١٠٤ م[١٠٨] . وأصبحت أنطاكية معرضة للخطر من جانب البيزنطيين والمسلمين على حد سواء[١٠٩] ، وقرر بوهميند ترك امارته لابن أخته تنكريد والسفر الى أوربا لجمع قوات كبيرة يستطيع عن طريقها مواجهة الخطر البيزنطى والاسلامى ، فغادر ميناء السويدية فى ديسمبر ١١٠٤ م حيث وصل

---

(١٠٦) انظر : نص الخطاب ورد بوهيمند عليه :

Anna Comnena: op. cit. pp. 290 - 91.

(107) Loc. Cit.

(108) Mathieu D. Edesse: op. cit. pp. 71 - 72.
Anna Comnena: op. cit. pp. 281, 296 - 97.
Grousset, R.: L., Empire du Levant, p. 210.
Vasiliev: op. cit. p. 410.
Chalandon, F.: op. cit. pp. 235 - 36.
Ostrogorsky: op. cit. pp. 323 - 24.

(109) Rad de Can: Gesta Tancred. Expedition Hier-Oslymtana, in R.H. Occ. p. 712.

الى مدينة أبوليا Apulia في يناير ١١٠٥م(١١٠) .

أخذ بوهميند يتجول فى أوروبا متنقــلا بين ايطاليا وفرنســا واســبانيا ، ومعه نائب البابا ، يحــرض أوروبا عــلى الامبراطورية البيزنطية باعتبار الكسيوس خائنا لقضية الصليبيين ، متخذا من هزيمة الصــليبيين أمام ســلاجقة الروم فى عــام ١١٠١ م مادة خصــبة للدعاية(١١١) . مشوها سمعة الكســيوس ، وقد بذل الكسيوس جهــودا مضنية للرد على بوهميند محاولا التقــرب الى الحركة الصــليبية فى الشرق . كما حاول أن يمنع الجمهوريات الايطالية من التحــالف مع بوهيمند(١١٢) .

وفى عام ١١٠٥ م تدخل الكسيوس تدخلا مباشرا فى شئون بلاد الشام ، عندما مات حليفه ريموند صنجيل ، وأرسل الى خليفته وليــم جوردان سفارة محملة بالهدايا والأموال ، وطلب منه أن يؤدى يمين الولاء ، فضــلا عن هذه الجهود ، الدبلوماسية المكثفة ، فان الكسيوس أخذ يستعد عسكريا ويحشد قواته لمواجهة مخططات بوهيمند(١١٣) .

(110) Chronique de Zimmern : op. cit. p. 30.
Rad. de Can. op. cit. p. 712.
Anna Comnena : op. cit. pp. 297 - 98.
Michalis Glycas : op. cit. pp. 623 - 74.
Schulmberger, op. cit. p. 31.
Chalandon, F. p. 236.
Franzius, E. op. cit. pp. 323 - 24.
Ostrogorsky : op. cit. pp. 323 - 24.
Cam. Med. Hist. : op. cit. p. 341.
اسامة بن منقذ : لباب الأدب ، ورقة ص ٨٤ — ٨٥ .

(111) Roger of Wendover : op. cit. p. 462.

(112) Heyd. W. : Histoire du Commerce du Levant p. 192, t. 1.
Chalandon, F. : op. cit. p. 238.
Anna Comnena : op. cit. p. 300.

(113) Ibid. p. 290.
Chalandon, F. op. cit. 238.

نجح بوهيمند فى تأليب الرأى العام الأوربى ضد الكسيوس ، وأنزل فى ٩ أكتوبر ١١٠٧ م من أسطوله فى افلونه على شـــاطىء الادرياتيك بالقرب من دورازو ٣٤٫٠٠٠ مقاتل واستولى عليها بسرعة ، وضرب الحصار حول مدينة دورازو فى ١٧ أكتـــوبر ف١١٠ م ، وأراد بوهميند أن يكرر نجاح والده روبرت جويسكارد ضـــد الامبراطورية البيزنطية(١١٤) . وبعد أن تعرضت القوات النورماندية لمجاعة قاسية ، وأخذت مجموعة كبيرة من القوات تتعرض للموت ، فكر بوهيمند فى عقد اتفاقية سلام مع الامبراطور البيزنطى ، وقد جرت مفاوضات شاقة بين الطرفين انتهت الى عقد اتفاقية ديابوليس فى سبتمبر ١١٠٨ م وأصبح بوهيمند بمقتضاها تابعا للامبراطور البيزنطى(١١٥) .

تضمنت هذه المعاهدة الغاء اتفاقية القسطنطينية فى عام ١٠٩٧ م ورد جميع الأراضى التى استولى عليها بوهيمند بانتصاراته والتى كانت ملكا للامبراطورية البيزنطية فيما مضى ، ويلتزم بوهيمند باعلان الحرب

---

(114) Albert d, Aix : op. cit., pp. 650 - 51.
Anna Comnena : op. cit., p. 321 sq.
Fulcher of Charters : op. cit., p. 192.
William of Tyre : op. cit., p. 471.
Schulmberger : op. cit., p. 31.
Finlay : op. cit., p. 119 sq.
Miller A. : Essays on the Orient pp. 50 - 51.
Chalandon. F. : op. cit., pp. 244 - 45.
Michoud : Hist. of the Crusades p. 284, Vol. 1.
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(115) Anna Comnena : op. cit., p. 342 sq.
Albert d, Aix : op. cit., p. 652.
William of Tyre : Tyre : op. cit., pp. 471 - 72.
Schulmberger : op. cit., p. 31.
Fulcher of Charters : op. cit., pp. 192 - 93.
Chalandon. F. : op. cit., pp. 246 - 47.
Iorga. N. : Breve Histoire des Croisades pp. 77 - 78.

ضد تنكريد اذا رفض الخضوع للامبراطور البيزنطى • وتعهد بوهيمند بأن يكون تابعا مخلصا للامبراطور وولى العهد ابنه حنا كومنين ، ويعين بطرك أنطاكية من بين رجال الكنيســة البيزنطية ويقوم باختيــاره الامبراطور البيزنطى ، ويدفع الكســيوس مائتين وزن من الذهب لبوهيمند ، وتعهد الامبراطور بحمــاية الحجاج المســيحيين العابرين بأراضيه[١١٦] • وقد اعتبر النورمان معاهدة ١١٠٨ م مهينة بالنســبة لهم[١١٧] •

وعلى الرغم من أن تلك المعاهدة كانت هزيمة للنورمان فانه فى نفس الوقت لم تكن نصرا حاسما للبيزنطيين ، والامبراطور البيزنطى لم يستطع من ضغطه فى الغرب على بوهيمنــد ، أن يحقق شــيئا فى الشرق • غير أنه لا خــلاف فى أن هــذه المعاهدة بقيت الأساس فيما بعد بالنســبة للحقوق البيزنطية فى أنطــاكية وحلت محــل اتفاقيــة القسطنطينية فى عــام ١٠٩٧ م • كما وطدت هيبة ونفوذ الامبراطورية البيزنطية فى شبه جزيرة البلقان •

أخذت الأحداث تجرى بسرعة فى بلاد الشــام ، والكســيوس ينتظر تنفيذ معــاهدة عــام ١١٠٨ م فى الوقت الذى أخذت فيه قوة

---

(١١٦) انظر النص الكامل للاتفاقية :

Anna Comnena : op. cit., p. 248 - 58.

راجع أيضــا :

Albert d, Aix : op. cit., p. 652.
William : of Tyre : op. cit., pp. 471 - 72.
Fulcher of Charters : op. cit., pp. 192 - 93.
Ephraemius : op. cit., p. 154.
Grousset. R. : Hist. des Croisades pp. 418 - 19.
Chalandon. F. : op. cit., p. 246 sq.
La Monte : Byzantine empire and crusading pp. 253 - 54.
Rey. E. : op. cit., pp. 332 - 33.

أسد رستم : المرجع السابق ص ١٣٢ •

(117) Albert d, Aix : op. cit., 652.

الصليبيين تزداد فى بلاد الشام ، ففتحوا طرابلس بعد حصار دام سنتين فى عام ١١٠٩ م ، واستطاع الملك بلدوين الاستيلاء على بيروت ثم صيدا فى عام ١١١٠م[118] .

ويبدو أن الكسيوس شعر باليأس لعدم تنفيذ المعاهدة ، فحاول الاتصال بالجبهة الاسلامية فى بلاد الشام لتحريضها على الصليبيين ، فوصل الى بغداد أواخر سنة ١١١٠ م/٥٠٤ هـ رسول من الامبراطور الكسيوس يحمل رسالة الى السلطان السلجوقى محمد يحرضه فيها على قتال الصليبيين وطردهم من الشام[119] .

ويمكن تفسير ارسال السفارة البيزنطية الى بغداد فى ضوء فشل الكسيوس فى فرض السيادة البيزنطية على مدينة انطاكية وتهديد تنكريد للممتلكات البيزنطية فى قيليقية[120] .

مات بوهيمند منسيا فى مدينة تارنت بايطاليا مارس ١١١١ م ، وفقد الامبراطور البيزنطى الأمل بذلك فى تنفيذ المعاهدة ، لذلك أرسل الكسيوس رسالة الى تنكريد مع مندوبين يتهمه فيها بنكث العهود ؛ وقد رفض تنكريد مجرد الاستماع الى الرسالة وأهان السفارة البيزنطية[121] . وقد عادت السفارة برد تنكريد الذى أغضب الكسيوس ، ورأى أنه مضطر الى حرب جديدة ضد تنكريد ولكن مجلس السناتو قرر بالاجماع عدم دخول حرب ضد نورمان أنطاكية ، وطلبوا من

---

(118) Sigurd : Early travels in palestine pp. 58 - 59.

(١١٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ — ١٧٤ .
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ لوحة ٤٧ .
ــ ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(١٢٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(121) Rey. E. op. cit., p. 333.
Chalandon. F. : op. cit., p. 252.
Anna Comnena : op. cit., pp. 362 - 63.

الامبراطور معرفة موقف ملك بيت المقدس والامارات الصليبية[١٢٢] .

أرسل الكسيوس سفارة الى أمراء الصليبيين وملك بيت المقدس ، تحمل الهدايا والأموال لتحريض الأمراء والملك ضد تنكريد ، غير أن هذه السفارة فشلت فى تحقيق أهدافها[١٢٣] . ثم مات تنكريد بعد تلك الأحداث بقليل فى ١٢ ديسمبر ١١١٢م (٥٠٦ هـ)[١٢٤] .

رأى الكسيوس أن يجرى تعديلا فى سياسته فى أيامه الأخيرة ، فقد كان الكسيوس يعتبر نورمان أنطاكية أعداءه الرئيسيين ، وأن سلاجقة الروم أعداء أقل خطورة ، ولكن عندما بدأ يعد العدة لتوجيه ضربة الى سلاجقة الروم حاول ايجاد تسوية سلمية لمشكلة نطاكية مع روجر[١٢٥] . بوساطة زواج يعيد النفوذ البيزنطى الى أنطاكية ، ولذا أرسل سنة ١١١٨ م قبيل وفاته الى روجر شخصا يدعى رافندينوس Ravendinos يطلب منه يد ابنته لأمير شاب من عائلة كومنين[١٢٦] . ولكن رافندينوس وقع فى الأسر على يد الملك غازى أثناء معركة سهل

---

(122) Anna Comnena : Ibid p. 263.
Rey. E. : op. cit., p. 339.
Chalandon. F. : p. 252.

(123) Anna Comnena : op. cit., p. 367 sq.
Brehier. L. : op. cit., p. 316.
Cahen. C. : op. cit., p. 255.
Chalandon. F. : pp. 252 - 53.
Cam. Med. Hist p. 343.

(١٢٤) العظيمى : تاريخ العظيمى ص ٣٨٠ .
Michel le syrien : op. cit., p. 203.
Schulmberger : op. cit., p. 32.

(125) Ordric Vitalis : op. cit., p. 829.
Cahen. C. : pre Ottoman Turkey, p. 91.

(126) Ordric Vitalis : op. cit., p. 829.
Cahen. C. : La Syrie du Nord pp. 280 - 81.

البلاط فى عام ١١١٩ م (٥١٣ هـ) ، حيث لقى روجر مصرعه[١٢٧] • وعندما أطلق سراح رافندينوس حاول التفاوض مع الملك بلدوين الذى أصبح وصيا على أنطاكية ، ولكن التغييرات السياسية فى القسطنطينية وأنطاكية حالت دون ذلك[١٢٨] • وهكذا فان قوة السلاجقة فى آسيا الصغرى ، كانت من العوامل التى أدت الى تأجيل حل المشكلة النورماندية فى أنطاكية •

أما علاقة الخلافتين العباسية والفاطمية بالامبراطورية البيزنطية عند بداية القرن الثانى عشر للميلاد ، فنجد أن هذه العلاقات شهدت دفعة قوية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية عند وصول الصليبيين الى الشرق ، ذلك لاتفاق الخلافة العباسية والامبراطورية فى مقاومة الصليبيين واعتبارهم عدوا مشتركا • غير أن الكسيوس شعر بعدم قدرته على اعلان العدواة علانية ضد الصليبيين فى بلاد الشام على أساس أنه زعيم مسيحى ، لذلك لجأ الى السرية فى مساندة وتحريض المسلمين[١٢٩] • ومن الثابت أن الكسيوس قد أخطر الخلافة العباسية بقدوم الصليبيين استعدادا لمقاومتهم[١٣٠] •

تدخل الكسيوس حوالى عام ١١٠٣ م لدى الخلافة العباسية لاطلاق سراح أحد الصليبيين وهو الفيكونت هاربينوس Vicont Harpinus ذلك أن التجار البيزنطيين ذهبوا كالعادة للتفاوض مع وزراء الخليفة بشأن تقديم البضائع البيزنطية وبعد اتمام الصفقات

---

(١٢٧) ابن العديم منتخبات من تاريخ حلب ص ٦٢٥ •.
Rec. Hist. des Crois t. 111.
Ordric vitalis : op. cit., pp. 829 - 30.
Cahen. C. : La Syrie du Nord pp. 280 - 81.
(128) Ordric Vitalis : op. cit., p. 830.
Cahen. C. op. cit., pp. 280 - 81.

(١٢٩) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٧٣ — ١٧٤ •
Guiragos de Kantzag, p. 413, in Doc, Arm.

(١٣٠) العظيمى : المصدر السابق ص ٣٧١ •

كان يسمح لهم بزيارة الكنائس ومنازل النصارى المحتاجين والسجون فى بغداد ، فالتقوا بهاربينوس فى أحد السجون وحملهم رسالة الى الامبراطور الكسيوس يطلب منه فيها التوسط لدى بغداد لاطلاق سراحه ، وعندما أرسل الكسيوس يطلب اطلاق سراح السجين استجابت بغداد لطلب الامبراطور وأحسنت معاملة هاربينوس لعدة أيام ثم حملوه بالهدايا وأعادوه الى الكسيوس[١٣١]. وهذا دليل على العلاقات الودية بين بغداد والقسطنطينية . كما كانت هناك عدة اتصالات بين الكسيوس كومنين والخلافة العباسية فى الفترة ما بين سنتى ١١٠٤ — ١١٠٥ م ، لتخطيط التعاون بين البلدين ضد الصليبيين ، فقد توجهت عدة سفارات فى تلك الفترة من القسطنطينية الى بغداد لتحريض المسلمين لقتال الصليبيين[١٣٢] .

ومن شواهد العلاقات الطيبة بين بغداد والقسطنطينية ، أن رافنديتوس وهو أحد قواد الكسيوس الكبار[١٣٣] ، عندما وقع فى الأسر عقب موقعة سهل البلاط[١٣٤] ، فان المسلمين لم يمسوه بسوء عندما علموا أنه من البيزنطيين ، بل سالموه حفاظا لحسن الجوار واكراما للامبراطور ، وأطلقوا سراحه بعد أن حصلوا على فديته[١٣٥].

كذلك حاول الامبراطور الكسيوس التقارب من الفاطميين للتعاون معا ضد السلاجقة عامة ، ويدل على ذلك نصيحة الكسيوس للصليبيين قبل تحركهم الى الشام لعقد صداقة مع الفاطميين[١٣٦] . وعندما

(131) Ordric Vitalis : op. cit., pp. 773 - 774.
(132) Ekkehard : op. cit., p. 31.
(133) Ordric Vitalis : op. cit., p. 745.
(١٣٤) انظر ما سبق ، ص ٦٦ .
Ibid p. 829.
(135) Loc. Cit.
(136) Tudeodus : Historia Peregrinsrum p. 181 in R. H. Occ. t. 3.
Comte Riant. p. op. cit., pp. 146 - 47.
Runciman : A Hist. of Crusades pp. 315 - 16 Vol. 1.

بدأ الصليبيون حصار مدينة نيقية أرسلوا فى ١٢ يونية تقريبا عـام ١٠٩٧ م سفارة الى الأفضل وزير المستعلى فى القاهرة بناء على نصيحة الكسـيوس(١٣٧) ٠

وفى فبراير عـام ١٠٩٨ م بينما كان الصيلبيون يحاصرون مدينة أنطاكية وصلت سفارة من القاهرة للتفـاوض مع الصليبيين(١٣٨) ، ويبدو أن الفاطميين عرفوا حماس وعزم الصليبيين على فتـح بيت المقـدس عن طريق سـفارة نيقيـة ٠ لذلك عرض الفاطميـون على الصليبيين التحالف على شرط أن يقف الصـليبيون بفتوحاتهم عنـد أنطاكية ، ويكون للفاطميين جنوب الشام بما فى ذلك بيت المقدس ، على أن يكفل الفاطميون حرية وصـول الحجـاج الغربيين الى بيت المقـدس : والسماح لهم بالبقاء لمدة شهر واحد ، وقد رفض الصليبيون هذه الشروط ، وعادت السفارة الفاطمية الى القاهرة ترافقها سفارة من الصليبيين(١٣٩) ٠

عندما رأى الفاطميون موقف الصليبيين أصبح حرجا أمام أنطاكية، ألقوا بسـفراء الصليبيين فى سـجون القـاهرة ، وقطع الأفضـل المفاوضات مع الصليبيين ٠ وقد بقى هؤلاء السفراء مدة طويلة فى سجون القاهرة بفضل معاضدة الكسيوس للفاطميين ومساندته لهم عن طريق الخطاب الذى أرسله للقاهرة ، والذى أدى الى صلابة الموقف

---

(137) Tudeodus : op. cit., p. 181.
Camte Riant. P. : op. cit., pp. 146 - 47.

(138) William of Tyre : op. cit., pp. 223 - 24.
Hagnmeyer. H. : Chronolgie p. 536.
Michoud : op. cit., p. 138.
Chalandon. F. : pp. 206 - 207.

(139) Ramond d, Agiles : op. cit., p. 277.
Hagenmeyer. H. : Chronologie : op. cit., p. 546.
Michoud : op. cit., p. 138 - 40.
Chalandon. F. : op. p. 207.

الفاطمى ضد الصليبيين[١٤٠] • ذلك الخطاب الذى اكتشفه الصليبيون عند انتصارهم على الأفضل بالقرب من عسقلان ١٠٩٩ م (٤٩٢ هـ)•

كشفت مفاوضات الصليبيين مع الفاطميين العلاقات الوطيدة بين الفاطميين والبيزنطيين ، وأن هناك تخطيطا كان يجرى بين الدولتين للوقوف ضد الصليبيين ، ومن الشــواهد على العــلاقات الودية بين الفاطميين والبيزنطيين ، الوساطة التى قام بها الكسيوس يريد بذلك أن يقوم بدعاية مضادة للاشاعات التى روجها بوهيمنــد ضــده فى الغرب الأوربى عندما سافر الى ايطاليا فى ١١٠٥ م (٤٩٨ هـ)[١٤١] وحتى يثبت العكس فقد أرسل سفارة على رأسها نيقتاس بانوكوميتس Nicitas Panucomites تحمل خطابا للخليفة الفاطمى يطلب فيــه اطلاق سراح أسرى الصليبيين الموجودين فى سجون القاهرة • وقد تم بها الكسيوس ، ويبدو أنهم أرادوا أن يكون اطلاق سراح ثلاثمائة أسير من الصليبيين معروفا خالصا للامبراطور[١٤٢] ، واعترافا بروابط الصداقة بين البلدين •

ولا شك أن اطلاق سراح عدد كبير من الأسرى لشخصيات صليبية كبيرة ومهمة بمجرد ما طلب الامبراطور البيــزنطى ذلك ، يدل دلالة واضحة على العلاقات الوطيدة والتعاون المتبادل الذى كان يجرى سرا بين الطرفين •

* * *

---

(١٤٠) انظر التفاصيل عن خطاب الكسيوس

Raymond d, Agiles : op. cit., p. 277.

راجع أيضا :

Comte Riant. P. : op. cit., pp. 174 - 75.

Chalandon. F. : op. cit., p. 207.

Runciman : The Estern Schism p. 93.

(141) Ramond d, Agiles : op. cit., p. 277.

(142) Anna Comnena : op. cit., p. 301.

تولية حنا كومنين عرش الدولة البيزنطية :

واجه حنا كومنين[١٤٣] صعوبات جمة من أفراد أسرته لكى يصل الى عرش الامبراطورية ، فعندما اعتلى الكسيوس كومنين العرش اعترف بأن وريثه فى عرش الامبراطورية قنسطنطين دوكاس بن ميخائيل السابع على أن يتزوج قنسطنطين أنا كومنين كبرى بنات الامبراطور الكسيوس كومنين ، ولكن عندما رزق الامبراطور الكسيوس بابنه الأول حنا نقل وراثة العرش اليه فى عام ١٠٩٢ م ، الأمر الذى أدى الى نشوب النزاع مع أسرة دوكاس ، غير أن موت قنسطنطين دوكاس فى عنفوان شبابه بعد ذلك بقليل أدى الى انهاء تلك المشكلة[١٤٤] .

تزوجت أنا كومنين للمرة الثانية من النبيل نقفور بريين فى عام ١٠٩٧ م وحاولت نقل عرش الامبراطورية اليه بعد أن منح لقب قيصر ، وكان نقفور عالما فى الآداب والفلسفة ، وميالا للدراسة والبحث وكان مرموقا فى البلاط الامبراطورى ، ويقوم بتصريف الأمور فيه ، ويصدر الأوامر كالامبراطور ، وكانت الامبراطورة ايرين والدة

---

(١٤٣) كان الامبراطور حنا كومنين دقيقا فى شئونه الخاصة بحيث كان يهتم بطريقة قص شعره وشكل حذائه ، وقد أبعد عن البلاط الامبراطورى كل خلاعة وفحشاء ، وألغى حفلات البذخ واعتبر ذلك فسادا ، وكان يجعل من نفسه قدوة للسلوك العام ويدعو الآخرين للاقتداء به ، وكان يتحلى بكل الفضائل ، وكان لا ينبذ الحياة الاجتماعية والضحك المتحفظ . انظر :

Nicetas. CH : Historia in Corpus p. 63.

Ephraemuis ; De Alexio monneno in Corpus pp. 158 - 59.

(144) Prodromos. T. : In M. P. G. t. 133 p. 1392.

Zonaras J. : Epitome Historiarum in Corpus, t. 3 pp. 732 - 33.

Ostrogorsky of the Byzantine state, p. 334.

انا كومنين تصفه بالفصاحة ، وبالحكمة فى الادارة ، وتوقع الجميع أن يصل نقفور الى العرش(١٤٥) .

عندما تقدم الكسيوس كومنين فى السن أصبح ملاصقا للامبراطورة ايرين التى زاد نفوذها ، وعندما أصيب بالمرض فى أواخر أيامه وأضحى لا يستطيع السير ، كانت السلطة كلها فى يد الامبراطورة ، يساعدها فى ذلك ابنتها أنا كومنين وزوجها نقفور بريين ، وفكرت فى نقل السلطة اليها بعد وفاة زوجها الامبراطور ، فقد اعتقدت الامبراطورة أنها أصبحت وابنتها أنا كومنين ضليعتين فى فهم أسرار الحكم والسياسة ، ولذلك بذلت كل جهدها لاقناع الامبراطور الكسيوس بترشيح القيصر نقفور بريين لعرش الامبراطورية بدلا من ابنها حنا كومنين(١٤٦) ، واستخدمت كل الوسائل لبذر الشقاق بين الامبراطور الكسيوس وابنه حنا ، ولكن الامبراطور كان مقتنعا بقدرات ومواهب ابنه حنا ، وبأنه جدير بأن يكون ابن أبيه ، وكان يقول (أنه لم يسبق أبدا أن أعطى أحد الملوك الملك لابنته بدلا من ابنه ، ثم ان حدث ذلك فانما عن طريق الاستثناء ، وانا لن أتبعه قط كى لا أصبح سخرية لغيرى لترك ولدى وتولية عرشى لأحد المقدونيين)(١٤٧) .

لم تقتنع ايرين برأى الكسيوس وعملت على أن تجمع حولها كبار رجال الجيش والوزراء ، وأن تحصل منهم على الوعود بأن لا يسلموا الحكم الى ابنها ، وكان حنا كومنين يراقب الموقف من بعد ويحاول

---

(145) Nicephorus Bryennus : Commentariarum, in Corpus, pp. 17 - 18.
Zonaras. J. : op. cit., p. 754.
Mccabe. J. The empresses of Constantionple pp. 212 - 13.
(146) Ephreamius : op. cit., p. 161.
Zonaras. J. : op. cit., pp. 747 - 48.
Finlay : op. cit., p. 128.
Bailly : Byzance u. 2 325.
(147) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 9 - 10 in Corpus.

أيضا أن يجمع حوله الأنصار والاتباع لكى يقفوا معه ضد أمه • وحاولت الامبراطورة اريين أن تمنع حنا من الاتصـــال بذوى الشـــأن فى الامبراطورية ، وجعلت عليه الجواسيس ، ولكن حنا لم يبال واستمر فى جذب الناس اليه(١٤٨) •

وازاء هذا الوضع قرر الكسيوس كومنين ن يكون ابنه حنا وريثه على عرش الامبراطورية ، ويبدو هذا واضحا فى اصرار الامبراطور الكسيوس على أن ترافقه الامبراطورة فى أواخر أيامه ، فى جميع حملاته على آسيا الصغرى ، ولم يتركها بالعاصـــمة حتى لا تتآمر عليه وتدبر انقلابا ضده •

وفى ١٥ أغسطس عام ١١١٨ م عندما ساءت حالة الامبراطور الكسيوس ، وتوقع الجميع وفاته • دخل حنا كومنين غرفة والـده منتهزا غياب الامبراطورة ايرين ، وتمكن من الحصول على الخـــاتم من أصبع الامبراطور مع الختم الامبراطورى ، وخـــرج سريعا من القصر ومعه أخاه اسحاق كومنين ، وامتطى فرسه محاطا بالمسلحين من أتباعه وتوجه الى القصر الكبير ، ووجد صعوبة فى دخوله ولم يسمح له الحـــرس بالدخـــول الا بعد ن أبـــرز خاتم الامبراطور وأكد لهم موته(١٤٩) • وعنـــدما علمت الامبراطورة ايرين بذلك ارتاعت وطلبت من حنا كومنين عدم الاقدام على مثـــل هذا العمل ، وعندما رفـــض الاذعان لها حاولت ن تحرض نقفور بريين على أن يستولى على الحكم بمساعدتها •

---

(148) Zonaras. J. : op. cit., p. 748.

(149) Ibid p. 261.

Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 9 - 10.

Goodacre, H. Handbook of the Coinage of the Byzantine empire p. 270.

Le Beau, op. cit., pp. 473 - 74.

Franzius. E. : op. cit., p. 311.

ولكنه لم ينجح فى ذلك[١٥٠] ، وذهبت بعد ذلك الى زوجها وهو على فراش الموت تصرخ معلنة بأن حنا يحيك المؤامرات وأنه استولى على السلطة فى البلاد ووالده مازال على قيد الحياة ، وبينما كانت تصرخ وتبكى فاضت روح الامبراطور . وهكذا وصل حنا كومنين الى عرش الامبراطورية محققا بذلك رغبة الكسيوس كومنين[١٥١] .

لم ترض أنا كومنين الطموحة بقدرها فتورطت فى تدبير مؤامرة ضد شقيقها حنا كومنين بعد أيام قليلة من وصوله الى الحكم ، حيث التف حولها عدد من النبلاء والوزراء السابقين الذين طردهم حنا كومنين ، بعد أن راودته الشكوك فى اخلاصهم له ، وكانت الخطة تعد لقتل حنا كومنين داخل القصر عن طريق رشوة حراس القصر ، وكادت المؤامرة أن تنجح لولا تردد وتقاعس نقفور بريين زوج أنا كومنين لأنه عارض وقاوم المتآمرين للقيام بمثل هذا العمل الذى يتنافى مع

---

(١٥٠) كان نفوذ الامبراطورة ايرين كبيرا فى الأيام الأخيرة من حياة الكسيوس ، بل أن السلطة كلها كانت فى يدها ، وكان بريين زوج ابنتها أنا كومنين ينفذ أوامرها فى ادارة الامبراطورية ، وكانت ايرين تضع اللمسات الأخيرة لنقل الحكم الى بريين لتجعل منه مجرد واجهة ، ويبدو أنه وافق على خطتها وقد انضم الى بريين عدد كبير من رجال الجيش وأعضاء السناتو النبلاء ، وخرجت ايرين للاطمئنان على الترتيبات الأخيرة للمؤامرة وتقديم الرشوة للحرس الامبراطورى وعندما عادت الى حجرة الكسيوس ووجدت حنا كومنين قد انتزع خاتم الملك من والده ، فثارت ايرين أن تدفع بريين للقيام بمحاولة أخيرة لمنع حنا كومنين بالقوة ولكن زمام الموقف كان قد انتقل الى حنا كومنين وانفض أنصار بريين من حوله . انظر :

Nicephorus Bryennus : op. cit., p. 18.
Zonaras. J. : op. cit., p. 753.
Nicetas, Ch. : op. cit., p. 10.

(151) Zonaras. J. : op. cit., p. 764.
Nicetas. Ch. : op. cit., p. 10.

المثل العليا ، وقد اعتبرته أنا كومنين مسئولا عن فشل المؤامرة[١٥٢] .

اكتشف حنا كومنين المؤامرة ولكنه لم يلجأ الى استخدام القسوة ضد المتآمرين بل فرض عليهم مصادرة بعض أملاكهم واستولى على القصر الفخم الذى كانت تسكنه أنا كومنين ، وأهداه الى وزيره الأول وصديقه الحميم اكسوخس Axouch ، وهو الوزير الوحيد الذى أبقاه حنا كومنين من وزراء أبيه ، وقد نصح أكسوخس الامبراطور حنا بعدم استخدام القسوة مع المتآمرين ، كما رفض أن يخصص له قصر أنا كومنين ، وطلب من الامبراطور أن يرد القصر الى أخته أنا زعيمة المؤامرة ، وأن يعفو عنها ، وقد استجاب الامبراطور لنصـائح وزيره وتصالح مع شقيقته ورد لها جميع موالها[١٥٣] .

* * *

---

(152) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 15 - 17.
Chronique de Michel le Syrien : op. cit., p. 204.
Bar Hebraeus, Abulfarj : op. cit., p. 248.
Mccabe. J. : op. cit., pp. 215 - 16.
Runciman : op. cit., pp. 208 - 209.
Finlay : op. cit., p. 131.

(153) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 17.
Ephraemius : De Ioanne Comneno in Corpus p. 161.

الفصل الثانى

الامبراطور حنا الثانى كومنين والصليبيون

مقدمات النزاع واحياء مشكلة أنطاكية — محاولة حنا كومنين حل مشكلة أنطاكية سلميا — لجوء الأميرة أليس الى الامبراطور البيزنطى — زواج ريموند دى بواتيه من الأميرة كونستانس واستخدام حنا كومنين القوة لحل مشكلة أنطاكية — اعتراف ريموند بسيادة الامبراطورية البيزنطية على أنطاكية — تحالف البيزنطيين والصليبيين ضد مسلمى الشام — تفكك الحلف البيزنطى الصليبى وأثره — محاولة حنا كومنين دخول بيت المقدس بالقوة .

استتب الأمن فى الجبهة الداخلية بعد أن قضى الامبراطور حنا كومنين على مؤامرات أفراد أسرته ، وعزم أن يسير على سياسة أبيه تلك السياسة التى كانت تعطى أولوية للشرق •

ركز حنا كومنين على السياسة الشرقية تركيزا كاملا نظرا لأهمية هذه المنطقة بالنسبة للامبراطورية ، واذا كان الامبراطور الكسيوس حافظ على حدود الامبراطورية وحال دون فقد المزيد من جزائها فان حنا كومنين حاول أن يعيد ما فقدته الامبراطورية من ولايات فى آسيا الصغرى ، وأن يعيد نفوذ الامبراطورية فى بلاد الشام ، وقبل أن يتفرغ الامبراطور حنا كومنين للسياسة الشرقية عمل أولا على تأمين الامبراطورية فى الغرب وشبه جزيرة البلقان •

بدأ حنا كومنين بمحاولة القضاء على البانجاك الذين استعادوا قوتهم بعد التدمير الذى تعرضوا له فى عام ١٠٩١ م على يد الامبراطور الكسيوس كومنين ، ونشأ جيل جديد تشبع بروح الانتقام من البيزنطيين ، فعبروا نهر الدانوب فى أواخر عام ١١٢١ م ، ووصلوا الى جنوب شبه جزيرة البلقان محاولين التقدم نحو مدينة القسطنطينية، فخرج حنا كومنين على رأس قوات كبيرة لايقاف تقدمهم وحاول فى البداية التفاوض معهم لعقد اتفاقية سلام غير أن تلك المحاولة باءت بالفشل واضطر الى دخول المعركة ، وحسب عاداتهم فانهم أحاطوا معسكرهم بعربات ، ودافعوا عن أنفسهم ، وعندما فشل البيزنطيون بعد عدة أيام فى اقتحام العربات ، نزل الامبراطور حنا عن فرسه وأمر جميع الفرسان أن يحاربوا مترجلين ، وازدادت الحرب عنفا ، وتمكن البيزنطيون من ذبح معظم قوات البانجاك وقبضوا على رؤسائهم وعدد كبير من الرجال ، بيع بعضهم فى سوق الرقيق ، والبعض الآخر تم

استيطانهم فى ولايات الامبراطورية مع منحهم اقطاعات عسكرية للعمل فى القوات البيزنطية[1] .

وهكذا استطاع حنا كومنين القضاء على البانجاك فى عام ١١٢٢ م قضاء تاما ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك التاريخ ، وقد أصبح ذلك اليوم عيدا قوميا لدى البيزنطيين لسنوات طويلة[2] .

تحول حنا كومنين بعد ذلك الى الحرب فى شبه جزيرة البلقـان وكان هؤلاء الصربيون يسببون متاعب للامبراطورية منذ عهد الكسيوس كومنين الذى عجز عن صدهم وقد استطاع أحد ملوكهم وهو قنسطنطين بودن Constantin Bodin أن يوسع رقعة دولته مكونا مملكة قوية ، واعتاد الصربيون القيام بغارات متكررة على حدود الامبراطورية البيزنطية ، وفى عام ١١٢٣ م ، قاموا بهدم وتخريب قلعة رأس Ras [3] فى شبه جزيرة البلقان ، وانتهز حنا كومنين الفوضى التى سادت هذه المملكة بعد موت قنسطنطين بودن فى نفس العام وجرد حملة كبيرة وانتصر عليهم انتصارا حاسما ، وأرغمهم على الاستسلام والخضوع للسيادة

---

(1) Chronique de Michel le Syrien pp. 206 - 207, t. 3
Le Beau, Ch. : Histoire du Bas empire pp. 473 - 74 t. 9.

(2) Chronique de Michel le syrien pp. 206 - 207, t. 3.
Prodromos. T. : 1339 in M. P. G. t. 133.
Ostrogorsky : History of the Byzantine state p. 335.
Vasiliev : Byzamtium and crusades p. 413.
Brehier. L. Le vie et mort de Byzance pp. 321 - 22.
Walter. G. : La vie quotidienne a Byzance p. 23.
Le Beau, Ch. : Histoire du Bas empire pp. 473 - 74.
t. 9.
عمركم ال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٣٦ .

(٣) استدعى حنا كومنين الى القسطنطينية كريتوبوليس Critoplus الذى كان مكلفا بحماية القلعة وألبسه زى النساء وأركبه حمارا طاف به الميدان الكبير تأنيبا له لتخاذله وضعفه أمام قوات الصرب . انظر :
Cinnamus. Epitome Historiarum in Corpus pp. 12 - 13.

البيزنطية ، واستولى منهم على غنائم كثيرة وأرسل عـددا كبيرا من الأسرى للاستقرار فى نيقوميديا بآسيا الصغرى ، غير أن اقليم راسكيا Rascia من هذه البلاد ظل مستقلا وأصبح مركزا رئيسيا للمقاومة الوطنية(٤) .

كذلك حاول الامبراطور حنا كومنين أن يتخذ زواجه من الأسرة المالكة ذريعة للتدخل فى مشكلات الوراثة لفرض السيادة البيزنطية على هنغاريا ، اذ كان نظام الوراثة فى هنغارية يقضى بأن يخلف الملك فى الحكم أكبر أخواته الذكور وليس أولاده ، وقد أدى هذا النظام الى صراع بين أفراد الأسرة المالكة ، فعندما كان يرزق أحد الملوك ولدا ويريد أن يحتفظ له بالعرش ، ويقوم بسمل أعين أخوته حتى لا يصلوا الى الحكم ، وحدث أن هرب بلا Bela الأعمى من هنغاريا بعد أن سملوا عينيه ، ولجأ الى الامبراطورية البيزنطية ، وعندما طلـب ملك هنغاريا اعادته رفض حنا كومنين ، وأراد اعادة بلا الى عرش هنفاريا ، لذلك حاول ملك الهنغاريين غزو أراضى الامبراطورية ، فخرج اليـه حنا كومنين فى عام ١١٢٤ م على رأس قوات كبيرة ، وتوغل فى أمـلاك الدولة الهنغارية ، وعاد الى القسطنطينية بعد أن لقن ملك الهنغاريين درسا قاسيا ، غير أن هنغاريا أعلنت الحرب مرة أخـرى على الدولة البيزنطية فى عام ١١٢٨ م ، وتوغلوا فى الأراضى البيزنطية ، فخرج اليهم حنا كومنين على رأس قواته وأرغمهم على الانسحاب وتوصـل

(4) Prodromos T. : op. cit., pp. 1339 - 40.

Nicet. Ch : Historia p. 22, in Corpus.

Cinnamus : op. cit., pp. 12 - 13.

Ostrogorsky : op. cit., p. 335.

Franzius, E. : History of the Byzantine Empire pp. 314 - 15.

عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٣٧ .

الى صلح مع هنغاريا(٥) .

كذلك حاول الامبراطور حنا كومنين التخلص من المعاهدة التجارية التى اضطر الكسيوس كومنين الى عقدها مع جمهورية البندقية ، بسبب حربه مع روبرت جويسكارد والتى منح بمقتضاها البندقية امتيــازات تجارية باهظة ، فرفض حنا تأكيد هذه الامتيازات ، فقامت جمهــورية البندقية بمهاجمة الأراضى البيزنطية ، ونظرا لضعف الأسطول البيزنطى اضطر الامبراطور حنا الى التراجع والموافقة على تجديد المعاهدة فى عام ١١٢٦ م بنفس لشروط السابقة(٦) ، وأصبحت البندقية تبعا لذلك حليفة للامبراطورية البيزنطية تقوم بتقديم المساعدات البحرية عندما يطلب منها ذلك(٧) .

وفى العام التالى اتحدت صقلية وجنوب ايطاليا تحت امرة روجر الثانى الذى بعث القوة النورماندية من جديد ، وورث عن أجــداده النورمان كراهية بيزنطة ، فادعى بأحقيته فى حكم أنطاكية ، واعتبر حنا

---

(5) Prodromos. T. : op. cit., p. 1393.
Nicetas. Ch : op. cit., p. 7.
Hussey. J. M. : The Byzantine World p. 57.
Visaliev. op. cit., pp. 413 - 14.
Matthieu. M. : Cinq poisies Byzantines, pp. 140 - 41.
Ostrogorsky : op. cit., p. 336.
Le Beau. Ch : op. cit., pp. 14 - 15.
عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(6) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 23 - 25.
Heyd, W. : Histoire du Commerce du Levant pp. 195 - 96.
Leutchenko M. : Byzance des Origines A 1453 p. 229.
Walter. G. : op. cit., p. 23.
Hussey J. M. : John Relation with Hungary, in Cam. Med. Hist, Vol., 4, pp. 221 - 222.
Franzius. E. : op. cit., p. 315.

(٧) انظر ما سبق فى الفصل الأول ص ٢٥ .

كومنين ذلك تهديدا ضمنيا للامبراطورية لذلك سعى حنا لعقد تحالفات مع الغرب ، فحدث تقارب بينه وبين لوثر الثانى ملك ألمانيا الذى كان يخشى هو الآخر خطر النورمان وعقد معه تحالفا ينص على اشـــتراك بيزنطة وألمانيا فى صد أى هجوم يقع من النورمان على الدولتين ، ثم بعد موت لوثر الثانى سنة ١١٣٩ م تحالف حنا مع خليفته كونراد الثالث بنفس الشروط السابقة(٨) .

وفى عام ١١٣٦ م جدد حنا كومنين المعاهدة التى سبق أن عقدها والده الكسيوس كومنين ، مع جمهورية بيزا ، كما حرص على التقرب من البابوية فقدم مع حليفه لوثر الثانى المساعدات العسكرية للبـــابا انوسنت(٩) الثانى فى نزاعه مع روجر الثانى فى جنوب ايطاليا ، حتى يقضى على الدعاية السيئة التى روج لها النورمان والتى تتهم البيزنطيين بالهرطقة وبأنهم أعداء للحركة الصليبية فى الشرق ، وهكذا أشـــاع حنا كومنين السلام فى الغرب استعدادا لاستخدام القوة فى الشرق(١٠) .

---

(8) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 25.
Heyd. W. : op. cit., pp. 195 - 196.
Hussey. J. M. : op. cit., pp. 222 - 23.
Ahrweiler, H. : Byzance et la mer p. 227.
Brehier. L. : op. cit., p. 326.
Ostrogorsky : op. cit., pp. 336 - 37.
William of Tyre : A Hist. of deeds p. 24, Vol. 11.
Levtchenks. M. V. : Byzance p. 229.

(٩) أرسل الامبراطور حنا كومنين خطابا للبابا انوسنت الثانى بعد عودته من بلاد الشام فى عام ١١٣٨ م يقترح فيه وضع حد فاصل بين سلطة البابوية وسلطة الامبراطورية ، وكان حنا يأمل أن يصل الى اتفاق مع البابا قبل محاولته الثانية للسيطرة على انطاكية . انظر :
Hussey. J. M. : op. cit., p. 224.

(10) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 25.
Heyd. W. : op. cit., pp. 195 - 96.
Hussey. J. M. : op. cit., pp. 222 - 23.
Ahrweiler. H. : op. cit., p. 227.
Ostrogorsky. : op. cit., pp. 336 - 37.
Brehier. L. : op. cit., p. 326.

قام الامبراطور حنا كومنين باخضاع القوى الاسلامية من سلاجقة ودانشمنديين فى آسيا الصغرى[١١] بالقدر الذى يمكنه من الوصول الى بلاد الشام . لأن شغله الشاغل كان اخضاع الصليبيين الذين استقروا فى بلاد الشام فى محاولة لاعادة الحياة للتجارة البيزنطية التى كادت تتوقف بعد أن سيطرت المدن الايطالية على التجارة وبعد أن حصلت على امتيازات ضخمة من الصليبيين فقد توقف التبادل التجارى لغرب أوروبا مع فارس ومصر والشام والهند عن طريق المرور فى البسفور وأصبحت المدن الايطالية هى الأسواق التى تمون ايطاليا وفرنسا وألمانيا بالبضائع الشرقية ، ويبدو أن تجارة القسطنطينية انخفضت الى النصف فى غضون الخمسين سنة التى تلت الحملة الصليبية الأولى ، وانتهت هيمنة القسطنطينية على تجارة أوروبا[١٢] .

وتعتبر مشكلة أنطاكية هى حجر الزاوية فى علاقة حنا كومنين بالصليبيين فى الشام ، ومن المعروف أن تنكريد أوصى قبل وفاته سنة ١١١٢ م بأن يتولى روجر سالرنو حكم أنطاكية ورغم أن ذلك يعتبر خروجا على قانون الوراثة ، فانه كان بدافع المصلحة العامة وبصفة استثنائية ، لأن أنطاكية كانت فى حاجة الى حاكم قوى فى تلك الفترة ، فى الوقت الذى كان فيه بوهيمند الوريث الشرعى صغير السن ، وفى نفس الوقت أوصى تنكريد بضرورة نقل الحكم الى بوهيمند عندما يصبح قادرا[١٣] . وبعد موت روجر أثناء معركة سهل البلاط سنة ١١١٩ م[١٤] ، ظلت امارة أنطاكية تحت وصاية بلدوين الثانى ملك بيت المقدس ، ولكن بلدوين وقع بدوره فى أسر المسلمين سنة ١١٢٣ م . وعندئذ أرسل أعيان أنطاكية أكثر من وفد لاستدعاء بوهيمند الثانى من

---

(١١) انظر ما يلى الفصل الخامس :

(12) Levtchenko. M. V. : op. cit., p. 239.

Ahrweiler H. : op. cit., p. 229.

(13) Chroni que de Michel le Syrien op. cit., p. 203.

(١٤) انظر الفصل الأول ، ص ٥٤ .

ايطاليا لاستلام امارته ، الا أن أمه أبقته معها الى أن عاد الملك بلدوين من الأسر(١٥) .

أبحر بوهيمند الثانى فى سبتمبر عام ١١٢٦ م فى طريقه الى الشرق ليتولى حكم أنطاكية ، وقام ملك بيت المقدس بتزويج ابنته الثانية أليس من بوهيمند حتى يوطد العلاقات السياسية بين البلدين(١٦) .

وفى عام ١١٣٠ م قتل بوهيمند الثانى أمير أنطاكية فى أثناء حربه ضد المسلمين فى شمال الشام ، وشعر نبلاء أنطاكية بفــراغ كبير ، وخشوا من تعرض المدينة للخطر من قبل المسلمين والبيزنطيين على حد سواء ، لذلك قرروا استدعاء الملك بلدوين الثانى ، لكن أليـس أرملة بوهيمند الثانى ، كانت قد بدأت ترسم خطة بعد وفاة زوجها للاحتفــاظ بحكم أنطاكية لنفسها واســتبعاد ابنتها الطفلة كونســتانس الوريثة الشرعية ، ورفضت استدعاء أباها لتبقى السلطة العليا بيدها فى أنطاكية، وحتى تستند الى قوة تحميها أرسلت الى عماد الدين زنكى ســفراء تطلب مساعدته لتنفيذ مشروعها ، ولكنها لسوء حظ أليس وقع الســفراء فى يد الملك بلدوين الثانى ، وقصوا عليه تفاصيل المؤامرة ، وعند وصول الملك بلدوين الثانى الى أبواب أنطاكية حاولت أليس منع أبيها من دخول المدينة ، وبعد انتصاره عفا عنها وتم عزلها عن الوصاية مع منحها مدينتى جبيل واللاذقية(١٧) . ويبدو ن الملك بلدوين أراد أن يولى جوسلين على

---

(15) Ordric Vitalis : Historia Ecclesiastica p. 831 in M. P. L.

(16) Loc. Cit.

(17) William of Tyre : op. cit., pp. 43 - 44.
Bar Hebraeus : The Chronagraphy p. 255 Vol. 1.
Michel Le Syrien op. cit., p. 230.
Schlumberger, G. : Numismatique de L, Orient p. 34.
Rey. E. Princes d, Antioche p. 357 in Revue de 1, or, lat, t. 4.
ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٤٦—٤٧ .
Nicholson, R. A Hist. of Crusading p. 431.

المدينة التى اشترك معه فى دخولها ، وقد أمضى نبلاء أنطاكية أياما فى المناقشة اتفقوا بعدها أن يعطوا المدينة لجوسلين الذى عليه ن يحتفظ بها الى أن تتخذ ابنة بوهيمند كونستانس زوجا لها يكون أميرا على أنطاكية[18] .

كان الامبراطور حنا كومنين يراقب الموقف فى انطاكية ، فى الوقت الذى كان يعمل فيه على تأمين حدود الامبراطورية وكان للامبراطور حنا عملاء ببلاد الشام يشجعون الأميرة أليس على الثورة ضد ملك بيت المقدس ، وبتحريض باقى الأمراء فى طرابلس والرها لمقاومة فرض وصاية ملك بيت المقدس على امارة أنطاكية بصفة خاصة وشمال الشام بصفة عامة[19] .

عادت الأميرة أليس مرة أخرى من اللاذقية تحاول الاحتفاظ بحكم أنطاكية لنفسها بعد وفاة والدها بلدوين الثانى ملك بيت المقدس ، وتسلمت مقاليد الحكم مرة ثانية متحدية بذلك بارونات أنطاكية الذين أصروا على عدم قيامها بالوصاية[20] على ابنتها الطفلة كونستانس ، وكان يساندها فى هذه المرة بونز Pons أمير طرابلس وجوسلين

---

(18) Bar Hebreaus : op. cit., p. 255.
Michel le syrien : op. cit., p. 230.

(19) Rey. E. : op. cit., p. 357.

(٢٠) نظام الوصاية على القاصر لم ينفذ تماما فى انطاكية ، نظرا للظروف التى تعرضت لها انطاكية بالذات ، فقد حال البارونات دون تنفيذ ذلك النظام ، فقد بذلت أليس مجهودا فى المدة من ١١٣٠ — ١١٣٦ م وكونستانس فى المدة من ١١٤٩ — ١١٦٠ م ومن ١١٦٠ — ١١٦٣ م ، للوصول الى الوصاية ، غير أن البارونات فى امارة انطاكية اختلفوا عن بارونات بيت المقدس ، اذ عارضوا فى تولى الاناث الوصاية .
انظر :

Cahen. C. : La Syrie du Nord p. 440.

الثانى Joscelin أمير الرها ، وكانا يحاولان بذلك رفض سيطرة ملك بيت المقدس ، على شئون شمال الشام .

طلب بارونات أنطاكية مساعدة ملك بيت المقدس فولك Fulk ، لطرد أليس من الوصاية . وعندما تقدم فولك بقواته الى أنطاكية لاخضاع أليس منعه بونز أمير طرابلس من المرور بأراضيه ، وأعلن مساندته لطالب الأميرة أليس ، ورغم ذلك تمكن الملك فولك من اخماد ثورة أليس وطردها من الوصاية وعادت مرة ثانية الى اللاذقية . ثم توجه الملك فولك لعقاب بونز أمير طرابلس ، ونشبت معركة بين الطرفين في عام ١١٣٢ م ، تغلب فيها الملك فولك على أمير طرابلس ، وتدخل البارونات للعفو عن بونز ، وتم الصلح بين الطرفين(٢١) .

مكث الملك فولك بعض الوقت في مدينة أنطاكية حتى تستقر الأوضاع فى المدينة ، وقام بتعيين كند سطبل رينود ماسيور Renaud Mesoier للاشراف على شئون المدينة ، وطلب منه بعض النبلاء حرصا منهم على حقوق طفلة بوهيمند الثانى أن يختار أحد النبلاء من غرب أوروبا ليكون زوجا للاميرة كونستانس ، لمعرفته الواسعة لكثير من الشخصيات البارزة هناك ، وقد تقرر اختيار ريموند دى بواتيه Raymond de Poitiers بن وليم التاسع دوق اكتانيا والذى كان فى ذلك الوقت موجودا فى بلاط هنرى الأول ملك انجلترا ، وأرسلت سفارة من قبل الملك والأمراء لعرض فكرة الزواج على ريموند بصفة سرية ، خوفا من معارضة الأميرة أليس أو روجر الثانى ملك صقلية وجنوب

---

(٢١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٦ .
William of Tyre : op. cit., pp. 54 - 55.
Schlumberger, G. : op. cit., p. 34.
Rey. E. : op. cit., pp. 358 - 59.
Grousset. R. : Hist des Croisades pp. 9 - 10, t. 11.
Mayer : Queen Melisend of Jerusalem p. 104.
Michaud : Hist. of the Crusades. pp. 311 - 12, Vol. 1.

ايطاليا الذى كان يدعى أحقيته فى وراثة مدينة أنطاكية بعد موت بوهيمند الثـــانى[٢٢] .

كان الامبراطور حنا كومنين على اتصال بالأحداث الجارية فى بلاد الشام عن طريق عملائه ، ويبدو نه كانت هناك اتصالات سرية تجــرى بعد موت بوهيمند مباشرة بين الأميرة أليس[٢٣] والبيزنطيين ، وكان فى أنطاكية فريق يؤيد البيزنطيين ، ويرى أنه من الحكمة قيام اتحاد مع القسطنطينية ، وخاصة بعد ازدياد قوة عماد الدين زنكى فى المنطقة ؛ وقررت أليس ومعها الفريق المؤيد للبيزنطيين ارسال وفد من كبـــار الأمراء الى الامبراطور حنا كومنين يعرضون عليــه زواج الأميـــرة كونستانس الوريثة الشرعية لأنطاكية من ابنه الأصغر مانويل كومنين ؛ وأخبروه بأنه سيصبح سيدا على مدينة أنطاكية بهذا الزواج[٢٤] .

عنـــدما عرض الوفد الأنطـــاكى زواج كونســـتانس من مانويل

---

(22) William of Tyre : op. cit., pp. 59 - 60.

Cahen. C. : op. cit., pp. 356 - 57.

Rey. E. : op. cit., p. 358.

Schlumberger, G. : op. cit., p. 34.

(٢٣) لم يتعرض المؤرخ نيكولسون Nicholson لتفاصيل الاتصالات التى جرت بين الاميرة أليس وحنا كومنين منذ موت بوهيمند الثانى وأشار فقط الى ما حدث عام ١١٣٥ م عندما انتهزت أليس محاولة حنا كومنين لحل مشكلة أنطاكية سلميا واقترحت زواج مانويل من الاميرة كونستانس لتحصل على مساندة الدولة البيزنطية . انظر :

Nicholson : The Growth of the latin state p. 436.

(24) Chroni que Rimee de la petite Armenie in Doc, Arm p. 6117.

كومنين[٢٥] ، يبدو أن حنا كومنين أخطـر الوفد بضرورة تأجيـل[٢٦] مشروع الزواج حتى يستعد عسكريا ، لأنه كان ينوى تأديب الأرمن فى قيليقية ، كما أن الامبراطور كان يعلم بوجود فريق يعارض النفـوذ البيزنطى فى أنطاكية ويسانده ملك بيت المقدس ، وأن هذا الفـريق أقوى من الفريق الذى يرى الاتحاد مع البيزنطيين • لقد كانت ظروف حنا كومنين فى ذلك الوقت لا تسمح له بالذهاب الى بلاد الشام ، فهو لم يقض بعد على خطر مراء بنى دانشمند ، فى آسيا الصغرى ولم يضع الترتيبات النهائية فى الغرب ليضمن عدم تحرك روجر الثانى الذى أصبح ملك صقلية وجنوب ايطاليا ، الذى وضع فى تصوره المطالبة بأن يكون وريث بوهيمند الثانى فى الشام ، كما ضم أملاكه فى ايطاليا ، لذلك لم يرفض حنا كومنين مشروع الزواج انما طلب التأجيل فقط لتنفيذه فى الوقت المناسب •

حاول الامبراطور حنا كومنين فى عام ١١٣٥ م أن يجس نبض الصليبيين ويختبر نواياهم لحل مشكلة أنطاكية سلميا ، وتطبيق معاهدة

---

(٢٥) أشار كيناموس — أن الوفد الأنطاكى عرض زواج كونستانس من مانويل ، ولكن قبل أن يصل حنا كومنين الى قيليقية غير أهل أنطاكية رأيهم وتحولوا الى أعداء • ويقصد المؤرخ أنه عندما وصل ريموند دى بواتيه أنطاكية فى عام ١١٣٦ م للزواج من كونستانس تغير الموقف تماما •
انظر :

Cinnamos : op. cit., p. 16.

(٢٦) أشار بعض المؤرخين بأن حنا كومنين الذى لم يكن لديه النية أو القدرة للذهاب الى قيليقية فى ذلك الوق ترفض هذا المشروع ، وعادت السفارة بعد أن أخفقت فى تحقيق الهدف الذى ذهبت من أجله ، وأضاع رفض هذا المشروع من الامبراطور حنا كومنين فرصة لا تعوض نـدم عليها فى المستقبل •
انظر :

Chroni que Rimee de la Petite Armenie : op. cit., p. 617.
Finlay : History of the Greecs p. 142.
Le Beau. Ch. : op. cit., p. 28.

١١٠٨ م وذلك عن طريق زواج مانويل بالأميرة كونستانس ، وفتح باب المفاوضات بينه وبين الأميرة أليس التى كانت قد عادت الى أنطاكية وقبضت على كل السلطات فى يدها وقد توسطت أختها ميلسند Melisend ملكة بيت المقدس لدى الملك فولك بعدم التدخل فى شئون أنطاكية ، كما حصلت على مساندة بعض الأمراء وأحيت مشروع زواج ابنتها من مانويل ، فى نفس الوقت كانت الاجراءات تجرى على قدم وساق لاستدعاء ريموند دى بواتيه من غرب أوروبا ، وقد أخذ ريموند يستعد للسفر الى الشرق منذ عام ١١٣٣ م ، بعد أن وصله الخبر عن طريق السفارة الصليبية ، ذلك الخبر الذى استقبله بكل سرور وترحاب، وتمكن بطرك أنطاكية راؤول دومفروت Raoul Domfort [٢٧] ببراعته ومكره ، أن يقنع أليس بأن ريموند دى بواتيه سيكون زوجا لها وليس زوجا لابنتها الطفلة كونستانس ، وقد صدقت أليس هذا الأمل الكاذب الزائف[٢٨] . وفشلت المفاوضات الجارية بينها وبين الامبراطور البيزنطى بسبب اعتقاد أليس بأن ريموند سيكون زوجا لها .

---

(٢٧) وصل راؤول الذى كان يشغل منصب أسقف المصيصة الى بطريركية انطاكية عام ١١٣٦ م بواسطة انتخاب أجرى بمعرفة الأهالى وخاصة طبقة الفرسان ، لأن راؤول كان أصلا من رجال الجيش . وهكذا وصل الى هذا المنصب دون أن يؤخذ رأى رجال الدين خروجا على التقاليد الدينية . وكان راؤول طموحا وأراد أن يستفيد من أوضاع أنطاكية المضطربة ليصل الى الحكم عن طريق امرأة ، وخرج عن اختصاص وظيفته الأصلية واستخدم البطش والقهر ضد معاونيه من رجال الدين . انظر :

William of Tyre : op. cit., pp. 60 - 61.

Cahen. C. : op. cit., p. 359.

(28) William of Tyre : op. cit., p. 78.

Cahen. C. : op. cit., p. 359.

Stevenson : The Crusaders in the east p. 135.

Nicholson : op. cit., p. 436.

Brehier. L. : op. cit., p. 324.

سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٨٢—٥٨٣ .

أخذ ريموند يستعد للرحيل الى بلاد الشام سرا بعد أن تلقى الدعوة من السفارة الطيبية ، وقد اطلع روجر الثانى على خطة نبلاء أنطاكية فيما يتعلق باستدعاء ريموند دى بواتيه عن طريق عملائه فى بلاد الشام ، ولذلك أصدر أوامره الى جميع المدن بشواطىء أبوليا Apulia لمراقبة ريموند والقبض عليه ، ولذا بدأ ريموند رحلته تحت اسم مستعار كحاج فقير ، وانقسم أتباعه الذين رافقوه الى مجموعات بعضها يتقدمه بعدة أيام وبعضها يتبعه وكأنه لا توجد صلة بينه وبينهم ، بهذه الحيلة استطاع الهرب من شراك عدوه القوى(٢٩) .

وهكذا وصل ريموند دى بواتيه الى بيت المقدس بعد رحلة طويلة شاقة مؤلمة ، ويبدو أنه نزل فى بيت المقدس ضيفا على احدى الجمعيات الدينية التى كانت تعيش على أموال الصدقات كراهب خوفا من البيزنطيين ، وعندما كشف عن شخصيته وسمع بذلك الملك فولك استدعاه الى البلاط الملكى واتفق معه على زواج كونستانس ابنة بوهيمند الثانى التى لم تبلغ سن الرشد ، وبعد التشاور مع الأوصياء على الأميرة كونستانس توجه ريموند دى بواتيه فورا الى مدينة أنطاكية (غير أنه وهو فى طريقه الى أنطاكية ، كاد أن يقبض عليه البيزنطيون)(٣٠) .

وصل ريموند دى بواتيه الى مدينة أنطاكية فى الوقت الذى كانت فيه أليس تقبض على السلطة فى المدينة ، وبعد أن صرف الملك فولك بدون مساعدة بطرك أنطاكية راؤول دو مفروت فانه لا يمكنه تحقيق النظر عن التدخل فى شئون أنطاكية ، وتبين لريموند دى بواتيه أنه الهدف الذى جاء من أجله(٣١) .

---

(29) William of Tyre : op. cit., p. 78.
Schlumberger. G. : op. cit., p. 34.
Le Beau. Ch. : op. cit., p. 28.

(30) Cinnamos : op. cit., pp. 16 - 17.

(31) William of Tyre : op. cit., pp. 78 - 79.
Cahen. C. : op. cit., p. 357.
Elisseef. N. : Nor- Ad- Din p. 393.

تظاهر ريموند بصداقة البطرك وتم بينهما اتفاق أدى بمقتضاه ريموند قسما مقدسا ، للبطرك ، فى مقابل ذلك تمت الموافقة على زواج كونستانس من ريموند دى بواتيه دون أية معارضة ، بالاضافة الى أن البطرك تعهد فى حالة حضور هنرى شقيق ريموند الى أنطاكية أن يضمن له الزواج من الأميرة أليس أرملة بوهيمند الثانى • وفى الوقت الذى كانت فيه أليس تعتقد بأن الاجراءات تجرى لزفافها الى ريموند تم زواج ريموند من كونستانس بمعرفة البطرك شخصيا فى ربيع ١١٣٦ م[٣٢] • ويبدو أن البطرك كان ماهرا فى تضليل أليس حتى جعلها تثق فى وعده ، وسمحت بدخول ريموند أنطاكية اعتقادا منها بأنه جاء زوجا لها وتعاونت مع البطرك لآخر لحظة وهى تنتظر تنفيذ الوعد بالزواج •

وتعتبر هذه المرة الأولى التى يقوم فيها البطرك بتنصيب أمير لحكم أنطاكية ، الأمر الذى جعل راؤول يتدخل فى شئون حكم الامارة ، وكانت النتيجة نشوب النزاع بينه وبين ريموند دى بواتيه • أما الأميرة أليس فعندما سمعت بذلك تأكدت بأنها قد خدعت ، وفى الحال انسحبت من أنطاكية الى أملاكها فى مدينة اللاذقية وهى تشعر بمرارة[٣٣] •

وهكذا ماتت فكرة الفريق الذى كان يطالب بضرورة اتحاد امارة أنطاكية مع الامبراطورية البيزنطية تحاشيا للاخطار التى كانت تتعرض لها من قبل المسلمين فى شمال الشام •

غضب الامبراطور حنا كومنين عندما وصلته الأخبار بأن كونستانس تزوجت من ريموند دى بواتيه على أساس أن الزواج تم بدون موافقته

---

(32) William of Tyre : op. cit., pp. 78 - 79.
Ordric Vitalis : op. cit., p. 964.
Cahen. C. : op. cit., p. 357.
Schlumberger : op. cit., pp. 34 - 35.
Elisseef. N. : op. cit., p. 363.

(33) William of Tyre : op. cit., pp. 78 - 79.

باعتباره صاحب السيادة على مدينة أنطاكية ، واعتبر ذلك أمرا مهينـــه للامبراطورية لعدم اشتراكها فى اختيار حاكم المدينة ، وتعد سافر من الصليبيين على نصوص اتفاقيتى ١٠٩٧ م ، ١١٠٨ م اللتان تعطيان الحق بجلاء ووضوح فى السيادة على مدينة أنطاكية للامبراطورية البيزنطية ، فلم يعترف حنا كومنين بأن معاهدتى ١٠٩٧ م — ١١٠٨ م أصبحتا حبرا على ورق • وقد تهيأت الظروف للامبراطور البيزنطى للتدخل فى شئون الصليبيين حيث تلاحقت النكبات عليهم فى تلك الفترة والتى دارت أساسا حول مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس وفى امارة أنطاكية •

ومن الأسباب المباشرة التى دفعت الامبراطور حنا للقيام بحملة عسكرية العمل على تأديب ليون الأرمنى ملك ارمينية الصغرى ، لقيامه بتهديد مدينة سلوقية الســـاحلية التابعة للدولة البيزنطية ، وكان قـــد استحكم العداء بين ليون الأرمنى وريموند دى بواتيه أمير أنطاكيـــة وتمكن الأخير من سجن ليون عن طريق مؤامرة قام بهـــا أمير مرعش لحساب ريموند ، وعندما سمع الصليبيون بقدوم الامبراطور حنا كومنين قامـــوا باطـــلاق سراح الأمير الأرمنى على أســـاس أن يتحالف مـــع الصليبيين ضد البيزنطيين(٣٤) • على أن المصـــادر الأرمينية لم تذكر قيـــام ليـــون الأرمنى بمحاولة حصار مدينة سلوقية البيزنطية(٣٥) •

واذا كان زواج الأميرة كونستانس من ريموند دى بواتيه وتهديد ليون الأرمنى للممتلكات البيزنطية ، كانا من الأسباب المبـــاشرة لحملة

---

(34) Cinnamos : op. cit., p. 16.
Ephraemius : De Ioanne Comneno in Corpus pp. 166 - 67.
Gregoire Le Pretre in Doc Arm, t. 1, p. 152.
Hell. N. : Unedierte texte aus der Zeit d. Kaisers, Johannes Komnenos. In B. Z. VIII p. 54.
Le Beau. Ch. : op. cit., p. 28.

(35) Gregoire le pretre. : op. cit., pp. 152 - 53.
Le Beau, Ch. : op. cit., p. 28. Note No. 2.

الامبراطور البيزنطى على قيليقية وبلاد الشام ، فان حنا كومنين رأى أيضا أنه لا يمكنه السكوت على قوة عماد الدين زنكى فى بلاد الشام الآخذة فى الازدياد وأنه يتحتم عليه العمل على اضعافها لأن انتصاراته على الصليبيين تهدد مصالح الامبراطورية البيزنطية فى شمال الشام[٣٦] .

قضى حنا كومنين سنة كاملة بعد لحملته على بلاد الشام ، وجمع قوات ضخمة من الفرسان والمشاه من جميع الأجناس ، وقد انضم الى القوات البيزنطية عدد كبير من التركمان بعد انتصار حنا كومنين على مدينتى قسطمونى Kastmuni وجانجرا Gangra وكانت هذه الحملة مفاجأة رهيبة للصليبيين والمسلمين معا .

بعد استكمال فتح قيليقية[٣٧] تقدم الامبراطور البيزنطى بقواته الى أنطاكية ، وضربت القوات البيزنطية الحصار حول المدينة ووضعت آلات الحصار فى مواقع استراتيجية[٣٨] . وعسكر حنا كومنين على نهر العاصى على مسافة من مدينة أنطاكية ، وأرجأ الاقتراب من المدينة آملا أن تكون علاقته طيبة بأهالى أنطاكية تمهيدا للدخول فى مفاوضات معهم ، وكان سكان المدينة يعتمدون على أسوارهم المنيعة . ونظرا لطول الفترة الحصار فقد أراد بعض الأهالى الخروج للعمل فى حقولهم المجاورة ، فقام الجيش البيزنطى بمنعهم من ذلك بالقوة وقتل منهم عددا كبيرا ،

---

(٣٦) انظر ما يلى الفصل الثالث .

(٣٧) أنظر تفاصيل خط سير الحملة الى قيلقية بالفصل الخامس .

(38) Ordric vitalis : op. cit., p. 964.
Cinnamos : op. cit., pp. 17 - 18.
William of Tyre : op. cit., p. 85.
Michel le Syrien : op. cit., p. 245.
Gregoire le pretre : op. cit., p. 152.

العينى : عقد الجمان القسم الأول جـ ١ لوحة ٩١ .
ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٧٦ .

ولما طال الأمر بالامبراطور أراد تخويف الانطاكيين فضيق الحصار على المدينة(٣٩) .

ويبدو أن حنا كومنين كان لا يرغب فى ضرب القوى الصليبية فى بلاد الشام ، انما كان يريد تخويف وترهيب تلك القوى لكى تخضع لشروط البيزنطيين ، وأن يحل المشكلة النورماندية فى أنطاكية على حساب المسلمين فى بلاد الشام ، وأن ذلك الجيش الضخم جاء من أجل محاربة المسلمين وليس الصليبيين .

وقع حصار أنطاكية فى ظروف صعبة وخطيرة بالنسبة للصليبيين ففى الوقت الذى تم فيه حصار أنطاكية فى عام ١١٣٧ م ، كان عماد الدين زنكى محاصرا لحصن بعرين من أملاك امارة طرابلس ، وكان أمير طرابلس قد استغاث بالملك فولك الذى قام على الفور بقواته لنجدة امارة طرابلس ، وفى أثناء الطريق قابله وفد يحمل رسالة من أمير أنطاكية ريموند دى بوأتيه يستنجد فيها بالملك فولك بسبب حصار البيزنطيين لها(٤٠) . الأمر الذى جعل الملك يعقد مجلسا مع زملائه للتشاور وأصدر المجلس قرارا بالاجماع لتقديم المساعدة أولا للحصن المحاصر من قبل المسلمين لأنه بدا لهم أن رفع الحصار عنه أسهل من رفع الحصار عن مدينة أنطاكية ثم بعد ذلك يذهب الجميع الى أنطاكية(٤١) .

---

(39) Cinnamos : op. cit., pp. 17 - 18.

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٣ ، لوحة ٩٢—٩٣ .

Le Beau. Ch. : op. cit., pp. 33 - 34.

(40) William of Tyre : op. cit., p. 85.

Grousset. R. : Histoire des Croisades p. 91, t. 11.

Cahen. C. : op. cit., pp. 357 - 58.

(41) William of Tyre : op. cit., p. 85.

هكذا سار الصليبيون جميعا فى عام ١١٣٧ م لنجدة المحاصرين فى حصن بعرين ، وسلك الصليبيون بطريق الخطأ طريقا جبليا ضيقا فتمكنت قوات زنكى من هزيمة مقدمة الجيوش الصيلبية ، ثم انقض عماد الدين زنكى بقوات أخرى على قلب القوات الصليبية ، أدرك الصليبيون بأنه لا فائدة من المقاومة ، ونصحوا الملك فولك أن ينجو بنفسه وينسحب الى داخل حصن بعرين ، وقد استحسن الملك هذا الرأى خاصة بعد أن رأى أن معظم قوات المشاة اما قتلى أو أسرى(٤٢) .

قرر الملك بعد المعـــركة الانسحاب الى الحصن مع بعض أتباعه ، فى الوقت الذى أسر فيه أمير طرابلس وبعض كبار قواد الصليبيين ، وعاد عماد الدين زنكى لضرب الحصار حول الحصن مرة ثانية(٤٣) .

أثار حصر الملك فولك فى بعرين وأسر أمير طرابلس ضجة واسعة فى أوساط الصليبيين ، وعم اليأس والحزن بينهم وبدأ القسس والرهبان يحرضون البيزنطيين والصليبيين على قتال المسلمين(٤٤) . وتمكن الملك فولك بعد التشاور مع كبار رجاله داخل الحصن أن يرسل رسلا لاستدعاء

---

(42) William of Tyre : op. cit., p. 86.
(43) Ordric Vitalis : op. cit., p. 963.
Cinnamos : op. cit., pp. 17 - 18.
William of Tyre : op. cit., p. 87.
Runciman : A Hist. of Crusades pp. 203 - 204.
Iorga, N. : Breve Histoire des Croisades pp. 87 - 88.
Grousset. R. : op. cit., p. 92.
Elisseef, N. : Nor ad-Din pp. 261 - 62.
ابن الفرات : المصدر السابق ، لوحة ٩٢ — ٩٣ .
ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٧٢—٧٣ .
(٤٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، لوحة ٩٢—٩٣ .
Ordric Vitalis : op. cit., p. 963.

أمير أنطاكية ، وأمير الرها وبطرك بيت المقدس ومعهم كل من يستطيع حمل السلاح[٤٥] .

عندما وصل الرسول الى ريموند دى بواتيه أمير أنطاكية فى أوائل أغسطس ١١٣٧ م يخبره بالكارثة التى حلت بالقوات الصليبية عند بعرين تردد ريموند قليلا قبل أن يتخذ القرار ، فالامبراطور البيزنطى يحاصر المدينة وهو يخشى على أنطاكية اذا تركها ، وأخيرا قرر بأنه لابد من مساعدة الملك فولك فى محنته ، ذلك لأن ريموند رأى أن سلامة الملك ونجاته تشكل أهمية كبرى بالنسبة لجميع الصليبيين ، واستدعى النبلاء وأخبرهم بقراره ودعاهم جميعا لمساعدة الملك فى ورطته[٤٦] .

خرجت قوات أنطاكية لنجدة ملك بيت المقدس كما خرجت أيضا قوات من الرها وبيت المقدس بقيادة البطرك ، فى الوقت الذى شدد فيه عماد الدين زنكى الحصار على الحصن وأمر بعدم السماح لأى فرد من الاقتراب منه ، وعندما سمع عماد الدين بأن القوات الصليبية فى طريقها الى الحصن خشى وصولها كما خشى أن يتعاطف الامبراطور البيزنطى ازاء هذا الموقف مع الصليبيين ويتحرك ضده[٤٧] .

وقبل أن تصل أخبار النجدة الى المحاصرين أرسل عماد الدين زنكى اليهم سفارة للتفاوض لتسليم الحصن اليه ، وانه ليس لديه مانع من اطلاق سراح الصليبيين بما فيهم أمير طرابلس بشرط تسليم الحصن . واستقبل الصليبيون هذه الشروط بالترحاب لعدم علمهم بقرب وصول

---

(45) William of Tyre : op. cit., p. 87.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٥٨٣ .

Ordric Vitalis : op. cit., p. 964.

(46) William of Tyre : op. cit., p. 88.

(47) William of Tyre : op. cit., p. 90.

Grousset. R. : op. cit., p. 92.

النجدة ولأن حالتهم أصبحت سيئة ، وتم توقيع الاتفاق بين عماد الدين زنكى والصليبيين ، وتقرر اطلاق سراح أمير طرابلس وخرج الملك فولك وأتباعه بعد أن سلموا الحصن للمسلمين • وعلى بعد مسافة غير بعيدة من بعرين التقى الملك بالقوات الصليبية التى جاءت لنجدته وشكرهم على اهتمامهم بمساعدته ثم عاد كل واحد منهم الى بلده(٤٨) •

هكذا تخلص الصليبيون من موقف صعب فى بعرين بل من كارثة، وكان من أسباب ذلك وجود القوات البيزنطية على مشارف أنطاكية ، وعماد الدين لم يتقدم بعرض الصلح الا خوفا من تدخل القوات البيزنطية الكبيرة المحاصرة لمدينة أنطاكية(٤٩) • ويتبين لنا أيضا أن الامبراطور البيزنطى لم ينتهز هذه الفرصة السانحة ويوجه ضربة قاضية للصليبيين فى أنطاكية ، مما يدل على أنه أراد اخضاعهم لشروطه•

عاد ريموند دى بواتيه الى أنطاكية مسرعا لمواجهة الجيوش البيزنطية الموجودة أمام أبواب المدينة ، وكان ملك بيت المقدس قد عدل عن الذهاب الى أنطاكية ، بعد الضربة القوية التى أصابت قواته عند حصن بعرين ، وفضل العودة الى بيت المقدس ، وفى البداية تردد ريموند دى بواتيه فى دخول مدينة أنطاكية بسبب وجود الجيش البيزنطى المحيط بها • ثم تداول فى الأمر مع رجاله واقترح أحد الضباط الشجعان قيام مجموعة فدائية من القوات الصليبية تتنكر فى زى القوات البيزنطية ثم تعلن عن نفسها فجأة فى وسط معسكر البيزنطيين(٥٠) •

---

(48) William of Tyre : op. cit., pp. 90, 92.
Grousset. R. : op. cit., p. 92.
(49) William of Tyre : op. cit., p. 90.
Cahen. C. : op. cit., pp. 358 - 59.
(50) Ordric Vitalis : op. cit., p. 964.

تدارست قوات ريموند هذه الخطة الجريئة وقررت تنفيذها ، واستطاعت هذه المجموعة الفدائية الصغيرة أن تحدث اضطرابا مفاجئا للقوات البيزنطية المطمئنة وذعرا شديدا وأخذتهم الحيرة فلاذوا بالفرار وتركوا كل شيء وفي أثناء ذلك تمكن ريموند وقواته من دخول المدينة(٥١) .

قابل سكان أنطاكية ريموند عند عودته بالهتاف والتهليل ، وفي الحال نظم ريموند المقاومة في أنطاكية ضد البيزنطيين ، فخرج الأنطاكيون لسلب ونهب المعسكرات البيزنطية ، الأمر الذي جعل حنا كومنين يجمع قواته ويقترب من المدينة ، وبدأ في تشغيل آلاته ومعداته الحربية ، وأخذت السهام والأحجار تنهمر كالمطر على أسوار المدينة حتى عجز الأنطاكيون عن الظهور على الأسوار بسبب القصف الشديد من البيزنطيين ، وحاول الأنطاكيون من جانبهم العمل ليل نهار لتموين الحامية بالمواد والذخائر واصلاح ما تتلفه القذائف البيزنطية لتخفيف وطأة الحصار(٥٢) .

وبدأت ترتفع مرة أخرى أصوات الفريق الذي كان يطالب بالاتحاد مع البيزنطيين ، وخاصة بعد هزيمة الصليبيين في بعرين ، وأخذت تمارس الضغط على ريموند دي بواتيه بأنه يجب لا يحارب المسيحيون بعضهم بعضا ، وأن يدخروا قوتهم ضد المسلمين العدو المشترك ،

---

(51) Loc. Cit.

Grousset. R. : op. cit., p. 92.

ذكر وليم الصوري أن ريموند دي بواتيه دخل مدينة أنطاكية عند عودته اليها سرا . انظر :

William of Tyre : op. cit., p. 92.

(52) Ordric Vitalis : op. cit., p. 964.

William of Tyre : op. cit., p. 91.

Rey. E. : op. cit., p. 360.

Le Beau. Ch. : op. cit., p. 35.

ولما كان ريموند فقد الأمل فى الحصول على أية نجدة بعد موقعة بعرين، فقد فكر فى التفاوض مع البيزنطيين ، ولما كان حنا كومنين من جانبه لا يرغب فى ضرب قوة الصليبيين(٥٣) • لذلك لقيت الدعوة الى السلام استجابة لدى الطرفين •

مهد الوسطاء لاجراء المفاوضات بين الامبراطور البيزنطى وأمير أنطاكية ، ثم أرسل أمير أنطاكية مندوبيه الى حنا كومنين مقترحا خضوع أنطاكية للبيزنطيين بشرط واحد وهو أن يحافظ على سلطته كنائب امبراطورى ، غير أن حنا كومنين رفض هذا الاقتراح وطلب الاستسلام بدون قيد أو شرط طبقا لاتفاقيتى عام ١٠٩٧ م ، ١١٠٨ م لأن مدينة أنطاكية ولاية من ولايات الامبراطورية البيزنطية وسبق أن تعهد بوهيمند وجميع القادة الصليبيين باعادة المدينة الى والده بمجرد فتحها ، ولذا فان ريموند دى بواتيه ملزم بتسليم أنطاكية للبيزنطيين ، لكن ريموند قرر بأنه لا يستطيع تسليم المدينة لأنه استلمها من ملك بيت المقدس مع ابنة بوهيمند الثانى ولذلك أصبح فصلا من افصاله لا يستطيع أن يتخذ أية خطوة بدون اذنه وأنه سيعرض مطالب الامبراطور البيزنطى على ملك بيت المقدس وسينفذ الأوامر والتعليمات التى تصل اليه(٥٤) •

أعطى الامبراطور حنا كومنين مهلة الى ريموند لاستشارة ملك بيت المقدس وأعجب باخلاصه لسيده وأعلن فولك بأنه لا مناص من الاعتراف بتبعية أنطاكية للبيزنطيين (وقال للوفد الأنطاكى : نحن جميعا نعرف والأولون أيضا أكدوا أن أنطاكية تابعة للامبراطورية البيزنطية ولم يمض على اغتصاب الأتراك لها من الامبراطورية واستيلائهم عليها سوى أربع عشرة سنة ، ثم أن ما يذكره الامبراطور

---

(٥٣) انظر ما سبق ص ٨١ .

(54) Ordric Vitalis : p. 965.

من تعهدات اتخذها أسلافنا أمر حق ولا يجوز لنا انكار الحقيقة ورفض الصـــدق)[٥٥] ٠

عندما وصل رد الملك فولك لم يستطع ريموند دى بواتيه أن يقاوم طلبات حنا كومنين ، وكان الملك واقعيا بعيد النظر ، فان الاعتـــراف بتبعية أنطاكية للبيزنطيين ليس ثمنا باهظا فى تلك الظروف الصـــعبة التى كان الصليبيون يواجهون فيها خطر الزنكيين فى بلاد الشـــام ، وأثبت فولك بأنه كان يتمتع برؤية سياسية شاملة وواضحة عنـــــدما نصح الأنطاكيين أن يتحالفوا مع الامبراطور البيزنطى ضد مســـلمى الشام[٥٦] ٠

توجه فى سبتمبر من عام ١١٣٧ م ريموند دى بواتيه ومعـــه جميع أمراء أنطاكية الى معسكر الامبراطور حنا كومنين لتأدية قســـم الولاء ، وتم عقد اجتماع حضره الأعيان من الطرفين تم فيه عقـــــد معاهدة بين البيزنطيين ونورمان أنطاكية تنص على : أن مدينة أنطاكية جزء من الامبراطورية البيزنطية وأن الامبراطور البيزنطى له الحرية الكاملة فى دخول مدينة نطاكية أو قلعتها سواء فى السلم أو الحرب ، دون أية معارضة من قبل أمير نطاكية ، وفى حالة استيلاء الامبراطور حنا كومنين على حلب وشيزر وحمص ، وحماه من المسلمين ، يقـــوم الامبراطور حنا بتسليم هذه المدن وملحقاتها الى ريموند دى بواتيه كاقطاع يتوارثه الأبناء عن الآباء ، فى مقابل أن يعيد النورمان أنطاكية للبيزنطيين ، ويتعهد الصليبيون بالاشتراك مع الامبراطور فى اعداد حملة ضد مسلمى الشام فى ربيع العام التالى للاستيلاء على المـــدن

(55) Ordic Vitalis : op. cit., p. 965.

(56) Loc. Cit.

المذكــورة وبعــد توقيــع المعــاهدة أدى ريمــوند قســـم الولاء للامبراطور (٥٧) .

وبتأدية يمين الولاء أمام حنا كومنين وبحضور جميع النبـــلاء أصبح ريموند فصلا من أفصال الامبراطور البيزنطى ومعترفا بسيادة الامبراطورية على مدينة أنطاكية . على أن الامبراطور لم يشأ أن يدخل المدينة واكتفى برفع علمه على قلعتها ، وتراءى للجميع فى ذلك الوقت كأن مشكلة أنطاكية التى سببت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين منذ الحملة الصليبية الأولى قد انتهت كلية (٥٨) .

يتبين من معاهدة عام ١١٣٧ م أن الامبراطور حنا كومنين لم يحاول اثارة تعيين بطرك بيزنطى على كنيسة أنطاكيــة (٥٩) بدلا من

(57) Ordric Vitalis : op. cit., p. 965.
Cinnamos : op. cit., pp. 19 - 20.
Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 36 - 37.
William of Tyre : op. cit., p. 93.
Gregoire Le Pretre : op. cit., p. 153.
Chroni que de Michel le Syrien op. cit., p. 245.

العينى : المصدر السابق ، لوحة ٩١ .
ابن واصل : المصدر السابق ص ٧٦ .
سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٥٨٤ .

(58) Ordric Vitalis : op. cit., p. 965.
Cinnamos : op. cit., pp. 19 - 20.
Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 36 - 37.
William of Tyre : op. cit., p. 93.
Gregoire Le Pretre : op. cit., p. 153.
Chroni que de Michel le Syrien op. cit., p. 245.

العينى : المصدر السابق لوحة ٩١ .
ابن واصل : المصدر السابق ص ٧٦ .

(٥٩) يبدو أن المؤرخ ابن القلانسى قد خلط بين حنا كومنين ومانويل كومنين ، عندما ذكر بأن حنا اشترط أثناء مفاوضات عام ١١٣٧ م ، تنصيب بطرك بيزنطى . انظر : ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٦٣ . راجع أيضا :

Runciman : op. cit., pp. 218 - 19.

البطرك اللاتينى ، أثناء المفاوضات مع أن معاهدة ديابوليس ١١٠٨ م والتى كان يستند اليها فى مفاوضاته تنص على ذلك ، ويبدو أن حنا فطن الى حساسية هذا الموضـــوع وأراد تأجيله حتى يســـتولى على امارة انطاكية نهائيا ، بعد قيامه بتعويض الصليبيين بمدن أخرى من الاراضى الاسلامية بدلا منها .

كان حنا كومنين يخطط لاحداث تغييرات جوهرية فى خريطة بـــلاد الشام ، ومن هنا نشأت فكرة تحالف البيزنطيين والصليبيين ضد مسلمى الشام ، وحل المشكلة النورماندية فى أنطاكية على حساب القـــوى الاسلامية فى بلاد الشام .

وأراد الصليبيون أن يحققوا بهذه المعاهدة ما فشلوا فى تحقيقه منذ قدومهم الى الشرق ، وهو السيطرة على المناطق الداخلية فى بلاد الشام وعدم الاكتفاء بمدن الساحل ، وذلك بفضل تحالف قوى على رأسه حنا كومنين فى أوج مجده معيدا أمجاد أسلافه نقفور فوقاس وحنا تزيمسكس ، فتم التصديق على المعاهدة وسط مظاهر من الفرح والابتهاج ، وغادر حنا كومنين أنطاكية الى قيليقية على أن يعود فى الربيع القادم[٦٠] .

ويبدو أن عودة حنا كومنين الى قيليقية وعدم دخوله مدينة أنطاكية ترجع الى وصول أخبار سيئة مفادها أن مدينة أذنه تعرضت لهجوم من قبل قوات السلطان مسعود صاحب قونية ، وكان الامبراطور حنا قد ترك حامية صغيرة فى هذه المدينة تمكنت القوات السلجوقية من القضاء عليها ودمرت وخربت المدينة[٦١] . وأرسل حنا كومنين جيشا لمطـــاردة تلك

---

(60) William of Tyre : op. cit., p. 93.
Anonymous : The First and Second Crusades pp. 275 - 76.
Rey. E. : op. cit., p. 361.
Setton : A Hist. of The Crusades, p. 439 Vol. 1.

(٦١) يبدو أن هذا العمل من جانب السلاجقة كان ردا على ما قام به حنا كومنين من تدمير وتخريب البلدان الاسلامية التابعة للسلاجقة وأمراء بنى دانشمند فى آسيا الصغرى وهو فى طريقه الى قيليقية . انظر :
Matthieu d, Edesse p. 143 in Doc Arm t. 1.

القوات غير أنه لم يلحق بهم ، وحل فصل الشتاء ففضل قضاءه مع الجيش في قيليقية(٦٢) .

عاد حنا كومنين من قيليقية الى بلاد الشام في ربيع عام ١١٣٨ م وانضمت اليه القوات الصليبية محاولين وضع معاهدة سبتمبر عام ١١٣٧ م موضع التنفيذ للاستيلاء على المدن الداخلية في بلاد الشام ، غير أن الامبراطور حنا كومنين اضطر الى رفع الحصار عن شيزر والعودة الى مدينة أنطاكية(٦٣) .

وعندما وصل الامبراطور الى مدينة أنطاكية أصر على أن يدخل المدينة دخولا رسميا مظهرا سيادته على الأنطاكيين ، فدخل المدينة ممتطيا فرسه يسير بجانبه أمير أنطاكية وأمير الرها ممسكين بلجام الفرس ، وخلفه يسير بطرك أنطاكية ورجال الدين وحشود من الجماهير ، ويتقدم الموكب المغنون والآلات الموسيقية وهم ينشدون الأناشيد ، وعلقت الصور والأعلام على الطريق المؤدى الى كاتدرائية أنطاكية حيث زارها أولا ، ثم الطريق المؤدى الى القصر الذى نزل فيه(٦٤) .

بعد أن استقر حنا كومنين في مدينة أنطاكية عدة أيام استدعى ريموند وجوسلين وكبار النبلاء للمثول أمامه ، وقال الامبراطور البيزنطي لأمير أنطاكية أنه مضطر أن يبقى في مدينة أنطاكية حتى يتمكن من الاستيلاء على حلب وغيرها من المدن تنفيذا للمعاهدة ، وأن محاربة

---

(62) Anonymous : op. cit., pp. 276 - 77.

(٦٣) انظر فيما يلى فى الفصل الثالث :

(64) William of Tyre : op. cit., p. 97.
Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 42 - 43.
Grousset. R. : op. cit., p. 112.
Michoud : op. cit., p. 312.
Cahen. C. : op. cit., p. 362.

المسلمين فى بلاد الشـــام تتطلب منه اقامة طويلة ونفقات كثيرة ، ولذلك يريد أن يســـتلم قلعة أنطاكية حتى يتمكن من حفظ أمـــواله ، وطلب أن تتحرك القوات البيزنطية فى المدينة بحرية كاملة دون أن يتعرض لها أحـــد وذلك طبقا لنصوص المعاهدة(٦٥) .

وقف ريموند دى بواتيه حائرا مرتبـــكا وعاجزا عن الرد عـــلى الامبراطور غير ن زميـــله جوســـلين أمير الرها أنقـــذ الموقف ، وقال للامبراطور البيزنطى أن مشروعه معقول جدا لأنه فى صالح الصليبين، غير أن ريموند لا يملك أن يبت فيه وحده وبين للامبراطور فائدة موافقة الأهالى على اتفاق مهم كهذا ، وحصل على مهلة لجمع مجلس الأمـــراء لهذا الغرض(٦٦) .

خرج جوسلين وترك أمير أنطاكية مع الامبراطور وأرســـل سرا مبعوثين الى الجماهير يخبرها بطلبات الامبراطور حنا كومنين ويحرضها على الثورة وحمل السلاح ، وانتشرت الشائعات بأن قلعة المدينة قـــد سلمت للبيزنطيين ، وفجأة ظهرت اضـــطرابات فى المدينة وتجمعـــت الجماهير من جميع النواحى وعندما سمع جوسلين ذلك اندفـــع الى القصر الذى ينزل فيه الامبراطور ، ودخل عليه بدون اذن مخالفا بذلك قواعد التشريفات ، وأخبر الامبراطور بأنه مطارد من قبل الجمـــاهير الغاضبة وأنهم هددوا حياته(٦٧) .

---

(65) William of Tyre : op. cit., p. 97.
Le Beau, Ch. : op. cit., pp. 42 - 43.
Runciman, : op. cit., pp. 217 - 18.
Setton : op. cit., p. 440.

(66) William of Tyre : op. cit., pp. 98 - 99.
Cahen. C. : op. cit., p. 362.
سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٥٨٨ — ٥٨٩

(67) William of Tyre : op. cit., pp. 98 - 99.
Groussat R. : op. cit., p. 116.
Setton A. : op. cit., p. 440.
سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٥٨٩ .

وعندما سمع الامبراطور أصوات الشغب فى الطرقات وأن البيزنطيين فى المدينة تعرضوا للضرب والقتل ، أدرك أنه خسر الجولة وأن الثورة دبرت ضده ، وتظاهر الامبراطور بأنه صدق كلام جوسلين، بأن الجماهير ثارت تلقائيا ، وطلب حنا كومنين عقد اجتماع عاجل مع أمير أنطاكية والنبلاء ، وخشى أن يلحقه أذى وكتم غيظه فى هذه اللحظة ، وقال انه لا يريد مأساة وأنه قرر الانسحاب من المدينة واكتفى بتبعية الأمير له(٦٨) •

لعب جوسلين دورا مباشرا فى اشعال الثورة الشعبية فى أنطاكية ضد البيزنطيين ، ويبدو أن الثورة كانت على نطاق واسع وهى كما صورها وليم الصورى تعنى أنه كان هناك تذمر وكان هناك تحفز وبركان ينتظر الانفجار من لحظة الى أخرى ضد البيزنطيين وكان جوسلين هو الذى أشعل الفتيل لكى تشب الثورة عارمة •

وهناك سبب آخر لثورة أنطاكية وهو خوف أهالى أنطاكية الكاثوليك من أن يقوم حنا كومنين فيما بعد بعزل بطرك أنطاكية اللاتينى وتعيين بدلا منه بطركا بيزنطيا(٦٩) • وخاصة أن البابا أنوسنت الثانى انزعج من تصرفات حنا كومنين فى قيليقية من قيامه بعزل أساقفة كنائسها الكاثوليك وعين بدلا منهم أساقفة أرثوذكس ، لذلك أصدر منشوره فى ٢٨ مارس ١١٣٨ م يحرض فيه اللاتين على ترك الخدمة فى صفوف القوات البيزنطية فى حالة هجوم حنا كومنين على أنطاكية ، وكان يرى أن ازدياد النفوذ السياسى للبيزنطيين فى شمال الشام سوف يتبعه حتما نفوذ دينى(٧٠) •

---

(68) William of Tyre : op. cit., p. 100.

(69) Ibid : p. 101 Note 5.

(70) Brehier. L. : L, eglise et L, orient p. 102.
Grousset. R. : op. cit., p. 147.
La monte : Byzantine empire and crusading p. 255.
Runciman : op. cit., pp. 218 - 19.
Hussey. J. M. : op. cit., pp. 222 - 23.

ترك حنا كومنين أنطاكية فى اليوم التالى مصطحبا معه حاشيته، وكان قد أصدر أوامره لاقامة المعسكر خارج أسوار المدينة ، وتبين للصليبيين أن الامبراطور حنا خرج من المدينة وهو شديد الغضب من ريموند وكبار النبلاء ، وبالرغم من أنه أخفى مشاعره الحقيقية . لذلك أرسلوا مندوبين الى معسكر الامبراطور لتهدئة الموقف وتجنب العداوة، واعتذر المندوبون الى الامبراطور محاولين تبرئة ريموند مما حدث ، والقاء اللوم على عانق الجماهير ، ولكن الامبراطور لم ينخدع بهذا الكلام ولكنه أراد ألا ينفجر الموقف بينه وبين الصليبيين ، وقبل الاعتذار مؤجلا انتقامه لوقت آخر يكون مناسبا وأخبرهم بأنه سيعود مرة أخرى الى أنطاكية بقوات كبيرة لتنفيذ المعاهدة ، وغادر المعسكر متجها الى قيليقية ثم القسطنطينية[٧١] .

شعر الامبراطور حنا كومنين بمرارة لعدم استطاعته تحقيق الهدف الذى عد من أجله حملته الأولى على بلاد الشام ، تلك الحملة التى اضطرته أن يتغيب عن القسطنطينية ثلاث سنوات ، وحمل الصليبيين مسئولية تفكك الحلف الصليبى البيزنطى ، وأصبح انتصاره على نورمان أنطاكية ليس له قيمة بعد أن أجبرته ثورة أنطاكية الشعبية أن يرضى بالسيادة الاسمية على أنطاكية . لذلك عاد حنا كومنين الى القسطنطينية وظل يراقب الموقف من هناك فى بلاد الشام للعودة فى الوقت المناسب للثأر والانتقام من الصليبيين .

---

(71) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 42 - 43.
Ephraemius : op. cit., pp. 66 - 67.
Cinnamos : op. cit., pp. 19 - 20.
Prodromos T. : op. cit., pp. 1366 - 67.
William of Tyre : op. cit., pp. 101 - 102.
Cahen. C. : op. cit., pp. 362 - 63.
Setton : op. cit., p. 440.
Le Beau, Ch. : op. cit., p. 45.

كان حنا كومنين فى الفترة من ١١٣٩ — ١١٤١ م يحاول الحد من خطورة أمراء بنى دانشمند فى آسيا الصغرى ، وقد استطاع أن يحرز بعض النجاح ضد الأمير محمد الدانشمندى ، ولكن الظروف خدمت الامبراطور حنا كومنين بوفاة الأمير محمد الثانى وخلفه أمير غير كفء وهو ذو النون ، ومن هنا سنحت الفرصة للامبراطور البيزنطى لتنفيذ مشروعه ضد الصليبيين(٧٢) •

ترك حنا كومنين القسطنطينية فى ربيع عام ١١٤٢ م وأبحر عن طريق البسفور على رأس قوات ضخمة ووصل الى اضاليا عاصمة بامفيليا Pamphilia ، وكان حنا دائم الاتصال بنورمان أنطاكية منذ تركه بلاد الشام متظاهرا باستعداده لمساعدة الصليبيين ضد مسلمى الشام ، فى الوقت الذى كان يخطط فيه لضم أنطاكية نهائيا الى الامبراطورية(٧٣) • ويبدو أن ريموند أمير أنطاكية والنبلاء كاتبوا حنا كومنين يحثونه على القدوم الى أنطاكية وذلك فى الفترة من ١١٣٩ م — ١١٤٠ م ، نظرا لتعرض أنطاكية لخطر الزنكيين(٧٤) •

ويبدو أن نورمان أنطاكية انتهزوا فرصة ابتعاد عماد الدين زنكى عن بلاد الشام مؤقتا فى أواخر عام ١١٤٠ م ، وفكروا فى أحياء مطامعهم القديمة فى قيليقية والعمل ضد البيزنطيين ، لذلك عجل حنا كومنين بالعمل على انتزاع أنطاكية من النورمان وتنصيب ابنه مانويل كومنين عليها فضلا عن قيليقية واضاليا وقبرس ، لأنه كان قد قرر تنصيب ابنه الأكبر الكسيوس على عرش الامبراطورية(٧٥) •

---

(٧٢) انظر ما يلى الفصل الرابع •

(73) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 52 - 53.

(٧٤) انظر ما يلى الفصل الثالث •

(٧٥) تم تنصيب الأمير الكسيوس رسميا طبقا للتقاليد البيزنطية واشترك مع حنا كومنين فى الحكم فى حفل رسمى ، وذلك بمناسبة انتصار حنا كومنين انتصارا حاسما على قبائل البانجاك فى عام ١١٢٢ م والقى الشاعر تيودور برودروم قصيدة طويلة فى هذه المناسبة •

انظر : Prodromos : op. cit., p. 1339.

بينما كان الامبراطور حنا يمضى بعض الوقت فى اضاليا يدرب قواته توفى ابنه الأكبر الكسيوس ، وتم اختيار ولدى حنا اندرونيقوس Andronicus واسحاق Issac لتوصيل الجنازة الى القسطنطينية ، وفى الطريق الى القسطنطينية مات اندرونيقوس نتيجة مرض خطير ألم به ، وطلب الامبراطور من ابنه اسحاق البقاء فى القسطنطينية ، واصطحب معه ابنه الاصغر مانويل ، وواصل رحلته فى قيليقية على عجل ووصل فجأة الى تل باشر العاصمة الثانية لجوسلين أمير الرها وطلب الامبراطور من جوسلين رهائن حتى يضمن عدم تلاعبه وحيله الماكرة ، وقد أصابت الدهشة جوسلين من وصول حنا كومنين المفاجىء بقوات ضخمة ، ولما كان جوسلين لا يستطيع المقاومة فقد قدم ابنته ازابيلا Isabella كرهينة للامبراطور وأدى يمين الولاء(٧٦) .

ثم تقدم الامبراطور نحو مدينة أنطاكية ووصل فى ٢٥ سبتمبر ١١٤٢ م ، الى قلعة بغراس ، وكانت ملكا لهيئة فرسان السداوية وتتحكم فى الطريق الذى يربط بين قيليقية وأنطاكية ، وبعث من هناك بمندوبين الى ريموند دى بواتيه أمير أنطاكية يطلب منه تسليمه المدينة وقلعتها طبقا لشروط المعاهدة فى عام ١١٣٧ م ، لأنه جاهز لشن حرب ضد المدن الاسلامية المجاورة ووضع نصوص الاتفاقية موضع التنفيذ(٧٧) .

---

(76) Cinnamos : op. cit., p. 24.
William of Tyre : op. cit., pp. 123 - 24.
Hussey. J. M. : op. cit., pp. 224.
Grousset. R. : op. cit., p. 146.
Runciman : op. cit., pp. 222 - 23.

(77) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 52 - 53.
Anonymous : op. cit., p. 280.
William of Tyre : op. cit., p. 124.
Chronique de Gregoire Le pretre : op. cit., p. 156.
سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٥٩٠ .
Iorga. N. : op. cit., pp. 90 - 91.
Grousset. R. : pp. 146 - 47.
Hussey. J. M. : op. cit., pp. 224 - 25.

واجه ريموند موقفا صعبا فقد سبق أن وجه الدعوة[٧٨] الى حنا كومنين بسبب الأخطار التى تعرض لها من قبل الزنكيين ، وسبق أن أدى يمين الولاء للامبراطور البيزنطى وارتبط معه بمعاهدة ، ولذلك دعا لعقد أجتماع لكبار الأمراء والقادة فى المدينة للتشاور حول الموقف، وعقد الاجتماع فى كنيسة القديس بطرس بحضور البطـرك ، وتمت الموافقة بالاجماع على رفض طلب الامبراطور وعدم السماح له بدخول المدينة واستخدامها كقاعدة لعملياته الحربية مهما كانت الظـروف • وتقرر ارسال وفد تم اختياره من كبار النبـلاء البارعين على رأسـه أسقف مدينة جبيل لنقل وجهة نظـر الأنطاكيين للامبراطور[٧٩] •

تحدث الأسقف مع الامبراطور حنا باسم البابا محاولا ايجـاد ذريعة وحجة يتستر وراءها للتنصل من معاهدة سبتمبر ١١٣٧ م التى تمت بين البيزنطيين ونورمان أنطاكية ، وأثار عدم قانونية تلك المعاهدة بحجة أنها غير شرعية لأن ريموند لا يستطيع التصرف بمفرده لنقـل اقطاع أنطاكية لغيره ، ولا حتى زوجته الوريثة الشرعية تستطيع ذلك دون الحصـول على موافقة الأهالى والنبـلاء ، لذلك فان ما تم بين الامبراطور حنا كومنين وريموند دى بواتيه ، يعتبر لاغيا ، ويمـكن للامبراطور اذا أراد أن يدخل أنطاكية على غرار ما حدث فى عـام ١١٣٨ م على شرط أن يبقى عدة أيام فقـط دون ن يستخدم قلعـة

(78) William of Tyre : op. cit., pp. 124 - 25.

Le Beau, Ch. : op. cit., pp. 54 - 55.

Cahen, C. : op. cit., p. 366.

(٧٩) يبدو أن ريموند وجه الدعوة فى الفترة ١١٣٩ م — ١١٤٠ م تلك الفترة التى كان فيها حنا مشغولا فى آسيا الصغرى وبعد عام ١١٤٠م زال خطر الزنكيين مؤقتا عن بلاد الشام وبالتالى زالت الأسباب التى وجهت من أجلها الدعوة .

المدينة[٨٠] .

كان معنى هذا أن نورمان أنطاكية رفضـوا حق الامبراطورية البيزنطية فى امارة أنطاكية الصليبية ، ذلك الحق الذى وجد أساسا طبقا لاتفاقية عام ١٠٩٧ م ، وتأكد باتفاقيتى ١١٠٨ م و١١٣٧ م ، وقد اعترف الملك فولك فى عام ١١٣٧ م اعترافا واضحا بتبعية أنطـاكية قانونا للامبراطورية البيزنطية[٨١] .

هذا الموقف من جانب نورمان أنطاكية واعلانهم صراحة الاستقلال التام عن الامبراطورية البيزنطية يعتبر نقطة تحول خطـيرة أدت الى تصدع كامل فى العلاقات البيزنطية الصليبية ، وفى الواقع يرجع ذلك الى حد كبير الى تحريض البابوية[٨٢] عندما أصدرت المرسوم المعروف فى عام ١١٣٨ م بعدم السماح لأى نفوذ بيزنطى فى بلاد الشام ومساندة رجال الدين فى أنطاكية لهـذا الرأى وقيامهم بدور فعال وبارز لمنـع ريموند دى بواتيه من تقديم تنازلات للبيزنطيين ، خشية أن تحـل الكنيسة البيزنطية محل الكنيسة اللاتينية فى أنطاكية .

قضى رد الأسقف على أمل حنا كومنين نهائيا للتفاهم مع الصليبيين، ولم يبق أمامه مجالا للاختيار سوى شن الحرب ضد نورمان أنطاكية ، ولكن فصل الشتاء منعه من عمل سريع ضدهم ، وقد اعتبر الامبراطور حنا كلام الأسقف اهانة له . لذلك أراد أن ينتقم من نورمان أنطاكية فأمر الجنود أن يغزوا ضواحى المدينة فنهبوا كل شىء واتلفوا الحقول

---

(80) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 53.
William of Tyre : op. cit., p. 125.
Grousset. R. : op. cit., pp. 148 - 49.
Cahen. C. : op. cit., p. 366.
Runciman : op. cit., p. 223.
Le Beau, Ch. : op. cit., p. 53.

(٨١) انظر ما سبق ، ص ٨٦ .
(٨٢) انظر ما سبق ص ٩٢ .

وقطعوا الأشجار[٨٣] • وبعد قيام الجنود البيزنطيين بتخريب وتدمير ضواحى أنطاكية قرر الامبراطور حنا كومنين الانسحاب الى قيليقية لقضاء فصل الشتاء هناك على أن يعود فى الربيع لشن حرب على نورمان أنطاكية[٨٤] •

كانت مملكة بيت المقدس تعانى من مشـــكلات الوراثة كما كانت تعانى منها أنطاكية ، والملك فولك كان يحكم من خلال زوجته ميلسند[٨٥] صاحبة الحق الشرعى فى وراثة مملكة بيت المقدس • وهذا النظام الذى وضعه الصليبيون أدى الى اضطرابات وثورات داخلية أضعفت من مركز مملكة بيت المقدس[٨٦] •

وأراد حنا كومنين أثناء وجوده فى قيليقية استعدادا لشن الحرب على نورمان أنطاكية أن ينتهز الظروف الصعبة التى تمر بها مملكة بيت

(83) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 53.
William of Tyre : op. cit., p. 125. Vol. 2.

(84) Ephraemius : op. cit., p. 170.
Cinnamos : op. cit., pp. 23 - 24.
Anonymous : op. cit., p. 280.
Cahen. C. : op. cit., p. 366.

(٨٥) كانت قوانين بيت المقدس تسمح للنساء بالسيطرة على شئون الحكم ، وكانت لذلك نتائجه السيئة على الصليبيين ، وكانت الملكة عنـــدما تتزوج لا تتنازل عن حقوقها بين يدى الرجل الذى يصل الى العرش بدون شك كانت تعطيه جزءا من السلطة فيصبح رئيس النبلاء ولكنها كانت السيدة الوارثة للمملكة وكانت تعتبر ملكة بيت المقدس ، أما زوجها فكان ملكا من خلالها ، لذلك عندما يقوم الملك بمنح أى عطايا أو هبات فلابد أن يذكر اسم زوجته التى نال عن طريقها السلطة • انظر :
Document relatifs a la successibilite au trone et la Regence, Assise de Jerusalem p. 416 t. 11.
Dodu. G. : Instutions Monarchique p. 119.

(86) William of Tyre : op. cit., p. 72 - 74.
Grousset. R. : op. cit., pp. 28 - 29.
Brehier, L. : op. cit., p. 95.

المقدس وقرر تثبيت حقوق الدولة البيزنطية فى مملكة بيت المقدس ، تلك السـيادة التى لها سـندها التاريخى[٨٧] والقـانونى فاتفاقية القسطنطينية فى عام ١٠٩٧ م والتى اعترف بها الصيلبيون تنص صراحة على رد جميع الأراضى التى كانت تابعة للامبراطورية البيزنطية • لذلك اتصل الامبراطور البيزنطى فى أواخر عام ١١٤٢ م بالملك فولك فى محاولة لدخول بيت المقدس بكامل قواته العسكرية[٨٨] •

أرسل الامبراطور حنا كومنين الى فولك ملك بيت المقدس سفارة

---

(٨٧) ادعاءات الدولة البيزنطية بالنسبة لبيت المقدس لها جذور تاريخية منذ عهد الامبراطور قنسطنطين الأول ، والدور الذى قامت به القديسة هيلين والامبراطور قنسطنطين الأول فى بناء الكنائس فى بيت المقدس معروف ، ودور الامبراطور جستنيان ، وأيضا الامبراطور هرقل ، عندما طرد الفرس من بيت المقدس . وأعاد صليب الصلبوت فى احتفال مهيب اقيم فى كنيسة القيامة بالقدس بعد انتصاره على الفرس فى ٦٢٩ م • وكان نتيجة لتدهور الخلافة العباسية ولنجاح الحروب البيزنطية فى أواخر القرن العـاشر الميلادى قد انتشر النفوذ البيزنطى وزاد فى الشرق ، وزادت هذه الانتصارات من النفوذ البيزنطى فى فلسطين ، وحاول الاباطرة المحاربون من أمثال نقفور فوقاس ، وحنا تزيمسكس الاستيلاء على بيت المقدس ، والامبراطور نقفور فى بيانه الرسمى الى الخليفة تكلم عن أهدافه وهى طرد المسلمين من بيت المقدس الى الجزيرة العربية . بينما كتب حنا تمزيمسكس الى ملك أرمينيا فى خطابه اليه أن رغبة البيزنطيين تحرير قبر المسيح من المسلمين • وبذلك يتبين أن السياسة الرسمية للدولة البيزنطية كانت تتصور ضم بيت المقدس • انظـر :

Saewulf. Early Travels in palestine p. 37.

Von Suchem's : Description of the Holy Land pp. 5 - 6.

Matthieu d, Edesse, p. 13 - 20 in Doc, Arm t. 1.

Runciman, S. : The Byzantine protectorate in the Holy land p. 211 - 15.

(٨٨) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٩١ •

La Monte. Byzantine empire and Crusading p. 257.

Grousset. R. : op., cit., p. 150.

على مستوى عال من كبار النبلاء البيزنطيين ، تطلب من الملك السماح للامبراطور بدخول بيت المقدس بقواته العسكرية ذلك بغرض الحج والعبادة ، وأن الامبراطور مستعد لتقديم مساعدات لمحاربة المسلمين المجاورين للملكة(٨٩) • ويبدو أن حنا كومنين بعرضه الاشتراك فى محاربة المسلمين ، كان يرغب فى احياء الحلف الصليبى البيزنطى لعام ١١٣٧ م • وبذلك يكون الاعتراف بالسيادة البيزنطية عندئذ نتيجة لاشتراك البيزنطيين فى حرب صليبية •

كان رد الملك فولك على الامبراطور البيزنطى مفاجأة له ، لأن حنا كومنين استخدم التمويه العسكرى لاخفاء غرضه الحقيقى لدخول بيت المقدس • فعندما وصلت السفارة البيزنطية الى بيت المقدس ، دعا الملك فولك مستشاريه للاجتماع معه ، وبعد التشاور تقرر ارسال سفارة خاصة على رأسها أنسلم Anselm أسقف بيت لحم وجودفرى Goedfroy رئيس دير السيد المسيح ، ووقع عليه الاختيار لاجادته اللغة اليونانية ، ورؤرد Rohard حارس قلعة بيت المقدس ، تحمل رد الملك الى الامبراطور البيزنطى(٩٠) •

بلغت السفارة الامبراطور بأن الملك يبعث اليه التحية كسيد له وكصديق ويشكره على العرض الذى تقدم به لمساعدة المملكة ضد

---

(89) William of Tyre : op. cit., p. 126.
Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 52 - 53.
Ephraemius : op. cit., p. 170.
سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٩١ •
Grousset. R. : op. cit., pp. 150 - 51.
Hussey. J. M. : op. cit., p. 225.
Runciman : op. cit., pp. 223 - 24.

(90) William of Tyre : op. cit., p. 126.
سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٩١ •
Grousset. R. : op. cit., p. 151.

أعدائها[٩١] . وقد تظاهر الملك فولك فى رده بعدم وجود امكانات فى المملكة لمد القوات البيزنطية الضخمة بما تحتاجه من مواد غذائية وخلافه ، وأن دخول مثل هذه الأعداد الكبيرة من الجيش سوف تسبب مجاعة فى المدينة ، ولكن يمكن تنفيذ رغبة الامبراطور على أساس اصطحاب عشرة آلاف رجل ، وسوف يقابل من قبل الشعب بالحفاوة التى تليق به كأقوى امبراطور فى العالم[٩٢] .

هذا الرد المهذب يدل على دهاء الملك فولك وحنكته السياسية لأنه رفض طلب الامبراطور بطريقة تمتاز باللباقة والكياسة .

بعد أن استمع الامبراطور لرسالة الملك ردا على رسالته سحب مقترحاته واعتبر عرض الملك غير مناسب فلا يمكن لامبراطور مثله أن يدخل بيت المقدس بالعدد القليل الذى اقترحه اطليليبون ، وكظم الامبراطور غيظه وحزنه وحاول أن يخفى مشاعره العدوانية نحو الصليبيين بأن قام بمنح السفارة بعض الأموال والهدايا ، وأذن لها بالانصراف وهو يفكر فى استخدام القوة ضد الصليبيين[٩٣] .

عزم الامبراطور حنا كومنين على استخدام القوة العسكرية

---

(91) Runciman : op. cit., pp. 223 - 24.
Grousset. R. : op. cit., p. 152.

(92) William of Tyre : op. cit., p. 126.
Le Beau, Ch. : op. cit., p. 56.
Grousset. R. : op. cit., p. 152.
Runciman : op. cit., pp. 223 - 24.
سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٥٩١ .
La Monte. L. : op. cit., p. 257.

(93) William of Tyre : op. cit., p. 126.
Cahen. C. : op. cit., p. 367.
Grousset. R. : op. cit., p. 152.
سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٩١ .

ضد الصليبيين فى بلاد الشام بصفة عامة لتثبيت حقوق الدولةالبيزنطية الشرعية ، ذلك لكى يحقق ما لم يستطع تحقيقه أسلافه ، وكانت رغبته أن يصل الى الفرات ودجلة وفلسطين حيث يوجد صليب المسيح ويصعد على جبله ويقهر أعداءه بالسلاح[٩٤] . وقد كان حنا كومنين ومعه البيزنطيون يتطلعون فى ظل القوة الهائلة التى وصلت اليها بيزنطة فى هذا العصر الى وصـــول الامبراطورية الى حدود ما قبل الفتـــح الاسلامى[٩٥] فكانوا يريدون أيضا ضم مصر[٩٦] .

وبينما كانت الاستعدادات العسكرية تجرى على قدم وساق فى فيليقية بالقرب من طرسوس بين القوات البيزنطية . خرج الامبراطور حنا كومنين للصيد فى جبال قيليقية فى منطقة تسمى عش الغربان فقابله خنزير فطعنه فى الحال بالحربة طعنة مميتة غير أن يد الامبراطور صدت الى الخلف واصطدمت بالسهام المسمومة فدخل سهم فى يده فتسلل السم الى أعضاء الجسم فتوجه الى المعسكر على الفور حيث تم استدعاء مجموعة من الأطباء وبذلوا جهدا كبيرا لانقاذ حياة الامبراطور ، ولكن صحته استمرت فى التدهور[٩٧] .

وعندما أحس حنا كومنين بدنو أجله فكر فيمن يخلفه على عـرش الامبراطورية لذلك استدعى أقاربه وأصدقائه والأعيان وجاء مانويل ابنه الصغير معهم ووجه الامبراطور اليهم حديثا طويلاً مبينا الأسباب التى

---

(94) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 57 - 58.

(٩٥) « ضمى ضفاف بجلة وعودى وطهرى النيل » .
انظر :

(96) Prodromos. T. : op. cit., p. 1389.
Loc. Cit.

(97) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 53 - 54.
Cinnamos : op. cit., pp. 23 - 24.
William of Tyre : op. cit., p. 126 - 28.

جعلته يفضل مانويل الابن الأصغر على ابنه اسحاق الابن الأكبـــر ، مخالفا بذلك العرف والتقاليد البيزنطية[٩٨] •

وكان الامبراطور حنا كومنين قد أحضر معه نذرا من أجل الحج الى بيت المقدس ، عبارة عن قنديل يزن عشرون مثقالا من الذهب لكى يقدمه لقبر السيد المسيح[٩٩] ، فى عيد الفصح ، حيث يقام فى ذلك اليوم احتفال فى كنيسة القيامة[١٠٠] ، وقد حزن الامبراطور عنـــدما أحس بدنو أجله لعدم قيامه بذلك •

وبعد بضعة أيام مات الامبراطور حنا كومنين متأثرا بجراحه فى ٨ ابريل عـــام ١١٤٣ م فى منطقـــة فيليقية[١٠١] ، ويبـــدو أن موت

---

(98) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 59 - 60.
Cinnamos : op. cit., pp. 26 - 27.
William of Tyre : op. cit., pp. 128 - 29.

(99) Cinnamos : op. cit., p. 25.

(١٠٠) وصـــف الراهب الروسى دانيال اســـتخدام النـــار الاغريقية والقناديل فى كنيسة القيامة فى الاحتفال الذى حضره فى عام ١١٠٦ م • انظـــر :

Pilgrimage of the Rusian abbot Daniel p. 75 in P. P. T. S.

(101) Ephraemius : op. cit., p. 170.
Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 53 - 54.
Cinnamos : op. cit., pp. 23 - 24.
William of Tyre : op. cit., p. 126 - 28.
Vahram d, Edesse p. 502. in Doc, Arm, t. 1.
Gregoire le pretre. op. cit., p. 156.

سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٩١ •

Vasiliev : op. cit., pp. 416 - 17.
Runciman : op. cit., p. 224.
Grousset : op. cit., p. 152.
Ostrogorsky : op. cit., p. 337.
Hussey. J. M. : op. cit., p. 225.

الامبراطور البيزنطى لم يكن بسبب حادث[١٠٢] الصيد وانما مات الامبراطور بيد أحد أعدائه[١٠٣] .

ترك موت حنا كومنين فراغا كبيرا فى الشرق اللاتينى وعرض المنطقة لتهديد عماد الدين زنكى وانهار النفوذ البيزنطى فى لحظة حاسمة من لحظات التاريخ .

* * *

(102) Browing. R. : The death of John 11 Comnenus p. 228 - 35.

(١٠٣) انظر التفاصيل ملحق رقم ٦ .

الفصل الثالث

الامبراطور حنا الثانى كومنين وأتابك الموصل عماد الدين زنكى

تدخل الامبراطور حنا كومنين فى شئون أعالى الشام تحالف الصليبيين والبيزنطيين ضد المسلمين — عماد الدين زنكى ينقذ حلب من السقوط فى يد القوات الصليبية — استيلاء حنا على كفر طاب — حصار حنا لشيزر واستنجاد أميرها بعماد الدين زنكى — فشل التحالف الصليبى البيزنطى — فك الحصار عن شيزر وفشل حملة حنا كومنين على الشام .

كانت سياسة الدولة البيزنطية فى القرن الثانى عشر للميلاد ترمى الى المحافظة على توازن القوى بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشام ، وتحاول مساندة ومساعدة الجانب الضعيف حتى تستطيع استعادة نفوذها من خلال ذلك[1] . وكان حنا كومنين يراقب الأحداث التى تجرى على الجانب الاسلامى فى بلاد الشام بحذر شديد ، وقد رأى الامبراطور حنا أن الوضع بدأ يتغير فى بلاد الشام فى أواخر العشرينات من القرن الثانى عشر لصالح القوى الاسلامية بفضل جهود عماد الدين زنكى الذى أخذ يضغط على الصليبيين .

لذلك خطط الامبراطور حنا كومنين لاستخدام القوات البيزنطية للقضاء على القوى الاسلامية النامية فى بلاد الشام قبل أن يستفحل أمرها وذلك عن طريق التعاون المشترك بينه وبين الصليبيين[2] . وانهاء المشكلة النورماندية فى أنطاكية على حساب المسلمين[3] .

بدأ عماد الدين زنكى يظهر على مسرح الحياة السياسية عندما أسندت اليه ولاية واسط ورئاسة الشرطة فى البصرة فى عام ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) وأظهر عماد الدين كفاءة نادرة فى ادارة البلدين[4] .

وعندما توفى حاكم الموصل البرسقى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) لم يترك سوى ابنه عز الدين الذى مات بعد أبيه بقليل وطفلا صغيرا ، فأرسل السلطان محمود القاضى بهاء الدين وصلاح الدين الياغبسانى

---

(١) انظر ما سبق ، الفصل الأول ، ص ٥٢ .

(2) Grousset. R. : Histoire des Croisades pp. 94 - 95. t. 11.

(٣) انظر ما سبق ، الفصل الثانى .

(٤) ابن الأثير : الباهر فى التاريخ ص ٢٤-٢٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٠ .

لتفقد أحوال البلاد ، واقرار ولاية ابن البرسقى ، وعند عودتهما من الموصل اقترحا على السلطان تولية حاكم قوى على الموصـــل ، لأن الصليبيين طمعوا فى بلاد الجزيرة والشام بعد موت البرســـقى ، ورشحا عماد الدين زنكى ، لهذا المنصب ووافق السلطان محمود وأصدر منشوره فى عام ٥٢١ هـ (١١٢٧م) بتوليـــة عماد الدين زنكى عـــلى الموصـــل[٥] .

وبدأ عماد الدين زنكى يخط خطوة الى الأمام نحو توحيـــد الجبهة الاسلامية لمحاربة الصليبيين وشرع يستولى على البلاد المجاورة للموصل ويوطد سلطته فيها ، وكانت خطة عماد الدين زنكى ، تهـــدف الى الاستيلاء على مدينة حلب ، ذات الموقع الاستراتيجى الهـــام بالنسبة لمحاربة الصليبيين ، وعبر عماد الدين زنكى الفرات واستولى على منبج وحصن بزاعة سنة ١١٢٨ م ثم حاصر مدينة حلب ، وكان أهالى حلب يعرفون والد عماد الدين ، وأيضا عماد الدين الذى كبـــر وتربى فى هذه المدينة ، لذلك فتحوا له الأبواب وأدخلوه المدينة عام ٥٢٢ هـ (١١٢٨م) وهرب الحاكم ختلغ وتحصن بقلعة حلـــب ، ولكن عماد الدين تمكن من أسره وفقأ عينيه وأرسله الى الموصل[٦] .

---

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٣ — ٣٤ ، ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ، ص ٣٠ ، ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٣١ — ٣٢ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦٤ .

Bar Hebraeus : The Chronography. Vol. 1, p. 253.

Anonymous : The first and second crusades p. 100.

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ج ٢ ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، العظيمى : تاريخ العظيمى نشره كاهن ص ٣٩٩ .

المقريزى : السلوك ، ج١ ، ص ٣٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ج ٣ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

Michel le syrien : tome 3 p. 236.

Bar Habraeus : op. cit., p. 253.

Gibb, H. : Zengi and the fall of Edessa.

A Hist of Crusades, t. 1 p. 454 (ed. setton).

ويعتبر استيلاء عماد الدين زنكى على مدينة حلب نقطة تحول بالغة الأهمية فى تطور الأحداث فى منطقة شمال الشام ، وبدأ للجميع أن عماد الدين زنكى يعمل على توحيد بلاد الشام سياسيا ذلك العمل الذى طالما حاول ملوك بيت المقدس منعه حتى يبقى العالم الاسلامى مبدد القوى مقطع الأوصال منقسم على نفسه .

وهكذا بدأ ميزان القوى فى بلاد الشام يتحول تدريجيا لصالح المسلمين بقيام دولة قوية فى شمال الشام ، وأخذ زنكى يحارب فى جبهتين : الأولى لتوحيد الجبهة الاسلامية ، والثانيــة لشن حــرب مقدسة ضد الصليبيين . فقام عماد الدين بفتح جزيرة عمرواربل فى سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) ثم سنجار فمدينة الرحبة فنصيبين فى ســنة ٥٣٢ هـ (١١٢٩ م) ، ثم تمكن من الاستيلاء على مدينة حماة فى نفس السنة[٧] .

عزم عماد الدين زنكى على اقتحام حصن الأثارب والاستيلاء عليه باعتباره أحد معاقل الصليبيين التى تمثل خطورة على حلب ، فقد اعتاد الصليبيون أن يعبروا منه لنهب وسلب حلب وضواحيها ، وذلك رغم مشورة رجاله عليه بعدم محاربة الصليبيين نظرا لقوتهم وسطوتهم غير أنه صمم على اقتحام الحصن وتمكن من هزيمة الصليبيين[٨] .

---

(٧) أبو شامة : المصدر السابق ص ٣٠ .

Bar Hebraeus : The Chronography. op. cit., p. 253.

Cahen. C. : La Syrie du Nord p. 284.

(٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٣ لوحة ١٣ــ١٤ ، أبو شامة المصدر السابق ص ٣١ ، ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٣١ ، ابن واصل : المصدر السابق ص ٤٣ .

Nicolson. R. : A Hist. of the Crusades. op. cit., 43.

ذكر ابن العديم أن زنكى لم يستطع الاستيلاء على الحصن الا فى عام ١١٣٥ م ، كما ذكر ذلك أيضا المؤرخ المجهول ، وأضاف أن الصليبيين طلبوا منه الأمان لتسليم الحصن وتظاهر بالموافقة ثم انقض على جميع الرجال بالسيف أما النساء والأطفال فقد أخذوا الى حلب كرقيق . انظر :

ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٥٩ .

Anonymous : op. cit., pp. 274 - 75.

اضطر عماد الدين زنكى الى أن يؤجل الجهاد ضد الصليبيين مؤقتا كما توقفت جهوده لتوحيد الجبهة الاسلامية فى الفترة من ١١٣١ م، الى ١١٣٤ م ، وذلك بسبب الأحداث التى وقعت فى فارس والعراق ، الأمر الذى أدى الى تدخل عماد الدين زنكى ، فى الصراع ثم تعرضه للهجوم من قبل الخليفة المسترشد ، الذى حاول الاستيلاء على الموصل[٩] .

وسرعان ما تحول الوضع لصالح عماد زنكى ، اذ فشل الخليفة المسترشد فى الاستيلاء على الموصل ، ثم قتل على يد الباطنية فخلفه ابنه الراشد الذى مات بدوره فى أصفهان عام ١١٣٦ م (٥٣٠ هـ) ونصب السلطان مسعود المقتفى أخو المسترشد خليفة فى بغداد[١٠] . فعاد عماد الدين زنكى مرة أخرى الى الشام لتوحيد الجبهة الاسلامية ، واستئناف الحرب المقدسة ضد الصليبيين ، فقام بمحاولة الاستيلاء على مدينة حمص سنة ١١٣٧ م لكنه فشل فى الاستيلاء عليها بسبب مقاومة معين الدين أنر ، وأنهى هذه الحملة بعقد هدنة مع دمشق[١١] .

انتهى حصار حنا كومنين لمدينة أنطاكية فى عام ١١٣٧ م بعقد اتفاقية بين الطرفين تمخضت عن تحالف صليبى بيزنطى ضد مسلمى الشام ، وعاد حنا كومنين من أمام أنطاكية الى قيليقية[١٢] ، وبقائه هناك بعض الوقت أفقد حملة حنا كومنين عنصر المفاجأة بالنسبة لحرب

---

(٩) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٥٤ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٦٨ — ٥٦٩ .
Bar Hebraeus : The Chronography : op. cit., p. 257.
An Account of a rare if not unique manuscript.
Hist. of the sljuqus p. 857 - 865 in J. R. A. S.

(١٠) ابن العبرى : المصدر السابق ص ٥٤.
سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٧٠ .
Bar Hebraeus : op. cit., p. 257.
An Account of a rare if not unique manuscript : op. cit., pp. 862 - 63.

(11) Gibb, H. : op. cit., p. 458.
Runciman. Hist. of the Crusades : V. 11, pp. 203 - 204.

(١٢) انظر ما سبق الفصل الثانى .

المسلمين بالرغم من أن حنا كومنين استخدم التمويه السياسى والعسكرى لتضليل عماد الدين زنكى عن الهدف الحقيقى للبيزنطيين والصليبيين ، فأرسل سفارة تحمل الهدايا الى عماد الدين وتخبـره بأن الامبراطور موجود فى قيليقية لمحاربة الأرمن ، وأن عماد الدين رد على الامبراطور بالمثل اذ بعث اليه مع الحاجب حسن هدايا تشـمل بزاة وفهـودا وصقورا[١٣] . غير أن المسلمين كانوا على حذر وشك من تحـركات البيزنطيين والدليل على ذلك شروع الحلبيين فى سنة ١١٣٧ م فى بناء أسوار حلب وخنادقها[١٤] .

حدد الامبراطور حنا كومنين مع حلفائه الصـليبيين أول ابريل موعدا لشن الهجوم على مسلمى الشام ، وفى فبراير عـام ١١٣٨ م (جمادى الأولى ٥٣٢ هـ) تم القبض فى مدينة أنطاكية على التجـار والمسافرين من أهالى مدينة حلب والمدن المجاورة لها منعا لتسرب أخبار الاستعدادات الجارية بشأن الحلف الصليبى البيزنطى الفرنجى[١٥] .

تقابل الجيشان البيزنطى والصليبى ، وظهروا فجأة فى مارس على طريق مدينة البلاط ، فى أعداد كبيرة كالجراد لا تحصى ولا تعد ، ذلك بينما كان عماد الدين زنكى[١٦] منهمكا فى حصار مدينة حمص وارتكبت

---

(١٣) كان للامبراطور حنا كومنين دراية كبيرة بفنون الصيد ، ويبدو أن زنكى كان يعرف ذلك فقدم اليه هذه الهدايا التى تستخدم فى الصيد .

(١٤) العظيمى : المصدر السابق ص ٤١٢ — ٤١٣ .

(١٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٦٣ — ٦٤ .
ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٤ .
سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٥٨٥ .
Cahen. C. : op. cit., pp. 360 - 61.
Grousset. R. : op. cit., p. 100.
Runciman : op. cit., pp. 214 - 15.
Elisseef, N. : Nor ad-Din. pp. 364 - 65.

(١٦) يبدو أن حنا كومنين نجح فى تضليل عماد الدين زنكى لأنه ذهب للاستيلاء على مدينتى حمص وبعلبك وسحب من حلب ثمانمائة مقـاتل ، وانشغل فى القتال ضد المسلمين ولم يعط أهمية الى وجود القوات البيزنطية فى قيليقية : انظر : العظيمى : المصدر السابق ص ٤١٢ — ٤١٣ ، ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٤ .
Cahen. C. : op. cit., pp. 360 - 61.

الحملة خطأ جسيما بنزولها على حصن بزاعة ، الذى يبعد ٤٥ كيلو مترا عن مدينة حلب ، وضربوا الحصار حول الحصن[١٧] ، ولم تتوجه الحملة مباشرة لمهاجمة حلب بناء على نصيحة ريموند دى بواتيه أمير أنطاكية وجوسلين الثانى أمير الرها حيث خدعا الامبراطور وأرشداه لحصار بزاعة حتى لا يتمكن من دخول حلب[١٨] . ويبدو أن أميرى أنطاكية والرها أرادا أن تفلت هذه الفرصة ، لأن ريموند كان لا يرغب فى استبدال مدينة نطاكية بمدينة حلب طبقا لبنود المعاهدة .

أظهرت حامية بزاعة ومعها الأهالى شجاعة فائقة فى مقاومة جيوش الحلفاء ، فقد لاقت طليعة الجيش البيزنطى الصليبى مقاومة عنيفة فارتدت عن الحصن ، وطاردت الحامية الأعداء ، وعجزت الجيوش البيزنطية أن تصمد فى تلك المعركة الحامية من قبل قوات وأهالى بزاعة ، ولكن وصول الامبراطور حنا كومنين مع فرقته أنقذ الموقف حيث ألقى بها فى المعركة وكانت النتيجة توقف المقاومة وارتداد أهالى بزاعة داخل الأسوار ولم يستطيعوا الخروج مرة أخرى ، وشدد الامبراطور الخناق على المحاصرين الذين قاتلوا سبعة أيام ثم سلموا الحصن بالأمان ، وسلمت القلعة الى جوسلين أمير الرها[١٩] . نقض

---

(١٧) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٥ ، العظيمى : المصدر السابق ص ٤١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧٥ .
Nicetas, Ch. : Historia in Corpus Scriptorum pp. 36 1 37.
Chronique de Michel : op. cit., p. 245.

(18) Anonymous : op. cit., pp. 278 - 79.

(19) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 37 - 38.
Cinnamos : Epitome Historiazum in Corpus pp. 19 - 20.
Ephraemius : de Ioanne Comnen, in Corpus pp. 166 - 167.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 264.
Anonymous : op. cit., p. 278.
Michel Le syrien : op. cit., p. 245.
Hell. N. : Undierte Texte aus der Zeitd. Kaisers, Johannes Komnenos, pp. 59 - 60 in B. Z. t. VIII.
ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٥ .
ابن الشحنة : المصدر السابق ص ١٧٥ .
العظيمى : المصدر السابق ص ٤١٤ .

الامبراطور حنا كومنين الأمان الذى سبق وأن أعطاه لأهالى بزاعة ، وتعقب الأهالى الذين حاولوا الاختفاء فى المغارات وأهلكهم جميعا ، وبلغ ضغط الصليبيين على أهالى بزاعة لدرجة أن قاضيها وعددا كبيرا من أعيانها يبلغ أربعمائة شخص تنصروا هربا من التنكيل والقتل[٢٠] .

أثار استيلاء الجيوش البيزنطية الصليبية على قلعة بزاعة موجة من الفزع بين المسلمين وانتشر الخبر بسرعة ، وأرسل أهالى حلب الى عماد الدين زنكى الذى كان محاصرا لمدينة حمص ، يستغيثون به ، وقد قرر عماد الدين على الفور اعادة ما أخذه من رجالة حلب ، مع الأمير سيف الدين سوار وأضاف اليهم خمسمائة فارس تحت قيادة أربعة من الأمراء منهم زين الدين على كوجك . واستطاعوا دخول المدينة فى ٢٧ رجب ٥٣٢ هـ (٩ ابريل ١١٣٨ م) فارتفعت بذلك الروح المعنوية للأهالى[٢١] .

وكالمعتاد فى أوقات الأزمات والمحن فان المسلمين يلجئون الى بغداد يلتمسون منها العون والمساعدة ، فأرسل عماد الدين زنكى القاضى كمال الدين الشهرزورى الى السلطان السلجوقى مسعود فى بغداد يطلب منه قوات عسكرية لمواجهة الموقف المتأزم ، وأراد القاضى كمال الدين أن يثنيه عن قراره مبينا له بأن وصول قوات من قبل السلطان قد تؤدى الى أن يفقد عماد الدين زنكى سلطانه على تلك البلاد ويستولى عليها رجال السلطان ، فكان رد عماد الدين زنكى : « ان هذا العدو قد طمع فى البلاد ، وان أخذ حلب لم يبق بالشام

---

(٢٠) العينى : عقد الجمان ، القسم الأول ج ١٢ لوحة ٩٨ — ٩٩ .
ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٦٥ .
ابن واصل : المصدر السابق ص ٧٧ — ٧٨ .

(٢١) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٥٩ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٦٥ ، العظيمى : المصدر السابق ص ٤١٤ .

Grousset. R. : op. cit., p. 101.

Runciman : op. cit., p. 215.

اسلام وعلى كل حال فالمسلمون أولى من الكفار »[٢٢] . هذا الرد من عماد الدين زنكي ، يبين مدى وعى قادة المسلمين فى الثلاثينات من القرن الثانى عشر للميلاد وارتفاعهم الى مستوى الأحداث وترفعهم عن المصالح الشخصية .

وبعد أن مكثت الجيوش البيزنطية الصليبية عشرة أيام فى بزاعة تحركت الى مدينة حلب ، لكن بعد أن أضاعت المفاجأة ، لأن احتلال بزاعة أعطى فرصة لأهالى حلب للاستعداد لمواجهة الهجوم المرتقب من قبل الصليبيين[٢٣] .

نزل الامبراطور حنا وحلفاؤه من الصليبيين فى ١٩ ابريل ١١٣٨م (٦ شعبان ٥٣٢ هـ) على ضاحية السعدى[٢٤] . جنوب حلب على ضفة نهر قويق ، حيث عسكروا هناك . وفى اليوم التالى بدأوا الهجوم ، وعندما رأى الحلبيون الجيوش الصليبية اندفعوا نحوها محاولين الهجوم عليها ، لكنهم سرعان ما صدوا وتراجعوا داخل الأسوار ، ثم قاموا بعدة محاولات مماثلة دون جدوى ، وقد حاول بعض القناصة الحلبيين اغتيال الامبراطور حنا كومنين ، باستخدام النشاب[٢٥] عندما كان يتجول حول أسوار المدينة لمعاينتها . وعندما رأى الامبراطور قوة أسوار المدينة وقوة حاميتها بالاضافة الى قرب نفاد المواد الغذائية لدى

---

(٢٢) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٦٢ — ٦٣ ، راجع أيضا ابن واصل : المصدر السابق ص ٧٩ — ٨٠ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٧٢ .

(٢٣) العينى : المصدر السابق لوحة ٩٨ — ٩٩ .
ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٦٥ .
ابن واصل : المصدر السابق ص ٧٧ — ٧٨ .

(٢٤) الشيخ سعيد حاليا .

(٢٥) النشاب يتركب من الخشب والقرن والعقب والغراء ومجرى الوتر من السهم يسمى الفوق وحديده يسمى النصل والريش يسمى القذذ والسهم قبل تركيب الريش يسمى القدح .
انظر : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٣٤ — ١٣٥ .

الصليبيين وندرة المياه والوقود ، فقد قرر رفع الحصار عن مدينة حلب[٢٦] .

اكتشف الامبراطور حنا كومنين الخطأ « الاستراتيجى » الذى وقع فيه ، ولكن بعد فوات الأوان ، فهو لم يستطع استغلال بعد عماد الدين زنكى عن حلب بسبب نصيحة الصليبيين الذين زينوا له أهمية الاستيلاء على حصن بزاعة ، لتضييق الخناق على مدينة حلب وعزلها ، واتضح بأن بزاعة لم يكن لها أية قيمة عسكرية ، بل العكس الاستيلاء عليها أدى الى فشل خطة حنا كومنين العسكرية ، والصليبيون لم يبدوا أى حماس أثناء الحصار[٢٧] لأنهم ليس لديهم أية رغبة فى حلب ، وتوابعها .

وبعد الانسحاب من أمام أسوار حلب فى ٢١ أبريل ١١٣٨ م

(26) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 36 - 37.
Cinnamos : op. cit., pp. 19 - 20.
Prodromos T. : p. 1364 in M. P. G. t. 133.
Ephracmius : op. cit., pp. 166 - 67.
Chronique de Michel le Syrien : op. cit., p. 245.
Hell, N. Undierte texte ausder zeit d, Kaisers p. 60.
Grousset. R. : op. cit., p. 102.
Cahen. C. : op. cit., pp. 360 - 61.
ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٦٥ . ابن واصل : المصدر السابق ص ٧٧ — ٧٨ ، ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٥ ، العظيمى : المصدر السابق ٤١٤ — ٤١٥ ، العينى : المصدر السابق لوحة ٩٨—٩٩ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٥ .

٢٧ اختلفت رواية المؤرخ المجهول عن باقى المؤرخين المعاصرين حيث أورد بأن الامبراطور حنا كومنين لم يقم بحصار مدينة حلب ، وأشار بأن الجيوش مرت على حلب وقد بدت للاهالى وهى تمر كالجراد لا تعد ولا تحصى ، وارتعدت قلوب الحلبيين لأنهم ظنوا أن هذه الجيوش ستهجم على البلد ولو فعلت سقطت حلب على الفور ، غير أن الصليبيين كانوا لا يرغبون فى ذلك وقدموا للامبراطور البيزنطى نصيحتهم القاتلة وهى حصار شيزر بدلا من حلب : انظر :
Anonymous : op. cit., p. 278.

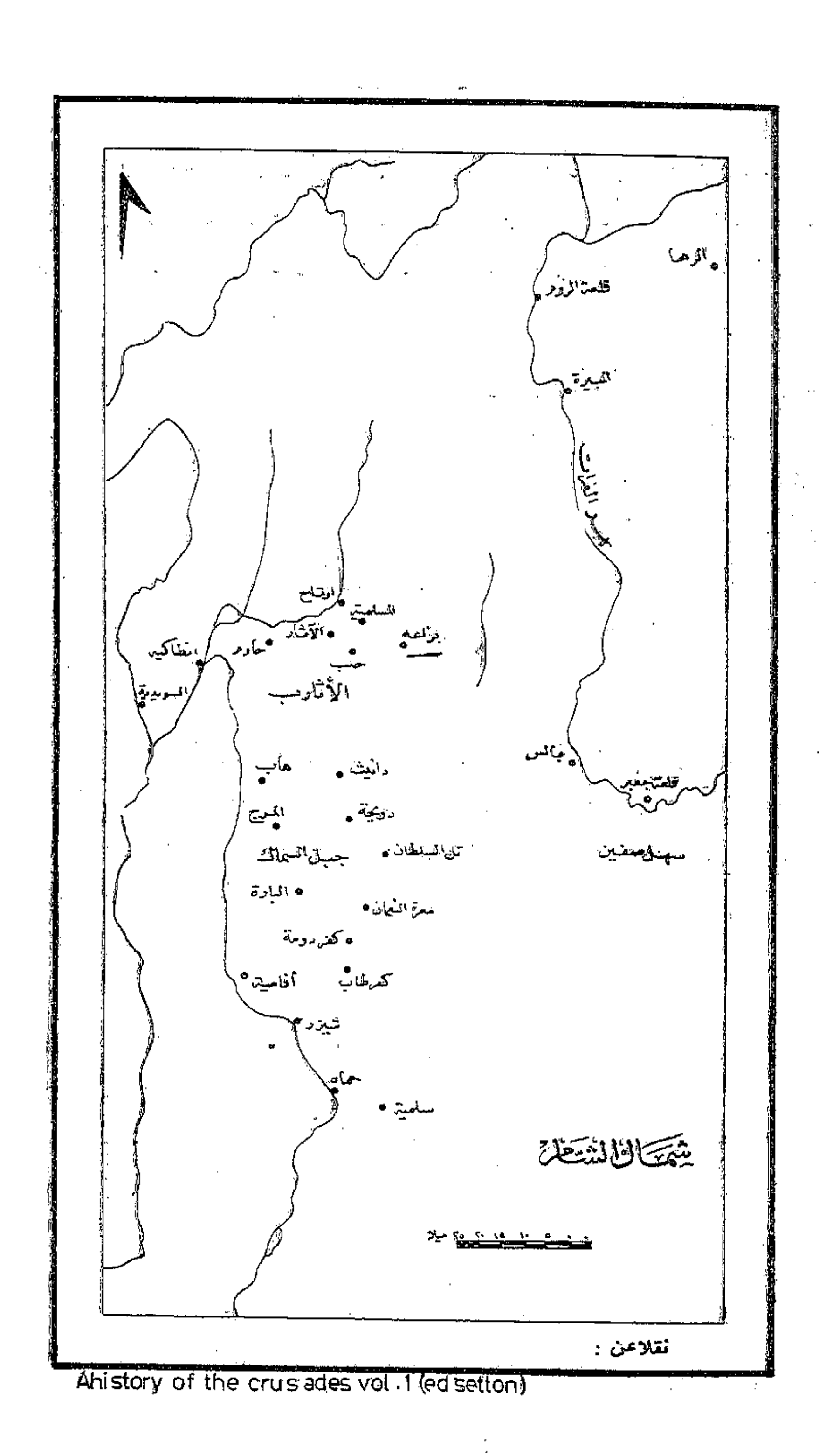
(٥٣٢ هـ) تحول حنا كومنين والصليبيون الى الأثارب ، والتى تعتبر مفتاح حلب من ناحية أنطاكية ، واستولى عليها الصليبيون دون أن يواجهوا أية مقاومة تذكر ، لأن الحامية الحلبية التى كانت بها هربت ، بعد أن أحرقت كل ما يمكن أن يستفيد منه الأعداء فى المدينة ، واحتل الأثارب جماعة من فرسان البيزنطيين والصليبيين ، وأودع فيها الامبراطور حنا كومنين أسرى قلعة بزاعة ، وترك عليهم حراسا ثم توجه نحو معرة النعمان ، غير أن بعض الأسرى استطاع الهرب الى مدينة حلب ، وأخبروا سيف الدين سوار نائب عماد الدين بعدم وجود حراسة كافية على الأسرى فى الأثارب ، لذلك توجه اليها على الفور مع قواته وخلص جميع الأسرى فأركب هو نفسه عدة أطفال على فرسه وعاد الجميع الى حلب(٢٨) .

لا شك أن فتح الأثارب كانت له أهمية « استراتيجية » بالنسبة للصليبيين ، اذ أعاد اليهم تلك الأراضى التى فقدوها فى عام ١١٣٥ م وكان ذلك بمثابة احياء وبعث لحدود أنطاكية الشرقية القديمة ، وأصبحت مدينة أنطاكية بعيدة عن تهديد المسلمين ، لوجود خط دفاع قوى فى الشرق . ثم تابع الصليبيون مسيرتهم من معرة النعمان الى كفر طاب ، وقد كانت عاصمة للمنطقة وتسيطر على عدة قلاع وتحيط بها أسوار منيعة ، وسبق أن استولى عليها عماد الدين زنكى فى عام ١١٣٥ م ، وتمكن الصليبيون من الاستيلاء على كفر طاب فى ٢٨ ابريل ١١٣٨ م (٥٣٢ هـ) بعد مقاومة بسيطة(٢٩) .

---

(28) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 37 - 38.
Ephraemius : op. cit., pp. 166 - 67.
Hell. N. : op. cit., p. 60.
العظيمى : المصدر السابق ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ، أبو الفداء : المختصر فى تاريخ البشر المجلد الثالث ج ١٢ .
Grousset. R. : op. cit., p. 103.

(٢٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .
Nicetas, Ch. : op. cit., p. 38.
Grousset. R. : op. cit., p. 103.
Cahen. C. : op. cit., pp. 360 - 61.



نقلا عن :

Ahistory of the crusades vol.1 (ed setton)

غادر عماد الدين زنكى مدينة حمص ، وسار الى سلمية ونزل بها حيث أعد قواته وجهزها ، ثم عبر الفرات الى الرقة وأقام هناك ينتظر ويراقب تحركات الجيوش الصليبية ، وارسال وحدات من قواته لكى تقطع امدادات التموين عن جيوش الحلفاء(٣٠) .

أما الصليبيون فقد اتجهوا نحو شيزر وهى من أهم المدن بعد دمشق وحلب وحمص وحماة ، مشهورة بحصانتها ، ولها قلعة تسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بنهر العاصى ، كما أنها ذات موقع حربى هام فى بلاد الشام ، وكانت فى حوزة بنى منقذ ، اشتراها أبو الحسن على بن منقذ من البيزنطيين فى عام ١٠٨١ م (٤٧٤ هـ) وقد فضل الصليبيون الاستيلاء عليها على أساس أنها لا تقع فى أملاك عماد الدين زنكى(٣١) .

عندما اقترب الامبراطور حنا كومنين من جسر بنى منقذ تركه الأهالى خاليا ، فاحتله الصليبيون ومكثوا فيه بعض الوقت ، ونزل الامبراطور حنا كومنين على بلدة الرابية المشرفة على شيزر ومعه قوات من البيزنطيين والصليبيين فى ٢٩ ابريل ١١٣٨ م (شعبان ٥٣٢ هـ) ، ضرب الحلفاء الحصار حول مدينة شيزر(٣٢) .

---

(٣٠) العينى : المصدر السابق لوحة ٩٩ — ١٠٠ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ٣٥٩ — ٣٦٠ .

(٣١) الأنصارى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص ٢٠٥ ، العظيمى : المصدر السابق ص ٣٦٣ ، ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر جـ ٦ ص ٤٢١ .

(٣٢) راجع عن حصار شيزر : ابن العديم المصدر السابق ص ٢٦٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ورقة ٩٨ — ٩٩ ، أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ١١٣ — ١١٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦٠ ، العينى : المصدر السابق لوحة ٩٩ — ١٠٠ .

Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 38 - 39.
Ephraemius : op. cit., pp. 166 - 67.
Cinnamos : op. cit., p. 20.

قاومت حامية شيزر ومعها الأهالى بشجاعة نادرة فقد جمع أهالى شيزر جيشا كبيرا من الجهات المجاورة ، وتعاونوا تعاونا كاملا كرفقاء سلاح ومصير واحد ، وتمكنوا فى البداية من صد الصليبيين ، وتكبد الجانبان خسائر فادحة فى الأرواح ، فانسحبت حامية شيزر داخل الأسوار ، واستطاع الامبراطور البيزنطى أن ينصب ثمانية عشر منجنيقا ضخما على الجبل المقابل لشيزر ، وأخذت هذه المجانيق تقذف المدينة قذفا شديدا فأحدثت تدميرا شاملا فى أسوار شيزر(٣٣) .

لكن على الرغم من ذلك فقد تحدى أهالى شيزر كل ذلك وأخذوا يستخدمون الخيول السريعة والرماح الخفيفة ، وكان بعضهم يصل الى جيوش الحلفاء عن طريق عبور النهر ، وعندما دمرت أسوار المدينة ووقعت القلاع فى أيدى الصليبيين لجأوا الى أسطح المنازل ومنها أخذوا يتحدون جيوش الحلفاء(٣٤) .

أمام هذه البسالة النادرة اضطر الامبراطور حنا كومنين الى تغيير خططه الحربية ، وأدخل تعديلات جوهرية بأن قام بتقسيم قواته الى أقسام منفصلة ، حسب الجنس والأمة التى ينتمون اليها ، فالمقدونيون جمعهم فى فرقة واحدة ، والكومان فى فرقة واحدة ، والتركمان الذين حالفوا البيزنطيين فى حروب سابقة وانضموا للجيش البيزنطى فى فرقة ثالثة ، وهكذا وهذه التقسيمات الواضحة للقوات حسنت من مركز الحلفاء العسكرى ، لعدة أيام جرت خلالها معارك كثيرة تفوق فيها البيزنطيون ، ولكن على الرغم من ذلك فان أهل شيزر لم يستسلموا خوفا

= Chronique de Michel Le Syrien : op. cit., p. 245.
Gregoire Le Pretre. p. 153, in Doc, Arm, t. 1.
Anonymous. op. cit., p. 279.
William of Tyre : Hist of deeds V. 11 pp. 94 - 95.
Jacques de Vitry : Hist of Jerusalem p. 24.

(33) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 38 - 39.

(34) Loc. Cit.

على حياتهم وحيـــاة أولادهم وأوضهم الأمـــر الذى ترتب عليه طول الحصار[٣٥] •

أما وصف معاناة أهل شيزر من الحصار فلدينا مذكرات مثيرة لشاهد عيان يتحدث عن التدمير الذى أحدثته المجانيق الضخمة ويصف كيف أن حجرا واحدا قذفته هذه المجانيق دمر أعلى وأسفل أحد المنازل ، وأن حجرا من منجنيق آخر ضرب راية موضوعة أعلى أحد منازل الأمـــراء فقسمتها الى نصفين ، وقتلت رجلا كان يمر بالطريق ، وقذيفة أخرى كسرت رجل أحد الجنود وعندما تهيأ المجبر لجبرها ، جاءت قذيفة أخرى فطيرت رأس الجريح وأودت بحياته[٣٦] •

استنجد أمير شيزر بعماد الدين زنكى وقد اعترض أسامة بن منقذ على ذلك عندما قال « قلت بئس ما فعلت أما يقول لك أتابك لما كانت لحما أكلها ولما صارت عظما رماها على »[٣٧] ، وقد فكر الصليبيون بهذا المنطق واعتقدوا بأنهم يستطيعون العمل بحرية ضد شيزر ، طالما أنها غـــير تابعة لعماد الدين زنكى ، ولكن عماد الدين زنكى ، كان لا يفكر فى هذا الوقت بالذات فى مصلحة شخصية له ، انما كان هدفه الأول حماية البلاد ، فلا يهمه اذا كانت شيزر فى حوزته أو فى حوزة بنى منقذ •

ولذا نجد أن عماد الدين زنكى قبل أن يطلب منه صاحب شـــيزر النجدة قد عزم على الخروج لملاقاة الصليبيين[٣٨] • ذلك لأن ســـياسة عماد الدين زنكى لم ترم فقط الى الجهاد ضد الصليبيين ، وانما أيضا حماية بلاد الشام من الأطماع البيزنطية •

لم تكن لدى زنكى الامكانيات التى يستطيع أن يواجه بها جيش

---

(35) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 39 - 49.

(٣٦) اسامة بن منقذ : المصدر السابق ، ص ١١٣—١١٤ •

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٢ •

(٣٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٥٥ — ٥٦ •

الحلف البيزنطى الصليبى، ولذلك وضع خطة على أساس عدم الدخول فى معركة سافرة وركز على ناحيتين : الأولى منع وصول امدادات التموين الى جيوش الحلفاء ، والناحية الثانية ما يسمى فى العصر الحديث بالحرب النفسية ، فكان عماد الدين زنكى يسير بجيشه الى شيزر حيث تراه جيوش الأعداء ، ثم يرسل السرايا لخطف كل من يخرج لجلب الطعام أو للقيام بالنهب من الجهات المجاورة من جنود الحلفاء[٣٩] . وقد أشار المؤرخ المجهول صراحة بأن ما قام به عماد الدين ، أدى الى حدوث مجاعة بين جيوش الحلفاء ، نظرا لضخامة تلك القوات واحتياجها الى كميات كبيرة من الطعام[٤٠] .

بدأ عماد الدين يهدد الامبراطور البيزنطى بالحرب ، وأرسل اليه يطلب منه الخروج من الجبال الى الصحراء الواسعة للالتقاء فى معركة فاصلة ، « فاذا ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم وأخذتم شيزر »[٤١] لكن الامبراطور البيزنطى رفض الدخول فى معركة وجها لوجه مع عماد الدين زنكى ، رغم أن الصليبيين أشاروا عليه بقتال عماد الدين والتخلص منه وأخبروه بأن عماد الدين لا قبل له بجيوش الحلفاء ، وأن عدد قواته قليل وفى امكانهم ايقاع الهزيمة به ، وكان رد الامبراطور على حلفائه أن عماد الدين يتظاهر بقلة عدد جيوشه ، ويخفى العدد الحقيقى حتى يطمع فيه الصليبيون وعندئذ يظهر قوته الحقيقية فيعجزون عن مقاومته[٤٢] .

وبطبيعة الحال لم تكن لعماد الدين قوة تمكنه من قتال هذه الجيوش و« انما كان يرهبهم بهذا القول وأشباهه » ، لم يكتف عماد

---

(٣٩) الحلبى : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، جـ ١ ورقة ٥٢ ، ابن الأثير : المصدر السابق ص ٥٥ـ٥٦ ، العينى : المصدر السابق ص ٩٩ـ١٠٠ .

(40) Anonymous : op. cit., p. 279.

(٤١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : المصدر السابق ص ٣٦٠ .

(٤٢) نفس المكان .

الدين زنكى بذلك بل أخذ يبذر بذور الشقاق والشـك بين البيزنطيين واطلبيين ، حتى يفرق جمعهم ، فكان يراسل حنا كومنين قائلا له أن الصليبيين ببلاد الشام لا يثقون فى البيزنطيين ويكنون لهم الحقد والكراهية وأنه من الخطأ أن يعتمد عليهم لأنه فى أى وقت معرض أن يجد نفسه وحيدا فى الميدان وفى نفس الوقت كان يراسل الصليبيين ويحذرهم من التعاون مع الامبراطور حنا كومنين ، والتحالف معه لأنه لو تمكن أن يعيد للامبراطورية البيزنطية حصنا واحدا من بلاد الشام سوف يحاول الاستيلاء على جميع ما يملكون هناك[٤٣] .

أما من جانب الحلفاء فقد بذل الامبراطور حنا كومنين جهدا كبيرا لانجاح الحصار على شيزر ، وشهد الصليبيون أنفسهم بشجاعته وبسالته ، وبأنه كان دائما على فرسه يتجول وسط المحاربين ويشجعهم على التفانى فى القتال ، ويستبدل الجنود المنهكين فى المعركة بآخرين يحلون محلهم لاعطائهم قسطا من الراحة ، وكان يتنقل بين الفرق المختلفة من الصباح حتى المساء ويأبى الراحة الا لتناول الطعام ، وذلك حتى يكون قدوة لجميع المحاربين[٤٤] . أما ريموند أمير أنطاكية وجوسلين الثانى أمير الرها ، فلم يبديا أى اهتمام و حماس بالحرب ، وأهملا المعركة وانصرفا الى لعب الميسر والشطرنج وانتقلت روح الاهمال والكسل من القادة الى الجنود الصليبيين[٤٦] .

---

(٤٣) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦٠ ، ابن واصل : المصدر السابق ص ٨١ — ٨٢ .

(44) William of Tyre : op. cit., p. 95.

(45) Loc. Cit.

(٤٦) الحقد بين أنطاكية والرها قديم فقد كان جوسلين الأول يطمع فى الاستيلاء على مدينة أنطاكية ، وعندما وصل بوهيمند الثانى فى عام ١١٢٦ م لحكم أنطاكية استولى جوسلين على بعض الأراضى التابعة لأنطاكية وحدث انقسام بين الصليبيين فى الشمال ، وتدخل برنارد بطرك أنطاكية وبلدوين الثانى ملك بيت المقدس ، ورد جوسلين جميع ما حصل عليه وتم الصلح بين الطرفين . وعندما قتل بوهيمند الثانى فى عام ١١٣٠ م تولى جوسلين الأول

ويعتبر جوسلين الثـاني أمير الرها المسـئول الأول عن تقاعس الصليبيين لأنه ضلل ريموند لكي يسلك هذا المسلك المشـين فقد كان جوسلين يكره ريموند ويحقد[٤٧] عليه ويخشى أي تحالف بينه وبين الامبراطور البيزنطي ، ويعتبر موجها ضـده ، واستخدم كل الوسائل حتى أثار النعرة الطائفية لابعاد ريموند عن الامبراطور ونجـح في ذلك[٤٨] .

ويبدو أن هناك سبب آخر لتقاعس الصليبيين في حصار شيزر ، ذلك أنهم كان لهم مع بني منقـذ علاقات طيبة منذ سـنوات طـويلة ويعتبرونهم أصدقاء ويفضلونهم على البيزنطيين[٤٩] ، وقد قام بنو منقذ بدور كبير للتوسط في اطلاق سراح بلدوين الثاني الذي سبق أسره بمعرفة نور الدين بلك[٥٠] وقام سلطان شيزر بكفالته وضمانه ، وكانوا

ادارة أنطاكية (انظر الفصل الثاني ص ٩٣) وعندما مات في أواخر عـام ١١٣١ م وانتقل الحكم الى ابنه جوسلين الثاني حاول الأنطاكيون التآمر عليه ، وأسره ولكنهم فشلوا في تنفيذ الخطة بسبب الخلاف الذي دب بينهم ، ثم طلب جوسلين الثاني أن يحكم أنطاكية بدلا من أبيه الذي مات غير أن أهالي أنطاكية رفضوا طلبه ، ويبدو أن جوسلين اعتقد بأحقيته في حـكم أنطاكية ، وعندما حضر ريموند من الغرب اعتبره جوسلين الثاني دخيلا ، وغريبا على الشرق الصليبي . انظر :

Michel Le Syrien : op. cit., pp. 323 - 33, 224.

(47) William of Tyre : op. cit., pp. 34 - 35.
Ibid p. 97.

(49) Rey, E. Resume Chronologique de 1, histoire des princes de Antioche, p. 361 dans Rev. or. lat.

(٥٠) تم أسر بلدوين الثاني عام ١١٢٣ م بمعرفة نور الدين بلك ثم انتقل بعد وفاة نور الدين بلك الى حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي الذي قام بتسليمه الى أمير شيزر لكي يضمن دفع الفدية التي تقررت على الملك بلدوين، وقد أكرمه سلطان شيزر ، وعندما عاد بلدوين الى وصاية أنطاكية أعفى سلطان شيزر من دين كان عليه لأمير أنطاكية وأصبح لسلطان شيزر نفوذ كبير في أنطاكية .

انظر : أسامة بن منقذ : المصدر السابق ص ١٢٠ .

يتبعون سياسة الحياد ، وكانوا من أحسن الوسطاء بين الأطراف المتنازعة[٥١] .

وازاء هذا الموقف استدعى الامبراطو حنا كومنين ريموند دى بواتيه وجوسلين الثانى ، وحاول بكل الطرق الودية اقناعهما للعدول عن موقفهما السلبى ، وبذل جهد أكبر فى المعركة ولكن على الرغم من ذلك فقد استمر الصليبيون فى التراخى واللامبالاة ، ومن ثم أيقن الامبراطور البيزنطى بأن التحالف بينه وبين الصليبيين قد فشل . ولذلك قرر انهاء ذلك الحلف بطريقة مشرفة ، فأنب جنوده على عجزهم أمام مدينة صغيرة كشيزر وألهب مشاعرهم فاشتد الحصار على شيزر ، وسقط الجزء الأسفل من المدينة ، وقتل جميع من فيه ما عدا النصارى[٥٢] .

عندئذ خاف سلطان شيزر أن تسقط المدينة فى يد الامبراطور البيزنطى فيتعرض الرجال والنساء والأطفال للقتل والتشريد ، لذلك طلب عقد هدنة قصيرة ، وعندما أجيب الى طلبه أرسل سرا الىالامبراطور يتفاوض معه على فك الحصار عن شيزر وعرض عليه شروطا مغرية ، وبعد أن عقد حنا كومنين مجلسا من مستشاريه وافق على رفع الحصار[٥٣] .

وهناك سبب آخر هو أن حامية شيزر أرسلت الى حنا كومنين مبعوثين تخبره بأن الصليبيين قد ضللوه وخدعوه ، عندما أشاروا عليه بالاستيلاء على شيزر لأن أهالى شيزر لم يظلموا أحدا كما أنهم لم يتحرشوا بالمسيحيين أو يضايقوهم ، وأرسلوا له هدايا من الذهب

---

(51) Anonymous : op. cit., p. 279.
(52) William of Tyre : op. cit., pp. 95 - 96.
Grousset. R. : op. cit., pp. 109 - 110.
(53) William of Tyre : op. cit., p. 96.
Grousset R. : op. cit., p. 110.

والفضة وكذا صلبانا من الذهب الخالص ، كان قد استولى عليها أجدادهم من أيام الامبراطور رومانوس الرابع ، وقد وافق الامبراطور على مغادرة شيزر[٥٤] .

وعندما علم الصليبيون بقرار حنا كومنين بالانسحاب من أمام شيزر ، تأسفوا وطلبوا من الامبراطور العدول عن قراره ، لكنهم أدركوا خطأهم الفاحش بعد فوات الأوان ، ورفض الامبراطور البيزنطى كل مساعيهم ، ورأى أن الانسحاب أصبح أمرا لا يقبل المناقشة[٥٥] .

حصل حنا كومنين من أمير شيزر على مبلغ كبير من المال وهدايا ثمينة من أحجار كريمة وحلل حريرية وصليب نادر الوجود وخيول عربية أصيلة، ومنضدة نادرة منقوشة بالنقوش الفاخرة بالذهب والألوان، وكان المسلمون قد استولوا عليها من خيمة الامبراطور رومانوس الرابع عندما هزم وأسر فى عام ١٠٧١ م (٤٦٣ هـ)[٥٦] . ثم أصدر الامبراطور حنا كومنين أوامره الى الفرق العسكرية استعدادا للرحيل فى ٢١ مايو ١١٣٨ م (٩ رمضان ٥٣٢ هـ) بعد أن ظل محاصرا لشيزر ثلاثة وعشرين يوما ، وذلك دون أن يحقق الغرض الذى جاء من أجله[٥٧] .

---

(54) Anonymous : op. cit., p. 279.
Cinnamos : op. cit., p. 20.

(55) William of Tyre : op. cit., p. 97.

(56) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 41.
Ephraemius : op. cit., p. 167.

(57) William of Tyre : op. cit., pp. 96 - 97.
Cinnamos : op. cit., p. 20.
Nicetas, Ch. : op. cit., p. 41.
Anonymous : op. cit., p. 279.
Jacques de vetry : op. cit., p. 24.
ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٦٨ .
العظيمى : المصدر السابق ص ٤١٥ — ٤١٦ ، الحلبى : المصدر السابق ورقة ٥٢ .

وكان من أسباب رفع حنا كومنين الحصار عن شيزر نجاح عماد الدين زنكي في الحرب النفسية(٥٨) وحرب التجويع التي شنها على الحلفاء • أما دور المقاومة البطولي لحامية شيزر فلا يمكن اغفاله فالبيزنطيون لاقوا مقاومة منقطعة النظير فعلى الرغم من تفوق البيزنطيين وتساقط القتلى والجرحى بسبب ضرب المجانيق المستمر فان الحصن لم يهتز أو يتزعزع ، وهذا الصمود كان له أثره الفعال ، فلم يدر بخلد البيزنطيين أن يستغرق فتح تلك البلدة الصغيرة(٥٩) كل ذلك الوقت، لذلك تسرب اليأس الى نفوس الجنود وضعفت الروح المعنوية •

ولا شك أن أهم الأسباب التي دعت الامبراطور حنا كومنين لاتخاذ قراره النهائي للرحيل عن شيزر ، تخاذل الطيبيين وعدم تعاونهم مع الامبراطور ، وترك العبء الأكبر من القتال على كاهل القوات البيزنطية(٦٠) •

---

(٥٨) اختلف المؤرخون المعاصرون حول الأسباب التي حدت بالامبراطور حنا كومنين رفع الحصار بعد أن أوشك الاستيلاء على المدينة فقال البعض بسبب وصوله خبر مفاده أن المسلمين يحاصرون مدينة الرها .
انظر :

Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 40 - 41.

والبعض الآخر أرجع سبب رفع الحصار الى وصول حنا كومنين أخبار بعبور قرا أرسلان بن داود لنهر الفرات على رأس قوات كبيرة لنجدة المسلمين . انظر ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٧ ، العظيمي : المصدر السابق ص ٤١٥ — ٤١٦ ، وفريق ثالث قال أن رحيل حنا كومنين بسبب خروج السلطان مسعود صاحب قونية واستيلائه على اذنه ، وأحرق الامبراطور آلات الحصار وتوجه الى قيليقية .
انظر :

Chronique de Michel le syrien op. cit., pp. 245 - 46.
Gregoire le pretre op. cit., p. 153.
Bar Hebraeus, op. cit., p. 264.

(59) William of Tyre : op. cit., pp. 95 - 96.
Anonymous : op. cit., p. 279.

(60) William of Tyre : op. cit., pp. 95 - 96.
Jac ques de Vitry : op. cit., p. 24.

وعندما كانت الجيوش الصليبية تحاصر بزاعة أرسل عماد الدين القاضى كمال الدين الى بغداد[٦١] . وعندما وصل القاضى الى بغداد وشرح خطورة الموقف للسلطان ، وانه اذا تمكن البيزنطيون والصليبيون من الاستيلاء على حلب يمكنهم الوصول الى بغداد ، غير أن القاضى لم يجد أذنا صاغية ، ولم يهتم السلطان بالأمر فاضطر القاضى الى تحريض العامة بأن طلب من بعضهم القيام بالصياح والبكاء يوم الجمعة سنة ٥٣٢ هـ فى مسجد القصر ومسجد السلطان ، وذلك عندما يصعد الخطيب الى المنبر ، ونجحت الخطة وخرجت الجموع الى دار السـلطان وهم يتصايحون ويستغيثون ، وكادت أن تقع ثورة عارمة لولا أن طلـب السلطان من القاضى كمال الدين أن يفرق الجموع وأمر بتجهيز الجيوش للسفر الى بلاد الشام[٦٢] .

وعندما رأى القاضى كمال الدين الاستعدادات تجرى على قدم وساق لارسال قوات كبيرة ، كتب من بغداد الى عماد الدين زنكى يخوفه من وصول مثل هذه القوات الى بلاد الشام ، فرد عليه عماد الدين زنكى بأنه ليس هناك شك بأن البلاد سوف تقع فى أيدى الصليبيين واستيلاء المسلمين عليها خير من الصليبيين . لكن عندما رحل الامبراطور حنـا كومنين عن شيزر أرسل عماد الدين زنكى الى القاضى كمال الدين يأمره بعدم اصطحاب العساكر ، وعندما أخبر السلطان بذلك ، أصر عـلى ارسال القوات الى بلاد الشام لأنه كان يرغب فى امتلاكها ، ونجح القاضى بعد محاولات عديدة مع حاشية السلطان أن يمنع خروج القـوات السلجوقية الى بلاد الشام[٦٣] .

---

(٦١) انظر ما سبق ص ١١٣ .

(٦٢) العينى : المصدر السابق ص ١٠٠ــ١٠١ .
ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦٠ .

(٦٣) العينى : المصدر السابق ص ١٠٠ــ١٠١ .
ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦٠ .

كذلك رفض عماد الدين زنكى أن يلتقى مع قوات قرا أرسلان ابن داود صاحب حصن كيفا ، والتى عبرت الفرات وجاءت لمحاربة الصليبيين وأرسل اليه يأمره بالعودة الى أبيه لأنه استغنى عن مساعدته[٦٤] . ويبدو أن عماد الدين زنكى اعتبر وجود مثل هذه القوات فى بلاد الشام بعد أن زال الخطر الذى جاءت من أجله ، يعوق الخطة التى وضعها لتكوين الجبهة الاسلامية المتحدة .

بعد انسحاب جيوش الحلفاء من أمام شيزر تتبعها عماد الدين زنكى ، ورفع المجانيق التى تركتها الى مدينة حلب وشن حرب عصابات على مؤخرة الجيوش الصليبية ، واستخدمت الخيول السريعة للحاق بهم ، كما نصبت لهم الكمائن فى الحقول . وقتل عدد كبير من جنود مؤخرة الجيش المنسحب ، ويبدو أن هذه المناوشات لم تأت بنتائج حاسمة ، لأنها كانت عمليات صغيرة ولم يخاطر زنكى بالدخول فى معركة مع القوات المتقهقرة ، وقد تمكن الجيش البيزنطى من أسر قائدين من قادة تلك العمليات[٦٥] .

أدى فشل حملة حنا كومنين على بلاد الشام الى ارتفاع شأن عماد الدين زنكى فى العالم الاسلامى ، وشعر الناس بارتياح كبير . وبعث اليه الخليفة المقتفى لأمر الله والسلطان مسعود بالخلع والهدايا[٦٦] . وأنبرى الشعراء فى مدحه وأصبح فى نظرهم بطل

---

(٦٤) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٠—٢٦٩ ، ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦١ .

(٦٥) العينى : المصدر السابق لوحة ٩٩—١٠٠ ، العظيمى : المصدر السابق ص ٤١٥ — ٤١٦ ، ابن الأثير : المصدر السابق ص ٥٦ ، عماد الدين خليل عماد الدين زنكى ص ١٤٧—١٤٨ .

Nicetas. Ch. : op. cit., p. 41,

Anonymous : op. cit., p. 279.

(٦٦) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٩٥ .

الاسلام ومنقذ المسلمين[٦٧] .

وفى أثناء انسحاب جيوش الحلفاء من شيزر تمكن محمد صلاح الدين الياغبسانى ، نائب عماد الدين زنكى من استعادة كفر طاب من الصليبيين . أما عماد الدين زنكى فانه بمجرد ما انتهى من مطاردة الحلفاء ، حاول المضى قدما فى خطته ، وهى اخضاع الامارات الاسلامية لتوحيد القوى الاسلامية ضد الصليبيين ، ولجأ هذه المرة الى السياسة بدلا من استخدام القوة لضم مدينة حمص لأملاكه ، بأن طلب من شهاب الدين محمود حاكم دمشق يد أمه زمرد خاتون ، على أن يتزوج محمود ابنة زنكى ، ونجحت خطته حيث تم زواجه من زمرد خاتون فى ٣١ مايو ١١٣٨ م (١٩ رمضان ٥٣٢ هـ) وأخذ حمص وقلعتها كصداق لابنته التى تزوجت محمود[٦٨] .

توجه عماد الدين زنكى من حمص الى حلب ومنها سار الى حصن بزاعة واسترده فى ١٦ سبتمبر ١١٣٨ م (٥٣٣ هـ) وقتل كل من كان فيه من الصليبيين ، على قبر شرف الدولة مسلم بن قريش الذى قتله الصليبيون بسهم فى عينه عندما دخلوا الحصن ، ثم تحول الى قلعة الأثارب واستردها فى ٧ أكتوبر ١١٣٨ م (٥٣٣ هـ)[٦٩] ، وبذلك استطاع عماد الدين زنكى أن يسترد جميع البلاد التى استولت عليها حملة حنا كومنين .

---

(٦٧) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦٠ ، الحلبى : المصدر السابق ورقة ٥٢٠ .

(٦٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٨ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٩٥ .
Elisseef. N. : op. cit., p. 367.

(٦٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٦٩ ، ابن واصل : المصدر السابق ص ٨٣ .
Anonymous : op. cit., p. 279.
Grousset. R. : op. cit., p. 123.
Elisseef : op. cit., p. 367.

عندما كان عماد الدين زنكى بالموصل فى أواخر عـام ١١٣٨ م (٥٣٣ هـ) وقع حادث فى مدينة دمشق أدى الى تطور الأحـداث السياسية ، اذ قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك صاحب دمشق بواسطة غلمانه أثناء نومه ، وأرسل الأتابك معين الدين أنر الى أخى القتيل جمال الدين محمد بن تاج الملوك صاحب بعلبك ، ونصبه حاكما على دمشق بدلا منه ، وعندما وصل الخبر الى زمرد خاتون أرسلت الى زوجها زنكى فى الموصل تحثـه على الحضور للأخذ بثـأر ابنها محمـود(٧٠) .

وكانت تلك فرصة مواتية لعماد الدين زنكى طالما انتظرها وأصبح هناك سببا يدعوه للتدخل فى دمشق ، فسار الى حلب ومنها الى حماة ، فمدينة حمص ، ثم الى بعلبك ، حيث فتحها عام ١١٣٩ م (٥٣٤ هـ) ثم اتجه الى دمشق ونزل على البقاع ، وراسل جمال الدين محمد صاحب دمشق ، وطلب منه تسليم المدينة فى مقابل أخذ حمص وما يشاء من المدن الأخرى . غير أنه رفض ذلك العرض فسار عماد الدين بجيشـه ونزل على داريا(٧١) .

ضيق عماد الدين زنكى الحصار على دمشق وسقط كثير من الجرحى والقتلى وأوشكت المدينة على السقوط ، غير أن زنكى أوقف القتـال لمدة عشرة أيام ، وأرسل جمال الدين لتسليم المدينة طبقـا للشروط

---

(٧٠) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٥٦ ، ابن العديم : المصـدر السابق ص ٢٧٢ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسـطى ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٧١) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٧٣ ، ابن الأثير : المصـدر السابق ص ٣٦٧ .

داريا قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة وبها قبـر سليمان الدارانى الزاهد . انظر :
ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٦٤ .

السابقة ، وقد رغب جمال الدين في تسليم دمشق حقنـا للدماء لكن أصحابه رفضوا ، وخوفوه من زنكى ، فعاد القتال مرة خرى ، وفي أثناء ذلك مرض جمال الدين ثم مات وتولى ابنه عضد الدولة أبو سعيد بدلا منه وقام معين الدين أنر بتنظيم شئون الدولة(٧٢) .

شدد عماد الدين زنكى الحصار على دمشق بعد موت جمال الدين، وكان يأمل حدوث انقسام بين الورثة لكن حدث العكس اذ تماسك أهل دمشق في الدفاع عن مدينتهم ، وعندما رأى معين الدين أنر أن عماد الدين زنكى مصمم على أخذ دمشق ، راسل الملك فولك وطلب منه العون ضد زنكى وحذرهم منه(٧٣) . وكان الصليبيون يدركون ذلك دون حاجة الى تذكيرهم فان انشقاق المسلمين من صالحهم وبقاء دمشق بعيدة عن عماد الدين زنكى من أهدافهم السياسية ، ولم يكتفوا بهذا المكسب الضخم وهو عزل دمشق انما استغلوا هذا الموقف ، وطلبوا أمـوالا وأن تنزع بانياس من تابع عماد الدين زنكى وتسلم اليهم ، ورافـق معين الدين أنر على جميع الشروط(٧٤) .

وهكذا تم تحالف دفاعى بين مملكة بيت المقدس ودمشق ضـد عماد الدين زنكى ، وتحركت الجيوش الصليبية متجهة الى دمشق للدفاع عنها ، ودعا الملك أميرى أنطاكية وطرابلس ، للمشاركة في ذلك ، وعندما رأى زنكى اقتراب الصليبيين من دمشق فك الحصار في ٤ مايو ١١٤٠م،

---

(٧٢) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٧٣ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٧١ ، ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦٧ .

(74) Michel Le Syrien : op. cit., p. 248,
William of Tyre op. cit., p. 105.

ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٧٢ .

(٧٤) ابن العديم : المصدر سابق ص ٢٧٢ .
ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٧٢ .
ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٦٧ .

William of Tyre : op. cit., p. 105.

(٥٣٥ هـ) . وبعد أن ابتعد زنكي خرج معين الدين أنر على رأس القوات الدمشقية ومعه بعض قوات الصليبيين للاستيلاء على بانياس ، وقد تصادف خروج صاحبها ابراهيم بن طرغت للاغارة على مدينة صور ، فالتقى به ريموند صاحب طرابلس وهو في طريقه للانضمام الى الملك فولك فقتله[٧٥] .

شدد معين الدين أنر الحصار على بانياس وقاومت المدينة لدرجة أن الجيوش التى ضربت الحصار حولها أقامت برجا عاليا أمام المدينة لمراقبة ما يجرى داخلها والسيطرة عليها ، وعندما وصل أمير أنطاكية وطرابلس ، ونفدت الذخيرة والمؤن من أهالى بانياس سلموا المدينة لمعين الدين أنر ، وكان الصليبيون يرغبون فى نهب المدينة وسبى وأسر من فيها ، لكن معين الدين أنر اعترض على ذلك حتى لا يتعرض لسخط المسلمين وقام بتسليم المدينة فى يونية ١١٤٠م (٥٣٥ هـ) وذلك طبقا لشروط المعاهدة ، وعندما سمع عماد الدين زنكى بحصار بانياس حاول جمع قواته لنجدتها لكنه لم يتمكن من ذلك[٧٦] .

وهكذا فان من الآثار التى ترتبت على فشل حملة حنا كومنين بالنسبة لجنوب الشام قيام حلف دفاعى ضد عماد الدين زنكى الذى ظهر كقوة لها وزنها وخطرها واعتبر كل من الملك فولك ومعين الدين أنر عماد الدين زنكى عدوا له .

---

(٧٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٧٤ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ، ابن الاثير : المصدر السابق ص ٣٦٧ .

William of Tyre : op. cit., pp. 105 - 106.

(٧٦) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٧٢ ، ابن الاثير : المصدر السابق ص ٣٦٧ ، ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٧٤ .

William of Tyre : op. cit., pp. 108, 112.

Grousset. R. : op. cit., pp. 136 - 37.

Cahen C. : op. cit., pp. 363 - 64.

وفى شمال الشام فقدت أنطاكية جزءا هاما من أراضيها فى وادى نهر العاصى ، وتعرضت مرة أخرى لغارات المسلمين وتهديدهم المستمر الذى وصل حتى أبواب أنطاكية ، وقد انضم ريموند دى بواتيه أمير أنطاكية الى الحلف الدمشقى كنوع من أنواع الضغط على عماد الدين زنكى واضعافه ، وشل حركته(٧٧) .

أما زنكى فقد عاد الى الشرق بالموصل عام ١١٤٠م لمدة أربع سنوات ولم يهتم الا بدولته فى الموصل التى وسعها بغزوات على حدود العراق وديار بكر ، وبدا وكأن مشاريع وخطط عماد الدين زنكى الخاصة بتوحيد القوى الاسلامية قد توقفت ، وفى الواقع فان انصراف زنكى عن بلاد الشام فى الفترة من ١١٤٠ — ١١٤٣ م ، ربما يكون مرجعه تحالف مملكة بيت المقدس مع دمشق ، وأيضا تخوف زنكى من الامبراطور حنا كومنين(٧٨) ، الذى كان مصرا على تنفيـذ خططه الخاصـة بمحاربة الزنكيين .

وتدخل الامبراطور حنا كومنين فى شئون بلاد الشام أظهر بجلاء ووضوح أهداف الصليبيين والبيزنطيين التوسعية ، وأدى الى صحوة المسلمين حيث أصبحوا فى حالة انتظار وترقب ، والدور الذى قام به حنا كومنين على نقيض دور أبيه الكسيوس كومنين ، فخطر الزنكيين جعل حنا كومنين يقوم بمحاولة للتقريب بين البيزنطيين والصليبيين ودفن العداوة التقليدية بين الطرفين ، وكانت نتيجة هذه المحـاولة ظهـور الهـوة الواسـعة بين الأهـداف البيزنطيـة والأهـداف الصـليبية .

* * *

---

(٧٧) ابن عديم : المصدر السابق ص ٢٧٥ .

Cahen. C. : op. cit., pp. 364 - 65.

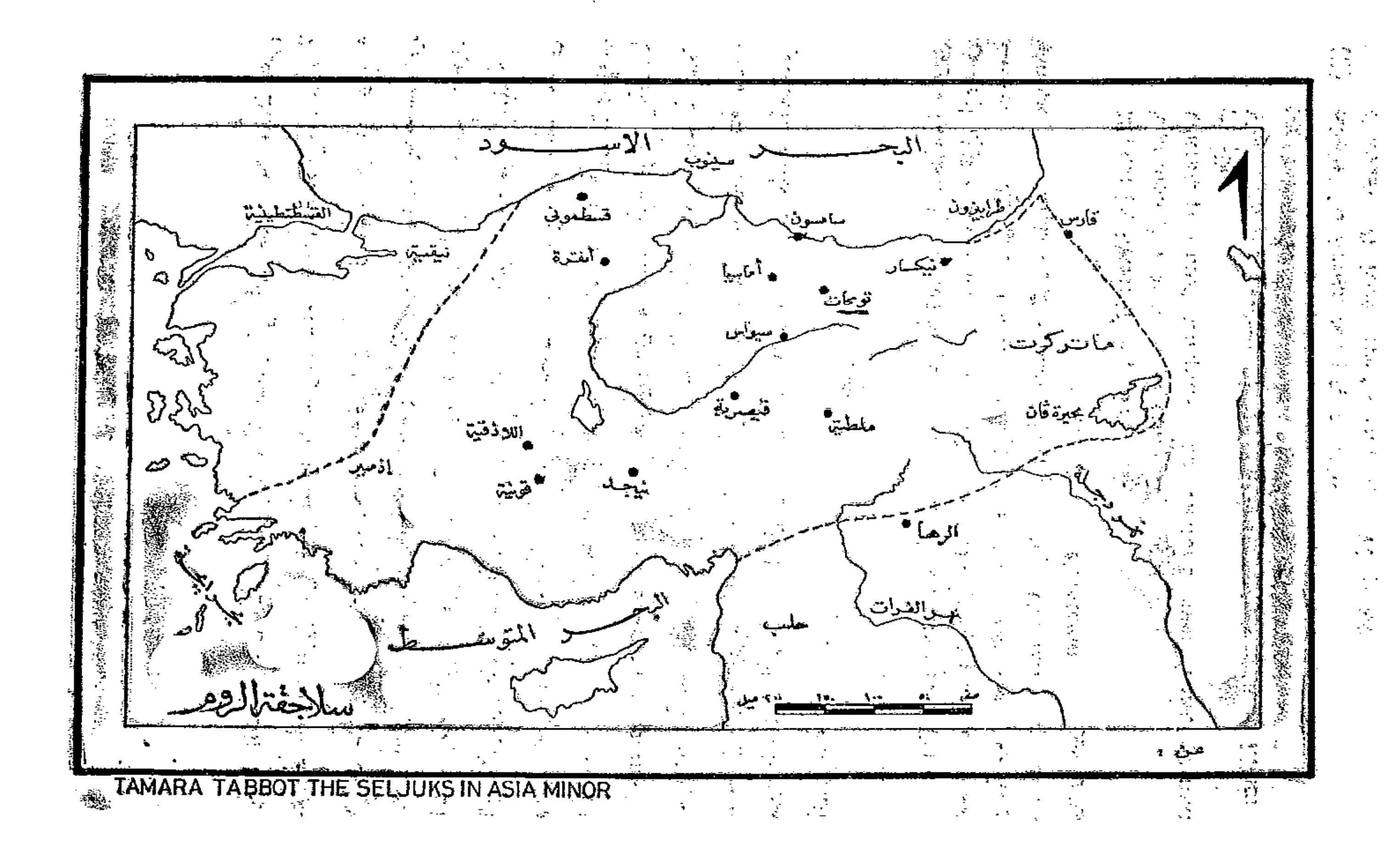
Grousset, R. : op. cit., p. 143.

(79) Cahen. C. : op. cit., p. 364.

الفصل الرابع

سياسة حنا الثانى كومنين تجاه سلاجقة الروم وأمراء بنى دانشمند

هجوم حنا كومنين على سلاجقة الروم فى الأناضول ـــ نشوب الخلاف بين سلاجقة الروم وأمراء بنى دانشمند فى سيواس ـــ ضعف سلطنة الروم ـــ خطورة بنى دانشمند على الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى ـــ استيلاء حنا كومنين على مدينة قسطمونى ـــ استرداد الامبراطورية البيزنطية الشاطىء الجنوبى للبحر الأسود .



TAMARA TABBOT THE SELJUKS IN ASIA MINOR

عندما وصل الامبراطور حنا كومنين الى السلطة كانت هناك على حدود الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى ثلاث دول اسلامية : قونية وعلى رأسها مسعود وكان يهدد وادى الميـاندر وسهل دوريليـوم ، وسيواس[1] وعلى رأسها الملك غازى الدانشمندى وكان يطمـع فى الاستيلاء على موانى البحر الأسـود ، وملطية وعلى رأسـها طغرل أرسلان بن قلج أرسلان وكان يهاجم الممتلكات البيزنطية فى قيليقية . وفى عام ١١١٩ م تحالف السلطان مسعود السجوقى مع الملك غازى الدانشـمندى وهـزما الدوق البيـزنطى قنسـطنطين جابراس Constanstine Gabras حاكم طرابيزون وقبضا عليه ولم يطلقـا سراحه إلا بعد أن دفع ثلاثين ألف دينار[2] ، الأمر الذى جعـل حنا كومنين يجرد أول حملة له ضد سلاجقة الروم وأخذ يعمل بسرعة لوقف هذا الخطر[3] فى آسيا الصغرى ، وقد اتخذت حروبه طابع الحروب الصليبية .

---

(١) نجح الدانشمندية عندما انتشروا فى الأناضول واستطاعوا تكوين امارة لهم فى ولاية قبادوقيا قاعدتها سيواس وشملت منطقة قزل ارمـق واماصيا Amesia وكومانا ، وتوكات Tokat ونيكسار Niksar وشانكرى Chankri وانقره وملطية بالاضافة الى سينوب Sinope وكاراتكين Karatekin انظر :

Michel Le Syrien t. 3 p. 173.
Matthieu d. Edess, p. 51 dans Doc, Arm, t. 1.
Wittek, p. Deux Chapitres de Histoire des Turcs de rum p. 306.
Vryonis's the decline of Medieval Hellenism in Asia Minor pp. 116 - 117.

(2) Michel Le Syrien op. cit., p. 205.
Grousset, R. Hist. des Croisades, t. 11. p. 84.

(٣) انظر ما سبق الفصل الأول ص ٣٧ .

جهز حنا كومنين فى عام ١١١٩ م جيشا مناسبا واتجه الى فريجيا وعسكرت الجيوش البيزنطية بالقرب من فيلادلفيا Philadephie ، ثم أرسل طلائع من قواته بقيادة اكسيوخ Axuch الى مدينة اللاذقية لاكتشاف المكان استعدادا لبدء المعركة ، وتبعه الامبراطور بباقى القوات واستطاع حنا كومنين الاستيلاء على اللاذقية[٤] فى آسيا الصغرى بعد معركة مع القوات السلجوقية ، وقام بطرد السلاجقة منها ونظم شئونها وأحاطها بالأسوار ثم عاد الى القسطنطينية[٥] .

لم يبق الامبراطور حنا كومنين طويلا فى القسطنطينية بل غادرها مرة أخرى فى عام ١١٢٠ م لمحاربة سلاجقة الروم ولقد كان خروج حنا كومنين هذه المرة لتحقيق غرضين : الأول رد سلاجقة الروم عن أراضى الامبراطورية ، والثانى هو تدريب الجيش البيزنطى على الأعمال الحربية[٦] .

ويبدو أن حنا كومنين قام بهذه الحملات الخاطفة لكى يجرب القوات الضخمة التى تركها له والده الكسيوس ومعرفة مدى صلاحيه هذه القوات للمهام الكبيرة التى تنتظرها سواء فى الشرق أو شبه جزيرة البلقان كما أراد أن يؤمن الاتصال بين الأراضى البيزنطية فى آسيا الصغرى والقسطنطينية ولعلنا نشعر فى قصيدة الشاعر تيودور بمدى استعدادات الامبراطور لملاقاة السلاجقة (ها أنه يخطط المعسكرات . لقد حشد جيشا من لابسى الخوذ وحاملى الرماح والخيول العربية السريعة وسينقض عليك كالبرق)[٧] .

---

(٤) انظر الخريطة ص ١٨٤ .

(5) Cinnamos : Epitome Historiarum in Corpus pp. 5 - 6.
Ephraemius : de Ioanne Comneno in Corpus p. 161.
Nicetas. Ch. : Historia in Corpus Scriptorum p. 17.
Michel Le Syrien op. cit., pp. 205 - 206.

(6) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 18.

(7) Prodromos T. : dans M. P. G. t. 133 p. 1358.

اتجه الامبراطور حنا كومنين سنة ١١٢٠م بقواته الى مدينة سوزوبوليس Sozopolis ، احدى مدن بامفيليا Pamphylie وهى من المدن الهامة فى آسيا الصغرى ، أقيمت على قمة عالية وعرة يستحيل الوصول اليها من أى مكان ، سوى درب ضيق وعر لا يمكن أن تسير فيه آلة حربية ولا يكاد يتسع للمحارب العادى • لذلك لم يكن للامبراطور حنا كومنين أمل فى فتحها الا عن طريق الحيلة والخدعة الحربية[٨] •

والخدعة الحربية التى نفذها حنا كومنين تدل على مهارته الحربية فقد كلف الضابط باكتيساريوس Pactiorius مع مجموعة من الجنود للذهاب الى باب المدينة والتحرش بالجيوش السلجوقية ، وكانت الخطة عدم الاشتباك فى معركة وأن يفر الضابط البيزنطى عندما يخرجون اليه ويتظاهر بالهزيمة ، أما باقى الجيوش البيزنطية بقيادة الامبراطور فقد اختفت فى الجهات المجاورة والمحيطة بسوزوبوليس ، وعندما رأى السلاجقة البيزنطيين فتحوا الأبواب وخرجوا على الفور فخدعهم الضابط البيزنطى وفر الى الأماكن الوعرة[٩] •

ولم يدرك جيش السلاجقة الحيلة والمكيدة واستمر فى مطاردة القوات البيزنطية تلك القوات الرمزية ، وابتعدوا عن مراكزهم الى الأماكن الوعرة ، فى الوقت الذى كانت فيه أبواب المدينة مفتوحة ، ولما علم الجيش البيزنطى بذلك ، خرج فجأة من المخبأ واتجه نحو مدينة سوزوبوليس ، ووجد السلاجقة أنفسهم محاطين من كل جهة وناحية ، فقتل منهم الجيش البيزنطى وأسر أعداد كبيرة وفر الباقون ، وهكذا سقطت مدينة سوزوبوليس • كذلك استولى الامبراطور فى سنة ١١٢٠م على مدن وحصون وقلاع متأخمة لأضاليا وعاد الى القسطنطينية ، وقد

---

(8) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 18 - 19.
Cinnamos op. cit., pp. 6 - 7.
Ephraemius : op. cit., p. 162 - 64.

(٩) انظر ما سبق الفصل الثانى •

توقف عن محاربة القوى الاسلامية فى آسيا الصغرى لمدة أربع سنوات من سنة ١١٢٦[١٠] — ١١٢٩ م لأنه اضطر أن ينقل عملياته الحربية من آسيا الصغرى الى شبه جزيرة البلقان[١١] وركز كل جهوده فى حرب قبائل البانجاك التى لم ينته خطرها ، وأيضا قبائل الصرب[١٢] التى لم تحترم المعاهدات والمواثيق وأخذت تشن الغارات على الأراضى البيزنطية وأخذت تنهب وتسلب كل ما يقع فى يدها وجرد الامبراطور أيضا حملة ضد المجريين[١٣] .

كانت أم طغرل[١٤] أرسلان زوجة قلج أرسلان قد تزوجت نور الدولة بلك بن أرتق نظرا لشجاعته وكفاءته حتى تضمن استمرار حـكم ابنها وأصبحت ملطية تحت أمرته وكذا حصن زياد والمناطق المجاورة ، وظلت مدينة ملطيـة فى يد طغرل لأرسلان بفضل حمـاية نور الدولة بلك[١٥] .

---

(١٠) قام الامبراطور ، حنا كومنين بحرب خاطفة فى آسيا الصغرى فى سنة ١١٢٥ م وأوائل سنة ١١٢٦ م انظر :

Gottwald. J. : Les faits Principoux de L,Histoire Byzamtine p. 45.

(11) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 18 - 19.
Cinnamos : op. cit., pp. 6 - 7.
Ephraemius : op. cit., pp. 162 - 64.

(١٢) انظر ما سبق الفصل الثانى .

(13) Nicetas. Ch. : op. cit., pp. 19 - 20.
Ephraemuis op. cit., p. 162 - 164.
Hell N. : Unedierte Texte aus der Zeit d, Kaisers Johannes Komnenos, in B. Z. t. V111 p. 49.

(١٤) عندما مات قلج أرسلان فى عام ١١٠٧ م أقام السلاجقة ابنة الأصغر طغرل أرسلان تحت وصاية أمه ، ثم ترك حكم ملطية عندما وصـل ملكشـاه الى حكم السلاجقة فى عام ١١٠٩ م ، وعاد طغرل مرة أخرى الى حكم ملطية فى عام ١١١٦ م عندما خرج مسعود من السجن وانتقل اليه حكم سلاجقة الروم .

(15) Michel Le Syrien : op. cit., pp. 205 - 206.

بعد مقتل نور الدولة بلك أثناء حصار منبج وهو يحارب الصليبيين في عام ١١٢٤ م (٥١٨ هـ) قسمت بلاده على عدة أمراء ، حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى أخذ حلب[١٦] ، وبدر الدولة سليمان آخذ حصن زياد ، وطغرل أرسلان أخذ مساره Massara وكركر Gargar وحدث نزاع بين بدر الدولة سليما نوصاحب حصن زياد وطغرل أرسلان ، وكانت هذه فرصة مناسبة لغازى الدانشمندى صاحب سيواس[١٧] ، وقد اتفق مع صهره السلطان مسعود صاحب قونية وقاما بهجوم على مدينة ملطية فى عام ١١٢٤ م[١٨] .

استمر حصار ملطية من يونية الى ديسمبر ١١٢٤ م أى حوالى ستة أشهر ، فبعد أن جاء غازى الدانشمندى بجيش كبير اضطر بعد شهر أن يغادر المكان ويترك ابنه محمدا بعد أن أمره أن يتقدم كل يوم الى أبواب المدينة ، فشدد الحصار على المدينة ومنع الدخول اليها أو

---

(١٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ، ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .

(١٧) اندلع نزاع عنيف بشكل حاد بين سلاجقة الروم وامراء بنى دانشمند فى سيواس بسبب مدينة ملطية التى كان يعتبرها بنى دانشمند الموطن الأصلى لعبد الله البطال الذى كانوا يزعمون الانتساب اليه . وفى عام ١١٠٢ م (٤٩٥ هـ) زحف محمد كمشتكين الدانشمندى على مدينة ملطية واستولى عليها بعد أن قضى على حاكمها الأرمنى جبريل ، وعندئذ بدأت العداوة تشتد بعنف بين سلاجقة الروم وبنى دانشمند ، وعندما مات محمد كمشتكين الدانشمندى فى عام ١١٠٦ م ، انتهز السلطان قلج أرسلان وفاته وحاصر مدينة ملطية وبعد قتال عنيف استطاع الاستيلاء عليها بالأمان فى سبتمبر ١١٠٦ م ثم انتقلت الى ابنه طغرل ارسلان وعندما وصل ملكشاه الى حكم سلاجقة الروم ، يبدو أن ملك غازى الدانشمندى ضغط عليه بشدة منتهزا الخلافات الأسرية فى محاولة لاسترداد مدينة ملطية ، وقد ساعد غازى الدانشمندى السلطان مسعود فى ثورته ضد أخيه ملكشاه وكان له الفضل الأكبر فى وصول مسعو لحكم سلاجقة الروم ، لذا حدث تعاون بين الطرفين ، انظر :

Matthieu d, Edesse : op. cit., p. 29.
Michel le Syrien : op. cit., p. 188, 192, 194.
Anne Comnene t. 3 p. 200.

(18) Michel le Syrien : op. cit., p. 219.
Bar Hebraeus : The Chronography p. 251.

الخروج منها ، وتعرض سكانها لمجاعة طاحنة حتى أكلوا أوراق الشجر والميتة من القطط والكلاب والحمير[١٩] .

تعرضت المدينة لأسوأ كارثة فى تاريخها فكل من يحاول الخروج منها يقتل ، وبالداخل مجاعة قاسية فالأطفال يسقطون جوعا أمام أبصار آبائهم وهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا ، وكبار الأمراء يجمعون الأموال بالقوة ، ثم لجأ طغرل أرسلان الى الصليبيين يطلب النجدة غير أنهم عجزوا عن مساعدته لانشغالهم بحصار مدينة حلب وقد جاء الفرج للمدينة عندما قرر طغرل أرسلان الخروج منها ليلا ، ودخلت جيوش بني دانشمند المدينة وعادت الحياة اليها وانتشر الرخاء[٢٠] .

وهكذا سقطت ملطية فى أيدي الدانشمنديين بعد أن ظلت ثمانية عشر عاما فى أيدى سلاجقة الروم ، وذلك نتيجة للخلافات الأسرية ، وطمع غازى بعد استيلائه على مدينة ملطية فى ضم الأراضى المجاورة اليها ، وقد تصادف فى هذه السنة موت بدر الدولة سليمان صاحب ميافارقين وحصن زياد ، فأراد ملك غازى الاستيلاء على ذلك الحصن. غير أنه لم يستطع ولذلك قام بنهب المنطقة كما استولى على قلعة مسار[٢١] .

وكانت مساندة السلطان مسعود لبنى دانشمند وعقد اتفاق معهم وتسهيل استيلائهم على مدينة ملطية ، كانت سبب غضب أخيه

(19) Michel le Syrien : op. cit., p. 219.
Bar Hebraeus op. cit., p. 251.
Anonymous : The first and second crusades pp. 89 - 90.

Bar Hebraeus : op. cit., p. 252.
Anonymous : op. cit., pp. 89 - 90.
Matthieu d, Edesse : op. cit., pp. 142 - 43.

(21) Michel le Syrien : op. cit., p. 220.

عرب الذى جمع جيشا كبيرا مكونا من حوالى ثلاثين ألف مقاتل ، وقام بمهاجمة قونية فى عام ١١٢٥ م واستولى عليها وهرب السلطان مسعود الى القسطنطينية يطلب العون والنجـدة من الامبراطور حنا كومنين واستقبل السلطان مسعود هناك استقبالا[٢٢] حارا ، وهذا الانشقاق والتصدع بين أفراد أسرة السلاجقة خدم الأهداف البيزنطية فى آسيا الصغرى وأعطى فرصة للامبراطور حنا كومنين للتدخل فى الشـئون الداخلية لسلاجقة الروم •

قدم الامبراطور حنا كومنين للسلطان مسعود المخلوع من عرشه مبلغا كبيرا من المال وبعض القوات من الجيش البيزنطى لمساعدته فى استعادة عرشه ، وخرج مسعود من القسطنطينية متجها الى الأمـير غازى الدانشمندى ، وقد اتفقا على مهاجمة عرب ، وبعد صراع وقتـال مرير استطاع مسعود أن يسترد عرشه فى قونية بمساعدة صـهره الدانشمندى[٢٣] •

ودل الامبراطور حنا كومنين بوقوفه الى جانب السلطان مسعود على حنكته السياسية ومهارته الدبلوماسية ، لأن الامبراطور حنا كومنين كان يعلم تماما أن وراء مسعود قوة يمكن أن ترجح كفته فى الصراع الدائر بينه وبين أخيه عرب ، وتلك القوة هى الأمير غازى الدانشمندى

---

(22) Bar Hebraeus : op. cit., p. 252.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٨٠ •
Grousset, R. : Histoire des Croisades t. p. 84.
Runciman Hist of Crusades, V. 11, pp. 210 - 211.
Tabbot, T. : The Seljuks in Asia Minor p. 60.
Cahen C. : La Syrie du Nord p. 349.

(23) Michel Le Syrien : op. cit., p. 220.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 252.
سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٨٠ •
Cahen. C. : Pre Ottoman Turkey p. 94.
Brehier L. : Vie et Mort de Byzance p. 323.

صهر السلطان المخلوع وحليفه لفترة طويلة ، كما أراد حنــا كومنين بمساعدته أن يكسب السلطان مسعود الى جانبه فى المستقبل .

تعرض عرب لهجوم من الأمير غازى والسلطان مسعود ، فهــرب الى أرمينية وطلب مساعدة من ليون الأرمنى ومده ليون بقوات من الأرمن ، فسار عرب بقوات من السلاجقة والأرمن فى عام ١١٢٦ م ونصب كمينا لجيش محمد بن غازى الدانشمندى واستطاع القبض عليه وأسره ، فتقدم الى حربه يؤنس بن محمد الدانشمندى أمير مسار غير أن عرب استطاع هزيمته وأسره أيضا وتقدم بقواته بسرعة نحو الأمير غازى(٢٤) .

ونشبت معركة بين عرب والأمير غازى الدانشمندى وتمكن عرب فى البداية من هزيمة جيوش الأمير غازى الدانشمندى ، غير أن الأمير غازى حول الهزيمة الى انتصار عن طريق حيلة ماكرة وخدعة حربية ، بأن لجأ الى مكان مرتفع ونصب خيمته وأمر بضرب الأبواق كأن عرب هزم ، وعندما اجتمعت جيوشه حوله من جديد أعاد الكرة مرة أخــرى وهزمت جيوش عرب وطاردهم الأمير غازى الى أن وصل الى مدينــة كومانا(٥٢) .

لم يرض عرب بالهزيمة التى لحقت به فجمع قواته من جــديد وهاجم أراضى الدانشمنديين، واستولى على بعض(٢٦) القلاع والحصون الهامة ووجد فى احدى هذه القلاع أحد أبناء غــازى ويدعى ياجان Yagan وقام بذبحه ، فغضب وثار الأمير غازى الدانشــمندى

(24) Michel Le Syrien : op. cit., pp. 223.
Bar Hebraeus. op. cit., pp. 252 - 53.

(25) Bar Hebraeus : op. cit., p. 253.
Michel Le Syrien : op. cit., p. 224.

(٢٦) لم يذكر ميخائيل السوريانى وأبو الفرج اسماءها ويبدو أنها كانت القلاع التى تقع بالقرب من ملطية ومنها مسار والبستان .

آسيا الصغرى في القرن الحادي عشر

صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ميل

البحر الأسود

البحر المتوسط

القسطنطينية
نيقوميديا
نيقية
لوباديوم
أبيدوس
بومانينوس
أدراميتيوم
برجاموس
بروسا
دوريليوم
هرقلية
قسطموني
نهر هاليس
جانجرا
أنقرة
كوتايوم
ساردس
أزمير
فيلادلفيا
بوليبوتوس
فيلوميليون
قونية
سوزوبوليس
خونيه
قيصرية
كومانا
كولونيا
طرابزون
سيواس
ملطية
ملاذكرت
البستان
الرها
قبرص
رودس

نقلا عن :

VRYONIS S · THE DECLINE OF MEDIEVAL HELLENISM IN ASIA MINOR

وجمع جيشه وأغار على المدن(٢٧) والقرى التابعة لعرب وخربها دون رحمة أو هوادة ثم حاول عرب أن يجمع جيشا مرة أخرى غير أن الأمير غازى أنزل به هزيمة ساحقة اضـطر عرب على أثرها الفـــرار الى القسطنطينية فى عام ١١٢٧ م وظل بها حتى وفاته(٢٨) .

وفى عام ١١٢٧ م قام طغرل أرسلان بمحاولة وحيدة وأخيرة لغزو مدينة ملطية ، لكن محاولته باءت بالفشل ، فقام بنهب وسلب الجهات المجاورة ورحل عنها ولم يسمع شىء عن أخباره بعد ذلك التاريخ(٢٩) .

هكذا فشلت محاولات الأمير السلجوقى عرب فى القضاء على أخيه السلطان مسعود أو حليفه الأمير غازى الدانشمندى وذلك بفضل مساعدة حنا كومنين ، وقد اعتبر عرب أخاه مسعود خائنا لأسرة سلاجقة الروم لتفريطه فى مدينة ملطية ، ولكن يبدو أن مسعودا رأى بأنه اذا أراد توطيد سلطته فى آسيا الصغرى لابد أن يرتكز على قـــوة بنى دانشمند فى سيواس تلك القوة التى بدأت تنمو وتزدهر ، وأدى ذلك فى النهاية أن اقتسما الاثنان آسيا الصغرى .

هذا الخلاف والنزاع بين أفراد أسرة سلطنة سلاجقة الروم الذى استفادت منه القسطنطينية ، انتقلت عدواه الى بيزنطة وأصبح الثائرون من الأسرة الحاكمة فى بيزنطية يلجأون الى سلاجقة الروم وأمراء بنى دانشمند ، وأصبحت عادة مألوفة أن تدبر المؤامرات فى كلا البلاطين البيزنطى والسلجوقى ضد بعضهم البعض(٣٠) .

---

(٢٧) لم ترد اسماؤها عند ميخائيل السوريانى وأبو الفرج ويبدو أنها كانت مدن كومانا واماسيا وانقرة والقرى التى حولها .

(28) Bar Hebraeus : op. cit., p. 253.
Michel Le Syrien : op. cit., p. 224.

(29) Bar Hebraeus : op. cit., p. 253.
Michel Le Syrien : pp. 224 - 25.

(30) Ephraemius : op. cit., p. 169.
Nicetas, Ch. : op. cit., p. 48.
Walter, G. : La vie quotidienne a Byzance p. 23.
Wittek, p. Encor L, Epitaphe d, un Comnene p. 209.

قام الأمير غازى الدانشمندى فى عام ١١٢٩ م ببعض الغارات على شاطىء البحر الأسود ، ويبدو أن البيزنطيين قدموا مساعدات لعرب فكانت هذه الغارات الانتقامية ضد البيزنطيين ، وفى أثناء تلك الغارات ذهب الحاكم البيزنطى كاسيان Casianus من تلقاء نفسه الى الأمير غازى الدانشمندى وسلمه جميع الحصون التى تقع فى هذه المنطقة ودخل فى خدمته وتعاون معه(٣١) • ويبدو أن كاسيان كان ضمن الأقلية القليلة التى كانت تعارض حكم حنا كومنين وتحاول اضعاف مركزه ، غير أن هذه الثورة لم تمثل خطورة على حنا كومنين •

وفى الوقت الذى أضعفت فيه المنازعات والخلافات سلطنة سلاجقة الروم زادت فيه قوة بنى دانشمند وأصبحت تمثل خطرا كبيرا على ممتلكات الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وفى الواقع يعتبر الأمير غازى محمد(٣٢) فاتح الأناضول بحق ، وقد عقد اتفاقية سلام مع السلطان مسعود السلجوقى(٣٣) ، ويبدو أن ذلك كان تمهيدا للتفرغ لمحاربة البيزنطيين •

---

(31) Michel Le Syrien : op. cit., p. 230, 232.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 255.
Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 43 - 44.
Cahen, C. : Pre Ottoman Turkey p. 94.
Walter. G. : op. cit., p. 23.

(٣٢) ميزكازانوفا بين الأميرين ملك دانشمند واعتبر فترة حكمه من ١٠٦٧ — ١٠٨٤ م وملك غازى محمد وكنيته كمشتكين وحكم من ١٠٨٤ — ١١٣٤ م • انظر :
Melanges d, Archeologie Byzantine p. 8.

وتم عقد اتفاقية سلام بين الأمير غازى محمد والسلطان مسعود فى عام ١١٢٦ والراجح أن ذلك السلام كان بعد حدوث مناوشات ومصادمات بين الطرفين وقد أشار الى تلك المصادمات العظيمى تحت حوادث ١١٢٦ م • انظر : العظيمى : تاريخ العظيمى ص ٣٩١ •

(33) Les Monaies a Legendes de la dynasty Turque des fils du Danichmend, dans revue Archeologique p. 274.

ازداد نشاط بني دانشمند فى آسيا الصغرى واتسعت أملاكهم ، ففى آسيا الشرقية استولوا على مدينة ملطية والبستان ، وفى آسيا الشمالية قيصرية الجريدة وأماسيا وقسطمونى وكومانا وجانجرا ، والمون Almon ، والزون Alzon ، وبالزون Balzon وفى وسط آسيا اطغرى استولوا على أنقرة ، وأخذ الأمير غازى يغزو بانتظام الأراضى البيزنطية ، وقد نهب وخرب مدن جاتاتيا Gatatia وكولونيا Colonia وهرقلة Herclia ، وجميع مدن الشاطىء الشمالى للبحر الأسود(٣٤) .

يبدو أن الأمير غازى أراد أن يعاقب أرمن قيليقية أيضا لقيامهم بتقديم المساعدة لعرب السلجوقى ، وبمجرد ما وصل غازى خبر وفاة توروس الأرمنى ، تقدم بجيوشه نحو ليون الأرمنى ، وتصادف أيضا أن حشد بوهيمند أمير أنطاكية جيشا ضد ليون لوجود بعض الخلافات بينهما ، وبينما كانت قوات بوهيمند تعسكر عند نهر الفرات وصلت قوات الأمير غازى الدانشمندى(٣٥) .

وعندما بلغ بوهيمند تقدم جيوش الأمير غازى ، وقع فى خطأ بأن تقدم هو نفسه على رأس قوة استطلاعية قوامها مائتا مقاتل ، وصعد على جبل عال للتأكد من الخبر ، وكانت تلك فرصة للامير غازى الذى قام بمحاصرة المكان من جميع الجهات ، ونشبت معركة أبيدت فيها القوة الصليبية وسقط الأمير بوهيمند نفسه قتيلا ، وقام الأمير غازى الدانشمندى بارسال رأسه الى الخليفة فى بغداد(٣٦) .

---

(34) Prodromos T. : p. 1382, dans M. P. G. t. 133.
Anonymous : The first and second crusades pp. 89 - 90.

(35) Ordric Vitalis : Historia Ecclesiastica p. 832 dans M. P. L.
Michel le Syrien, op. cit., pp. 224 - 25.

(36) Ordric Vitalis : op. cit., p. 832.
Michel le syrien p. 227.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 255.

بعد أن فرغ حنا كومنين من مشاكله فى شبه جزيرة البلقان شن هجوما على الأمير غازى الدانشمندى فعبر بيثينيا Bythynie وقرر مهاجمة مدينة قسطمونى فى اقليم بافلاجونيا Paphlagonie مسقط رأس أسرة آل كونمين بعد حصارها ودكها بالآلات الحربية المعروفة بالمجانيق(٣٧) ، وتمكن من الاستيلاء عليها فى عام ١١٣٠ م وعاد الى القسطنطينية(٣٨) .

وفى أثناء غياب الامبراطور حنا كومنين عن العاصمة تآمر أخوه وآخرين ضده ، فقد حدث خلاف بسيط(٣٩) بين الامبراطور حنا كومنين وأخيه اسحاق(٤٠) كومنين وانتهز أعداء الامبراطور فى الداخل هـذا الخلاف وحرضوا اسحاق للاستيلاء على السلطة . وعند عودته الى القسطنطينية أراد القبض على المتآمرين فهرب أخوه اسحاق كومنين عند الأمير غازى الدانشمندى الذى رحب به وأرسله الى جابراس حاكم طرابيزون الذى سبق أن أعلن العصيان على الامبراطور حنا كومنين . وفى عام ١١٣١ م اجتاح الأمير غازى الدانشمندى قيليقية وهاجم ليون الأرمنى وهزمه واستولى على عدة حصون ، وعقد معاهدة تعهد فيها

---

(٣٧) المنجنيق آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طـويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف ، وتوجد بالذنب كفة يوضع فيها الحجر وعندما يرتفع الذنب الذى فيه الكفة يخرج الحجر فاذا أصاب شيئا هلكه . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٣٦ .

(38) Cinnamos : op. cit., pp. 13 - 14.
Nicetas : op. cit., p. 23 - 25.
Ephraemius : op. cit., p. 165.
Prodrom T. : op. cit., p. 1381.

(39) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 43.

(٤٠) ساعد اسحاق كومنين الامبراطور حنا كومنين فى الوصول الى الحكم ، وكان حنا يحبه كثيرا بسبب تلك المسـاعدة وكان يأكل معه على نفس المائدة . انظـر :

Nicetas : op. cit., p. 13.

ليون الأرمنى بعدم الاعتداء على أراضى الدانشمندية أو مساعدة الغير بقوات للاعتداء عليها ، كما تعهد بدفع جزية سنوية[٤١] .

قضى الأمير غازى الدانشمندى الشتاء فى ملطية ، وجاء الى لقائه هناك السلطان مسعود ، واسحاق كومنين الذى عاد من عند جابراس ، ويبدو أن الثلاثة كانوا يخططون للعمل ضد حنا كومنين ، ثم جمع الأمير غازى جيشا لفتح مدينة الرها الصليبية وعندما علم بموت جوسلين الأول قرر انهاء القتال وبعث عزاءه الى الصليبيين[٤٢] يخبرهم بأنه قرر عدم دخول المعركة ضدهم حتى لا يقال أنه انتصر عليهم لموت أميرهم ، وطلب منهم أن ينظموءا أمورهم فى هدوء كما اعتادوا دائما وأن يختاروا رئيسهم الجديد طبقا لتقاليدهم دون أن يخشوا شيئا من جانبه[٤٣] .

وبعد عودة الامبراطور حنا كومنين الى القسطنطينية استعاد الأمير غازى الدانشمندى مدينة قسطمونى مرة أخرى بعد أن حاصرها وذبح الحامية البيزنطية المرابطة بها ، ولم يستطع الامبراطور حنا كومنين التوجه الى هناك بسبب مرض زوجته الامبراطورة ايرين وحالتها المتدهورة[٤٤] . فضلاً عن مؤامرات اتباع اسحاق كومنين فى القسطنطينية ضد الامبراطور ، وفى أثناء ذلك حاول غازى الدانشمندى الاستيلاء على مدينة سوزوبوليس وضرب الحصار حولها ، غير أن نقص

---

(41) Michel Le Syrien : op. cit., p. 230.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 255.

(٤٢) رواية وليم الصورى مختلفة عن ما جاء عند ميخائيل السوريانى ، ذكر وليم الصورى أن جوسلين الثانى حارب الأمير غازى محمولا على الأكتاف وأن الأمير غازى تراجع مرغما ، غير أن ما جاء عند ميخائيل السوريانى يبدو أنه هو الحقيقة لأنه أورد الواقعة بتفاصيل كاملة وترابط انظر :

Michel Le Syrien : op. cit., pp. 231 - 32.

(43) William of Tyre : Hist. of deeds, V. 11 pp. 231 32.

(44) Michel Le Syrien : op. cit., pp. 231 - 32.
Cinnamos : op. cit., pp. 13 - 14.

المواد التموينية لدى قوات غازى أدى الى فشـل الحصار ، وقـام الدانشمنديون بنهب المناطق المجاورة(٤٥) .

يبدو أن السلطان مسعود كان يقف على الحياد من الصراع الدائر بين القوتين البيزنطية والدانشمندية لانشغاله بمشاكله الخاصة ، اللهم الا الاجتماع الذى عقد فى شتاء عام ١١٣٢ م فى ملطية بين الأمـير غازى والسلطان مسعود واسحاق كومنين ، وقد استعان الأمير غازى فى ١١٣٢ م ، بالسلطان مسعود السلجوقى للاغارة على شاطىء البحر الأسود ، وقاما بحصار قلعة زنين Zinin ، وعندما عجـزا عن الاستيلاء عليها حصلا على مبلغ أربعة آلاف دينـار من البيزنطيين(٤٦) .

تحركت حملة حنا كومنين الثانية فى عام ١١٣٢ م للاستيلاء على مدينة قسطمونى(٤٧) ، وبعد حصارها تمكن حنا كومنين من دخولهـا فى ديسمبر من نفس العام ،كما قام بمهاجمة أراضى أمراء بنى دانشمند فى نواحى أماسيا ثم عبر نهر قزل ارمق(٤٨) . (هاليس) وقد خضع فى تلك المناطق عدة أمراء ومدن للامبراطور حنا كومنين ، منهم ألب أرسلان أمير جانجرا وطغرل مير اماسيا وبراخيموس Praechimus حارس العقارات ومن المدن المون والزون وبالزون(٤٩) .

---

(45) Michel Le Syrien : op. cit., pp. 231 - 32.

(46) Ibid pp. 232 - 33.

(٤٧) انظر التفاصيل عن موقع قسطمونى وأهميتها التاريخية عند :
Hamd Allah Mustwafi : Nuzhat al qulub, V. 23, p. t. 1. pp. 97 - 98.
Mardtman : Kastamoni in Ency de 1, Islam p. 855.

(48) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 26.
Cinnamos : op. cit., pp. 13 - 14.
Ephraemius : op. cit., pp. 165 - 66.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 257.
Grousset, R. : op. cit., p. 85.
Walter, G. : op. cit., p. 24.
سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٨٠ .

(49) Prodromos op. cit., pp. 1381 - 82.

وفى عام ١١٣٣ م دخل الامبراطور حنا كومنين مدينة القسطنطينية دخول المنتصرين ، حاملا الصليب وصورة العذراء واستقبل استقبال الأبطال ، فقد خصصت لذلك عربة مرصعة بالفضة والذهب والأحجار الكريمة وزينت الشوارع بصور المسيح والقديسين ، ونصبت المنصات للمتفرجين على طوق الطريق من البوابة الشرقية الى البلاط ، وكانت العربة تجرها أربعة خيول بيضاء ، ورفض الامبراطور حنا كومنين أن يركب هذه العربة تواضعا منه وحتى لا يصيبه الغرور ، واكتفى بوضع صورة العذراء عليها لأنه كان يعزو اليها انتصاراته ، وسار الامبراطور على رأس الموكب حتى كنيسة أيا صوفيا حيث أدى بها صلاة الشكر (٥٠) .

ولعلنا نشعر بفرح البيزنطيين فى هذه المناسبة فى قصيدة الشاعر تيودور « هلمى يا مدينة قسطمونى يامدينة الرومان ، لقد ضللت لزمن طويل وهمت على وجهك دهرا ، الى أين ذهبت وفى أى قطر ضللت حتى الآن »(٥١) .

كانت الحرب سجالا بين الامبراطور حنا كومنين والأمير غازى الدانشمندى على مدينة قسطمونى ، اذ بينما كانت الاحتفالات تجرى فى القسطنطينية بانتصارات حنا كومنين ، هاجم الأمير غازى الدانشمندى مدينة قسطمونى بجيش كبير وذبح أفراد الحامية البيزنطية التى كانت ترابط بها ، وعندما وصل الخبر الى حنا كومنين حزن حزنا شديدا وصمم على اعادة المدينة ، وفى خريف عام ١١٣٤ م توجه

---

(50) Nicetas. Ch. : op. cit., p. 26.
Cinnamos : op. cit., pp. 13 - 14.
Ephraemius : op. cit., pp. 165 - 66.

(51) Prodromos : op. cit., p. 1381.

الامبراطور حنا كومنين بحملته الثالثة ضد الأمير غازى الدانشمندى لاعادة مدينة قسطمونى[٥٢] .

ويبدو أن بنى دانشمند قد حصنوا مدينة قسطمونى تحصينا قويا هذه المرة ، فقد وقف حنا كومنين أمام أسوار المدينة طويلا محاصرا لها ووجد أن الأمير غازى قد توفى وحل محله فى الحكم ابنه محمد الثانى ، وهنا أراد الامبراطور حنا كومنين أن يستفيد من موت الأمير غازى الذى دوخ البيزنطين ، فلجأ الى الدبلوماسية لضرب القوى الاسلامية فى آسيا اطلغرى بعضها بالبعض الآخر منتهزا وجود خلافات بين السلطان مسعود والملك محمد الثانى الحاكم الجديد ، وأرسل وفدا الى قونية وعقد اتفاقية مع السلطان مسعود الذى أرسل بمقتضاها قوات سلجوقية حاصرت مدينة قسطمونى الى جانب البيزنطيين[٥٣] .

قبيل وفاة الأمير غازى الدانشمندى بقليل ، أرسل الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود السلجوقى اليه من بغداد سفارة تحمل أربعة أعلام سوداء وطبولا كانت ستدق أمامه مثل ملك ، وعقدا من الذهب يعلق فى عنقه ، وصولجانا من الذهب كان سيضرب بمعرفة السفارة اثباتا بأنه منح هو وذريته من بعده لقب ملك ، وعندما وصلت السفارة وجدت الأمير غازى مريضا وانتظرت حتى وفاته فأعطت السفارة اذن التفويض الى ابنه محمد الذى أعلن ملكا[٥٤] وفى الحقيقة

---

(52) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 26.
Cinnamos : op. cit., pp. 13 - 14.
Prodromos : op. cit., p. 1394.
Michel Le Syrien : op. cit., p. 234.
Grousset, R. : L, empire du Levant p. 431.

(53) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 26 - 27.
Cinnamos : op. cit., p. 14.

(54) Michel Le Syrien : op. cit., p. 237.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 258.

فان بنى دانشمند لم يعترفوا بسيادة سلاجقة الروم ، انما اعترفوا بسيادة السلاجقة العظام فى بغداد ، وهذا التفويض من الخلافة العباسية أدى الى توطيد سلطة أمراء بنى دانشمند فى آسيا الصغرى .

أصبح الموقف بالنسبة للملك محمد الثانى الدانشمندى فى غاية الخطورة ، فهو لا يستطيع أن يواجه الامبراطور حنا كومنين متحالفا مع السلطان مسعود ، لذلك أرسل الى السلطان مسعود يبين له مدى خطورة تحالفه مع الامبراطور البيزنطى وجسامة الأضرار التى ستلحق بالقوى الاسلامية فى آسيا الصغرى التى تنتسب الى أصل واحد وتجمع بينهما أهدافا مشتركة فاستجاب السلطان مسعود الى نداء الملك محمد الثانى وأمر قواته أن تنسحب ليلا من أمام أسوار قسطمونى[٥٥] .

وسبب انسحاب قوات السلطان مسعود من أمام أسوار مدينة قسطمونى ارتباكا للقوات البيزنطية ، لذلك أراد الامبراطور حنا كومنين رفع الحصار عن المدينة ، غير أن بعض الرهبان أقنعوه بأن يستكمل عمله ، واستمر فى الحصار حتى اليوم التالى . وعندما وجد المقاومة شديدة انسحب من أمام أسوار مدينة قسطمونى الى قلعة كان قد بناها على ضفاف نهر رينداكوس Rhyndacus حيث قضى فصل الشتاء ، وقد تعرض عدد كبير من الجيش البيزنطى للموت بسبب نقص المؤن ، بالرغم من ذلك استطاع الامبراطور أن يعيد ترتيب قواته ويتوجه مرة أخرى الى مدينة قسطمونى وتمكن من تطويقها واستولى عليها بالأمان بصفة نهائية وذلك فى أوائل عام ١١٣٥ م[٥٦] .

---

(55) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 27 - 28.
Cinnamos : op. cit., pp. 14 - 15.

(56) Cinnamos : op. cit., pp. 14 - 15.
Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 27 - 28.
Ephraemius : op. cit., pp. 165 - 66.
Grousset, R. : op. cit., p. 85.

تحول حنا كومنين بعد استيلائه على مدينة قسطموني الى مدينة جانجرا وهى من المدن الهامة على الشاطىء الجنوبى للبحر الأســود ، وبعد حصار المدينة أخذ يدكها بالمجانيق من خلال الأماكن الضــعيفة فى الأسوار غير أن تحصينات الأسوار كانت قوية ومرتفعة ارتفــاعًا شاهقا ولم يؤثر فيها دك المجانيق ، لذلك رأى الامبراطور حنا كومنين أن يوقف ضرب الأسوار وقرر ضرب المنازل داخل المدينة ، تلك المنازل التى كان يمكن رؤيتها بسهولة من فوق التلال التى حول المدينة ، وأدى القذف المتواصل الى انهيار المنازل على من فيها من السكان ، وكان البقاء بها يمثل خطورة كما أن السير فى الشــوارع كان أخطر(٥٧) .

وأدى هذا الضغط الذى فرضه حنا كومنين على مدينــة جانجرا ووفاة الأمير غازى الى تسليم المدينة فدخل البيزنطيون المدينة بعد أن حصل السكان على الأمان ، وترك الامبراطور بمدينة جانجرا حاميــة بيزنطية مكونة من ألفى جندى ، غير أن هذه المدينة لم تبق طويلا فى يد البيزنطيين ، اذ عاد محمد الثانى الدانشمندى حوالى عام ١١٣٦ م وحاصر المدينة وتمكن من الاستيلاء عليها(٥٨) .

اكتفى الامبراطور حنا كومنين بهذا النجاح فى آسيا الصغرى ، بعد أن أطمأن على تأمين طريقه الى قيليقية وبلاد الشام ، وبدلا من أن يستمر فى حرب الدانشمنديين فى سيواس وسلاجقة الروم فى قونية ، فضل الاتجاه فى عام ١١٣٦ م الى قيلقية ثم بلاد الشام لارغام الأرمن ونورمان أنطاكية على الاعتراف بالسيادة البيزنطية(٥٩) .

---

(57) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 27 - 28.
Cinnamos : op. cit., pp. 15 - 16.
Prodroms : op. cit., p. 1394.

(58) Ephraemius : op. cit., p. 166.
Nicetas. Ch. : op. cit., p. 28.
Cinnamos : op. cit., pp. 15 - 16.
Michel Le Syrien : op. cit., p. 248.

(٥٩) انظر ما سبق الفصل الثانى .

لكن على الرغم من الجهود التى بذلها الامبراطور حنا كومنين فى آسيا الصغرى لكى يجعل مهمته سهلة فى قيليقية وبلاد الشام ، فان سلاجقة الروم وأمراء بنى دانشمند قاموا بدور كبير لعرقلة تقـدم الجيوش البيزنطية فى بلاد الشام ، كما تناسى الدانشمنديون وسلاجقة الروم خلافاتهم وتعاونوا لانهاك خطوط مواصلات حنا كومنين(٦٠) .

اجتاح الملك محمد الثانى قيلقية فى عام ١١٣٩ م واستولى على بعض القلاع التى سبق أن أخذها البيزنطيون من الأرمن مثل قلعة فاهكة Vahga وجابنوبرت Gabnaupert ثم قام بغزو المنطقـة التى يحكمها كاسيا نوس الدوق البيزنطى والتى تقع على شاطىء البحـر الأسود ، ونهب المنطقة وأسر عددا كبيرا من السكان الذين قام ببيعهم فى أسواق الرقيق وقد واصل الملك محمد غزواته ضد البيزنطيين حتى وصل الى المناطق المجاورة لنهر سانجا ريوس Sangarius (٦١) .
أراد الامبراطور حنا كومنين القيام بهجوم ضد الملك محمد تأديبا له على ما فعله بممتلكات البيزنطيين على شاطىء البحر الأسود لذلك قام بحملة خاطفة فى عام ١١٣٩ م على أملاك بنى دانشمند فى اقليم بافلاجونيا ، ثم عاد الى مدينة لوباديوم لاعادة ترتيب قواته استعدادا للقيام بهجوم كبير على بنى دانشمند ، وقد تمردت القوات البيزنطية وحاولت عدم اطاعة أوامر الأمبراطور ، لأن الحملة فى نظرهم طالب أكثر مما يجب ، فقد عاد الجنود منذ قليل من بلاد الشام وعانوا الكثير من الأمراض وقلة المؤن وكمائن الأعداء فى الطريق ، وأعلن حنا كومنين ، بأن الجنود يجب أن يتخذوا منه قدوة لهم ، وأن تكون لديهم الارادة القـوية ، واستطاع اقناعهم بالاستمرار فى القتال(٦٢) .

---

(60) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 42.
Prodroms : op. cit., p. 1366.
(61) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 44.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 266.
Michel Le Syrien : op. cit., p. 248.
(62) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 44 - 45.

عبر الامبراطور حنا كومنين بيثنيا Bithynia وبافلاجونيا Paphlagonia وقرر اخضاع قنسطنطين جابراس دوق طرابيزون ، الذى أعلن منذ وقت طويل العصيان وتعاون مع أمراء بنى دانشمند ضد البيزنطيين[٦٣] ، وبعد أن أخضع حنا كومنين جابراس سار بقواته محاذيا لشاطىء البحر الأسود حتى يستطيع تزويد قواته بالمؤن ولمواجهة أمراء بنى دانشمند ، الذين امتازوا بالتفوق والمهارة الحربية ، والذين كانوا من أخطر من استولى على مناطق الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى[٦٤] .

غادر الامبراطور حنا كومنين لوباديوم وقضى طول الصيف والخريف فى مسيرته تلك ، وتعرض الجيش البيزنطى لهجمات بنى دانشمند الخاطفة فكانوا ينقضون على جيش الامبراطور كالبرق وهم على خيولهم السريعة ، ثم يختفون وكأن ريحا أبعدتهم عن المعركة ، وبذل البيزنطيون جهدا فائقا للتصدى لمثل هذه الهجمات حتى وصلوا الى مدينة قيصرية الجديدة وضربوا حولها الحصار فى شتاء عام ١١٣٩ م[٦٥] .

دارت معارك شديدة وعنيفة أمام أسوار قيصرية[٦٦] بين

---

(٦٣) انظر ما سبق ، ص ١٠١ .

(64) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 45 - 46.

(65) Cinnamos : op. cit., p. 21.
Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 46 - 47.
Ephraemius : op. cit., p. 168.

(٦٦) فى أثناء حصار قيصرية الجديدة جرى حادث كان له أثر فى مستقبل مانويل الأول كومنين خليفة حنا كومنين ، فى عرش الامبراطورية ، ففى أثناء المعركة تسلل مع مجموعة داخل صفوف الأعداء دون علم والده رغم صغر سنه ، وأحدث ارتباكا فى الجيش الدانشمندى ، وكاد أن يقع فى الأسر وكانت هذه الحادثة من ضمن الأسباب التى جعلت حنا يختاره خلفا له. انظر :

Cinnamos : op. cit., pp. 21 - 22.

البيزنطيين والدانشمنديين ، وكاد الامبراطور حنا أن يستولى على مدينة قيصرية الجديدة لولا حدوث مفاجأة ، وهى أن الامبراطور رأى محاربا ايطاليا بدون فرس فأمر ابن أخيه حنا اسحاق أن يعطى فرسه للايطالى ، ولما امتنع حنا عن ذلك ، أخذ الامبراطور منه الفرس بالقوة، وعندئذ هرب حنا اسحاق الى معسكر بنى دانشمند الذين استقبلوه بالترحاب ، وقد كشف لهم عن مواطن الضعف فى الجيش البيزنطى ، من نقص فى المؤن والخيول . لذلك أخذ الدانشمنديون يضغطون على مؤخرة البيزنطيين ، الأمر الذى جعل حنا كومنين ينسحب الى الموانىء البحرية بعد حصار دام ستة أشهر(٦٧) ، لكى يجد الأمان لقواته هناك، ثم عادت قوات الامبراطور حنا المنهكة المتعبة الى بيزنطة فى يناير عام ١١٤١ م(٦٨) .

هكذا فشلت حملة حنا كومنين على قيصرية الجديدة التى كانت تمثل أقصى ما وصل اليه المد البيزنطى فى آسيا الصغرى ، ولم يستطع الامبراطور حنا كومنين الحصول على أى شىء بفضل استبسال الملك محمد الدانشمندى فى الدفاع عن المدينة ، وأيضا بسبب الحالة السيئة التى كانت عليها القوات البيزنطية التى أنهكت فى الحملة الطويلة على بلاد الشام ، والتى استمرت ثلاث سنوات ، وقد أشار المؤرخون

---

(٦٧) ذكر كلا من ميخائيل السوريانى وأبو الفرج أن حصار حنا كومنين الطويل لمدينة قيصرية الجديدة أدى الى غضب الدانشمنديين ، فى كل مكان، وثاروا ضد المسيحين فى البلاد التى كانت خاضعة لهم ويوجد بها مسيحيون مثل بلطية ، فكان أى شخص يذكر اسم الامبراطور البيزنطى حتى لو كان سهوا يقتل بالسيف ويقبض على أسرته ، ولذلك هلك عدد كبير فى ملطية وغيرها الى أن رحل الامبراطور حنا كومنين من أمام المدينة . انظر

Michel Le Syrien : op. cit., p. 249.
Bar Hebraeus : op. cit., pp. 266 - 67.

(68) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 47.
Ephraemius : op. cit., pp. 168 - 69.

ايلزنطيون الى تلك الحالة السيئة التى وصلت اليها قوات حنا كومنين[٦٩] .

ومهما يكن من أمر فان الامبراطور حنا كومنين استطاع أن يعبد حدود الامبراطورية حتى نهر قزل ارمق (هاليس) وأيضا أعاد كل ثغر بافلاجونيا القديم وبذلك فان المهمة التى حاولت أن تقوم بها الحملة اللمباردية فى عام ١١٠١ م وفشلت فى انجازها ، قد تمت بنجاح على يد حنا كومنين . وهكذا استطاع أن يسترد للامبراطورية البيزنطية كل شاطىء البحر الأسود من البسفور حتى نهر تخوروك Tchoroka الى دوقية طرابيزون شرقا[٧٠] .

وفى شتاء عام ١١٤١ م توجه الامبراطور حنا كومنين الى اضاليا لتنظيم شئون المدن المجاورة ، ولأن الدانشمنديين كانوا يحاصرون مدينة سوزوبوليس ، وبعد أن أرغم الدانشمنديين على الفرار من أمام سوزوبوليس اتجه حنا كومنين بقواته نحو بحيرة بسجوسا Pusgusa وهى بحيرة واسعة فيها بعض الجزر التى بنيت عليها منذ القدم بعض القلاع ، وكانت الأغلبية العظمى من سكان هذه الجزر من المسيحيين[٧١] . وقد استولى عليها سلاجقة الروم منذ وقت بعيد وبات السكان يفضلون حكم سلاجقة الروم على البيزنطيين ، لذلك طلب منهم

---

(٦٩) انظر ما سبق ص ٢١٢ .

(70) Prodromos : op. cit., pp. 1375.
Grousset, : L; empire du Levant p. 431.
Brehier, L. : op. cit., p. 323.
سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٥٨١ .
أسد رستم : الروم فى سياسته موحضارتهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ج ٢ ص ١٤٢ .

(٧١) يبدو أن سكان هذه الجزر كانوا من الأرمن والسوريان لأن هاتين الطائفتين تعرضتا لاضطهاد البيزنطيين لاختلاف المذهب الدينى وقد استراح هؤلاء من الاضطهاد فى ظل سلاجقة الروم ولأن كيناموس وتيقيتا أشارا الى هؤلاء بكلمة المسيحيين وهما دائما يطلقا على البيزنطيين كلمة الرومان .

الامبراطور حنا كومنين اخلاء الجزر لأنها أرض بيزنطية وأن ينضموا الى سلاجقة الروم اذ رأوا ذلك(٧٢) .

رفض سكان بحيرة بسجوسا Pusgusa عرض الامبراطور حنا كومنين لذلك قرر محاربتهم ولجأ الى حيلة بأن ربط عدة أخشاب بعضها بالبعض الآخر وجعل عليها شبه أشرعة ثم وضع عليها آلات الحصار ، ومع أن هذه الخطة أدت الى موت الكثير م نالبيزنطيين الا أن حنا كومنين استطاع فى النهاية احتلال تلك المنطقة ، وفى أثناء ذلك مات محمد الدانشمندى(٧٣) .

تنفس حنا كومنين الصعداء من ضغط كان يواجهه من أكبر قوة فى آسيا الصغرى ، لأن موت الملك محمد أدى الى انحلال حكم الدانشمنديين بعكس ما حدث عند موت غازى ، ولذلك سنحت الفرصة للامبراطور حنا كومنين للقيام بحملته الثانية على بلاد الشام عام ١١٤٢ م .

مات الملك محمد الدانشمندى فى عام ١١٤٢ م وأوصى بأن يخلفه فى الحكم ابنه ذو النون ، لكن زوجة الملك محمد أحضرت يعقوب أرسلان أخو الملك محمد ليتولى الحكم فى سيواس ، وهرب ذو النون الى سمناده Symnada ، وصارت قيصرية وملطية ، ثم جاء عين الدولة الذى كان مختفيا عند الصليبيين ، وتحالف مع ياغى سيان (يونس) أمير مسارة وزحفا سويا على مدينة ملطية ، ونظرا لحصانة المدينة لم يستطيعا دخولها فعادا الى عرقة(٧٤) .

---

(72) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 50 - 51.
Cinnames : op. cit., pp. 21 - 22.

(73) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 50 - 51.
Cinnames : op. cit., pp. 21 - 22.

(74) Michel Le Syrien : op. cit., p. 253.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 267.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 267.

عندما سمعت زوجة الملك محمد بالزحف على ملطية ، أرسلت ألفى رجل للمحافظة على ملطية ، غير أن سكان المدينة شكوا فى أن يكون هؤلاء جاءوا لكى يخرجوهم من المدينة[٧٥] ويرسلوهم الى سيواس ويحلوا محلهم . لذلك ثار سكان المدينة وخرجوا الى الشوارع مسلحين ، وذهبوا الى قلعة المدينة وطلبوا من الحاكم المفاتيح لكى يخرجوا لمحاربة القادمين ، وعندما رفض الحاكم كسروا الأبواب بالقوة وأرسلوا الى عين الدولة وأتوا به ليحكم ملطية[٧٦] .

وأدى انحلال حكم الدانشمنديين وتفتتهم بعد موت الملك محمد الى قلب ميزان القوى لصالح سلاجقة الروم ، وأصبحت السيطرة فى آسيا الصغرى فى يد السلطان مسعود[٧٧] . فعندما ذهب عين الدولة الى أخيه يعقوب أرسلان وتحالف معه ثم استولى على البستان وبلاد جيحان أسرع السلطان مسعود بقواته الى سيواس ، فهرب منها يعقوب أرسلان الى الجبال وقام مسعود بتخريب المدينة ، ثم طلب من عين الدولة الخضوع له ووعده بتوسيع ممتلكاته ، غير أن المفاوضات بينهما لم تنجح ، فقام السلطان مسعود بحصار مدينة ملطية فى عام ١١٤٢ م ، وتعرضت المدينة لضيق شديد واضطر عين الدولة حاكم المدينة الى

---

(٧٥) رواية أبو الفرج فيها بعض الاختلاف عن رواية ميخائيل السوريانى اذ ذكر أبو الفرج بأن الرجال الذين أرسلتهم الخاتون زوجة محمد أتوا لحماية ملطية بالاضافة الى ترحيل الأتراك الذين كانوا بالمدينة الى سيواس ، وأن هؤلاء الأتراك هم الذين قاموا بالثورة وكسروا الأبواب وقاتلوا الألفى رجل من أتباع الخاتون ثم أتوا بعين الدولة الى الحكم : انظر :

Bar Hebraeus : op. cit., p. 267.

(76) Michel Le Syrien : op. cit., p. 253.
Bar Hebraeus : op. cit., p. 267.

(٧٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٩ ، ص ٦ ، العظيمى : تاريخ العظيمى ص ٤٢١ .

Vryonis. S. : The decline of Medieval Hellinsm in Asia Minor, p. 119.
Cahen C. : La Syrie du Nord p. 365.

مصادرة أموال الأغنياء لدفع رواتب الجند ، وفجأة رفع السلطان مسعود الحصار عن المدينة بعد ثلاثة شهور دون أن يحارب وأحرق آلات الحصار وعاد الى قونية(٧٨) • ويبدو أن السبب الذى دفع مسعودا لرفع الحصار هو تحرك الامبراطور حنا كومنين بحملته الثانية الى بلاد الشام •

ظل الدانشمنديون يناضلون ويكافحون فى آسيا الصغرى ضد البيزنطيين بل ضد سلاجقة الروم أيضا حتى سقطت دولتهم • أما الجانب البيزنطى فقد أعلنها حنا كومنين حربا صليبية ضد القوى الاسلامية فى آسيا الصغرى تماما كما فعل الصليبيون فى بلاد الشام وكان يرفع الصليب وصورة العذراء فى المعارك ومواكب النصر(٧٩) •

لجأ الامبراطور حنا كومنين لاثارة الحرب الصليبية فى آسيا الصغرى لمجابهة قوة المسلمين هناك ، وقد تعرض البيزنطيون للقهر والمعاناة بسبب تلك الحروب التى دارت رحاها بين المسلمين والبيزنطيين فى آسيا الصغرى ، وكان البيزنطيون يعتبرون حنا كومنين البطل المنقذ لهم وأنه جاء لكى ينتقم من القوى الاسلامية فى آسيا الصغرى التى استولت على أراضى الدولة البيزنطية ونهبت وسلبت المدن وجلبت الكوارث والمصائب على البيزنطيين(٨٠) • فعندما تعرضت الدولة البيزنطية لخطر القوى الاسلامية تراجعت أمامهم ، ولكن عندما وصل حنا كومنين أعاد لها قوتها ومجدها الماضى واستطاع أن يرد الصاع

---

(78) Bar Hebraeus : op. cit., p. 267.
Michel Le Syrien : op. cit., p. 254.

أشار ميخائيل السوريانى الى أن وصول السلطان مسعود الى ملطية لكى يهاجمها ثم توقفه أمام الأسوار وعدم شن حرب بالمرة ثم انسحابه بعد حرق الآلات سببه أعمال السحر ضد السلطان • انظر :
Michel Le Syrien : op. cit., p. 254.

(79) Ephraemius : op. cit., pp. 165 - 66.
Hell. N. : Unedierte Texte eus des Zeit d, Kaisers Johannes Komnenos in B. Z. t. VIII p. 48.

(80) Prodromos T. : op. cit., p. 1377.

صاعين ويشفى غليل البيزنطيين [٨١] فعندما وصل حنا كومنين الى العرش دارت الدائرة على سلاجقة الروم وأمــراء بنى دانشمند ، وشـــعر البيزنطيون بالأمن والأمان فى عهده « يا للمدينة السعيدة روما الجديدة لقد ضربك أعداؤك فى شيخوختك . لقد شخت وخلعت هنداماك وملابسك . لكن حظيت بقــوة جبــارة وجديــدة بالســـيد حنــا الامبــراطور القوى » [٨٢] .

لام بعض المؤرخين المحدثين حنا كومنين لأنه لم يركز على آسيا الصغرى للقضاء على سلاجقة الروم والدانشمنديين ، واكتفى بالشريط الساحلى وترك سلاجقة الروم فى قلب آسيا الصغرى ، واهتم ببلاد الشام لتحقيق هدف فوق طاقته وقدرته [٨٣] . وتركه سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى أدى فى نهاية المطاف الى سقوط الدولة البيزنطية على أيدى العثمانيين الذين وجدوا الطريق ممهدا بفضل ما قام به أمــراء بنى دانشمند وسلاجقة الروم [٨٤] .

ولكن الامبراطور حنا كومنين كان لا يستطيع القضاء على القوى الاسلامية فى آسيا الصغرى حتى فى حالة تفرغه لذلك العمل تماما ، وليس هناك خلاف بأن سلاجقة الروم وأمراء بنى دانشـــمند أضعف بعضهم البعض لنشوب الخلاف والمنازعات بينهم ، ولكن على الرغم من

---

(81) Prodromos : op. cit., p. 1378.

(فبعد أن خلعت عنها الترمل والحداد وتزوجت من امبراطور الشرق اخرجوك أنت) تصور بردروم بيزنطة أمراة أرملة قبل أن يصل حنا الى الحكم ، وعندما أصبح حنا امبراطورا للشرق تزوجت منه وعادت اليها قوتها وطردت دولة الفرس من أراضيها (السلاجقة والدانشمنديين) .
انظر :

Prodroms : op. cit., p. 1378.

(82) Proromos : op. cit., pp. 1374 - 75.

(83) Levtchenko : Byzance et Les croisades p. 228.

(84) Wittek. P. : Deux Chepitres de L, Histoire des Turcs de Rum. pp. 289 - 90.

ذلك فقد ظلت قوة أمراء بنى دانشمند تمثل خطورة كبيرة على الدولة البيزنطية حتى وفاة الملك محمد فى عام ١١٤٢ م ، ولذلك يتبين أنه كان من الصعب على حنا كومنين القضاء على القوة الاسلامية فى آسيا الصغرى ، لأنه مات بعد الملك محمد بقليل ، ثم بموت الملك محمد خلا الجو لسلاجقة الروم ، وتمكنوا من استعادة سيطرتهم على آسيا الصغرى ، وتفرغوا للعمل ضد الدولة البيزنطية ، وقد ساعدهم على ذلك السياسة التى اتبعها مانويل كومنين فى آسيا الصغرى ، والتى كانت تختلف بعض الشىء عن سياسة والده حنا كومنين •

الفصل الخامس

علاقة الدولة البيزنطية بالأرمن

فى عصر حنا كومنين

مناطق تواجد الأرمن فى آسيا الصغرى ــ علاقة الدولة البيزنطية بالأرمن ــ موقف الأرمن من الصليبيين ــ استرداد قيليقية ــ استيلاء الامبراطور حنا كومنين على طرسوس وأذنة والمصيصة ــ مقاومة الأمير الأرمنى للامبراطور البيزنطى ــ استيلاء حنا كومنين على الاسكندرونة .



قبصرية
جبال طوروس الداخلية
كومانا
ملطية
البستان
الفوقاد
فكة
حصن منصور
قونية
هرقلية
مرعش
سيس
قليسورة
الرها
عين زربة
لامبرون
تل حمدون
صنجاب
أذنة
المصيصة
طرسوس
سلوقية
الاسكندرونة
بغراس
انطاكية
ميناء السويدية
حلب
الفرات
أنطاليا
قيليقية الأرمنية

(Grousset R: L) Empire du levant -

فى أواخر القرن العاشر الميلادى — اشتد النزاع بين ملـــوك وأمراء الأرمن وساعدت الخلافات الداخلية على تفتيت وحـــدة الأرمن السياسية ، وكان أن أصبحت أرمينية عند بداية القرن الحادى عشر الميلادى فى حالة من الضعف الشديد ، وزاد الطين بله هجوم السلاجقة على آسيا الصغرى ورغبة الدولة البيزنطية فى الاستيلاء على ممالك الأرمن • الأمر الذى دفع بعض ملوكهم الى تسليم الأراضى الأرمينية الى البيزنطيين فى مقابل حصولهم على اقطـــاعات أكثر أمنا داخـــل الأراضى البيزنطية ، ففى عام ١٠٢١ م قام ســـنكريم Senckarim بتسليم مملكته الواسعة الى الامبراطور باسيل الثانى ، وحصل بدلا منها على مدينة سيواس وملحقاتها فى قبادوقيا[١] •

وقام أيضا الملك سمباد ببيع مدينة آنى للبيزنطيين خوفا من بطش باسيل الثانى على أن تسلم اليهم بعد موته • وعندما مات سمباد رفض خليفته الملك كاكيك الثانى تسليم آنى للبيزنطيين ، ولجأ الامبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine Monomachus (١٠٤٢ — ١٠٥٤ م) الى استخدام القوة العسكرية وعندما فشل فى ذلك استخدم الحيلة والمكر للاستيلاء على المدينة حيث استدعى الملك كاكيـــك الى القسطنطينية متظاهرا له بالصداقة ، وهناك أرغمـــه الامبراطور على التنازل عن مدينة آنى التى سلمت للبيزنطيين فى عام ١٠٤٥ م ومنـــح كاكيك بدلا منها مدينة بيـــزو التى تقع شرق مدينـــة قيصرية فى قبادوقيـــا[٢] •

---

(1) Michel Le Syrien : p. 133, t. 3.
Aslan, K. : Histoire sur le peuple Armenien, pp. 321 - 22.

(2) Tournebize. F. : Histoire politique et religieuse p. 128.
Morgan : Histoire de Peuple Armenien, p. 151.
أنطون خانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢٠٣ .
أستارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ص ١٩٤ـــ١٩٥ .

وبعد سقوط آنى بقليل سلم كاكيك أمير قرس Kars مملكته للامبراطور البيزنطى وأخذ بدلا منها مساحات واسـعة فى منطقتين بسبب علاقته الطيبة ببلاط القسطنطينية ، فقد خصصت له أماسيا Amasia وكومانا Comana فى منطقة البحر الأسود كما خصصت له لارسا Larissa واكسواتانك Xawatanek وكامنداوا Camndow وقيصرية وجميع هذه المنح تقع فى منطقة قبادوقيا ، وكانت أماسيا وكومانا جزء من ثغر الارمنياك الذى كان يسكنه عدد كبير من الأرمن(٣) .

بعد سقوط آنى عاصمة ارمينية فى أيدى البيزنطيين أصـبحت أرمينية جزءا من الامبراطورية البيزنطيـة . ونظرا لتعرض الأرمـن للاضطهاد وتدفق السلاجقة الى اقليم قبادوقيا فقد هاجر عدد كبير من الأرمن الى منطقة قيليقية التى استعادها البيزنطيون من المسلمين منذ منتصف القرن العاشر للميلاد وتمركز هؤلاء الأرمن فى الجهات المحيطة بملطية والرها وأنطاكية تلك المناطق التى لم يتجه اليها السلاجقة فى أول الأمر ، كما ازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعة ملاذكرد اذ ترك عدد كبير منهم موطنه الأصلى حول بحيرة فان Van فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى واستقروا فى جبال طوروس وسـفوح تلالها الجنوبية حيث كونوا عدة امارات هناك(٤) .

ولعب فيلاريتوس Philartus دورا هاما فى أرمينية الجديدة لأنه

---

(3) Dedeyan : L, immigration Armenienne Cappadoce, p. 83 - 85.
Macler. F. : La Nation Armenienne, pp. 21 - 22.
Tournebize. F. : Hist Politique et religieuse d, Armenie, pp. 128 - 129.

(4) Morgan : Histoire de peuple Armenien pp. 162 - 63.
Setton : A History of the Crusades p. 371, V. 1.
سعيد عبد الفتاح عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٩٧ — ٩٨ .
أستارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ص ١٩٧ — ١٩٨ .

كان محاربا قديرا ، فقد عهد اليه البيزنطيون عندما اجتاح السلاجقة الأراضى البيزنطية بالدفاع عن قيليقية ومنحوه سلطات واسعة لمقاومتهم، وقد عمل فيلاريتوس كقائد مع الامبراطور رومانوس الرابع ، وعندما هزم وأسر رومانوس فى ملاذكرد ، رفض فيلاريتوس الانصياع الى أوامر الامبراطور ميخائيل السابع واستقر فى مدينة مرعش ، كما استولى على مدينة ملطية من السلاجقة ، ومنذ ذلك الوقت أصبح الأرمن أسيادا على بعض المناطق فى أقليم قيليقية[٥] .

وكانت هناك مجموعة من أمراء الأرمن قد هاجروا طوعا واختيارا الى قيليقية ومن هؤلاء أوشين الذى أتى الى قيليقية فى عام ١٠٧٢ بالقرب من صديقه أبو الغريب الأرمنى الذى كان واليا على طرسوس والمصيصة من قبل البيزنطيين وقد أعطاه صديقه مدينة لامبرون Lampron ويعتبر أوشين مؤسس أسرة الهيثوميين الذين أصبحوا ملوكا على قيليقية فيما بعد[٦] .

ومجموعة أخرى من أمراء الأرمن استقروا فى قيليقية وتلك المجموعة هى بعض أفراد حاشية الملك الأرمنى كاكيك الثانى الذين أتوا معه الى المهجر فى قبادوقيا ، وكان عدد كبير من هؤلاء النبلاء يمت

---

(5) Michel Le Syrien : pp. 187 - 88, t. 3.
Grousset, R. : Hist des Croisades p. 41, t. 1.
Toumanoff. C. : Foundation of Lesser Armenia in Cam. Med. Hist., V. 4 p. 628.

سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٩٨ .

(6) Vaharam d, Edesse, Doc, Arm t. 1, p. 50.
Morgan, J. Hist. de Peuple Armeniens, pp. 161 - 62.
Tournebiz. F. : Hist Politique et religiuse, pp. 168 - 69.
Cartulaire de chanceller des Roupeniens, pp. 29 - 30.
Leurent. J. : Armeniens de cilicie dans Schlamberger melanges pp. 159 - 60.

بصلة القرابة لأسرة الباكر ادونيين[٧] ، وكان أحد هؤلاء الأمراء يسمى روبين Roupen الذى اعتبره بعض المؤرخين قريب الملك كاكيك الثانى وسليل أسرة الباكر ادونيين ، وعندما قتل كاكيك الثانى آخر ملـوك الأرمن فى المهجر عام ١٠٧٦ م هرب روبين مع بعض الأمـراء الى قيليقية[٨] .

رأى روبين بعد أن قتل الملك كاكيك أنه يجب تأسيس دولة جديدة للأرمن على أرض جديدة بدلا من دولتهم التى اختفت وتلاشـت . واستطاع أن يجمع حوله عددا كبيرا من أمراء الأرمن الذين حبـذوا فكرته ، واتخذ من قرية كوروموزول الجبلية قاعدة لعملياته الحربيـة ضد البيزنطيين ، وذلك فى عام ١٠٨٠ م واستطاع أن يضم للأرمن عدة قرى وقلاع ، وكان ساعده الأيمن كوغ[٩] باسيل[١٠] .

وعندما مات روبين الأول فى عام ١٠٩٥ م بعد أن استقرت الدولة الأرمينية الجديدة فى قيليقية ، جاء الى الحكم ابنه قسطنطين واستطاع

---

(٧) أسرة الباكر ادونين كانت الأسرة الرئيسية التى تحـكم بلاد الأرمن .

(8) Hethoum Comte de Gorigos : Doc, Arm, p. 471, t. 1.
Guiragos de Kantzag : Hist. De Armenie, p. 415.
Doc, Arm, t. 1 p. 415.
Morgan. J. : Hist de peuple Armenien, pp. 161 - 62.
Tournebize. F. Hist. Politique et religiuse de L, Armenie, p. 168.
Adontz. N. : Notes armeno Byzantines, pp. 186 - 87.

(٩) كوغ باسيل تعنى السارق وسمى بهذا الاسم لأنه استطاع الاستيلاء على عدة حصون فى آسيا الصغرى وضمها الى أملاك الأرمن . ابن الشحنة الدر المنتخب ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(10) Mecler, Armenia, in Cam. Med. Hist., p. 168, V. IV.
Dulaurier : p. 112, Doc, Arm, t. 1.
Taurnebize. F. : op. cit., pp. 168.
انطون خانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢١٥ .

أن يستولى على جزء كبير من قيليقية وأول قلعة استولى عليهـا من البيزنطيين هى قلعة فاهجة Vahka وقبل نهاية النصف الأول من القرن الثانى عشر استطاع الأرمن السيطرة على منطقة قيليقية(١١) ، وأسسوا حكومة أرمينية فى أراضى الامبراطورية البيزنطيـة وبذلك انتقموا من البيزنطيين الذين أرادوا محو القومية الأرمينية(١٢) .

وبالرغم من الضغط الذى تعرض له الأرمن فى منطقة قبادوقيا من البيزنطيين وسلاجقة الروم فى القرن الحادى عشر الميلادى ، والذى ترتب عليه احياء الدولة الأرمينية فى قيليقية ، فان الشواهد تدل على أن هناك أعداد كبيرة من الأرمن ظلوا منتشرين فى آسيا الصـغرى خارج اقليم قيليقية(١٣) .

والراجح أن استيطان الأرمن فى أقليم قيادوقيا امتد جنوبا حتى هرقلة وأن هذه الحدود امتدت ما بين نيجد وقيصرية ، وأن الأرمن كانوا يمتلكون الأراضى التى تقع حول القلعة الكبيرة الحصينة التى كانت

---

(11) Sempad le Contable : Chroni que Doc., Arm. p. 610, t. 1.
Matthieu d, Edesse, pp. 47 - 48 Doc, Arm. t. 1.
Tournbize. F. : Hist politique et religiuse de, L, Armenie p. 169.
Morgan : Hist. de Peuple Armenien, p. 167 - 70.

(12) Dedeyan. G. : L, Immigration Armenienne en Cappadoce p. 144 - 16.
استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(١٣) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ — ٤٦ تعريب د. حسن حبشى .
Fuleher of Charters : in Making crusades, p. 63.
Nicephore Gregoras, Extrait dans, R. H. Grecs, p. 520, t. 1.
سعيد عبد الفتاح عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصـور الوسطى ص ٢٩٩ .
Dedeyan. G. : L, Immigration en cappadoce au XI e p. 78.

فى أملاك الأمير حسن[١٤] ، وهذه القلعة تقع فى الطريق ما بين هرقلة وقيصرية .

ويبدو أن استيطان الأرمن فى جنوب قيصرية امتد حتى نيجد ، أما فى الشمال فقد انتهت حدود الأرمن عند منطقة توكات Tokat [١٥] .

وكانت علاقة الدولة البيزنطية بالأرمن علاقة عداء على الرغم من الدور البارز الذى لعبه الأرمن فى تاريخ الامبراطورية سواء من الناحية العسكرية أو الناحية السياسية ، وقد تعاظم الدور العسكرى والسياسى للأرمن فى حياة الامبراطورية البيزنطية فى غضون القرنين العاشر والحادى عشر الميلادى ، فقدم الأرمن خيرة الجنود والضباط للخدمة فى الجيش ، كما وصل عرش الامبراطورية أباطرة ينتمون الى أصل أرمنى . وانتشر الأرمن فى القرن العاشر يعمرون المناطق التى فتحها البيزنطيون فى قبادقيا وقيليقية والشام[١٦] .

ومع أن الأرمن قدموا خدمات جليلة للامبراطورية البيزنطية الا أنه لم يحدث اندماج وترابط بين الجنسين ، ولم تستطع الامبراطورية أن تستوعب الأرمن ولم يحدث تآخى أو تآلف بين الأرمن والبيزنطيين على الاطلاق ، وظل البيزنطيون ينظرون الى الأرمن كأقلية بحذر شديد

---

(14) Anne Comnene : Alexiade p. 19, t. 3.
Robert Le moine Hist. occ t. 3 p. 768.
Baurdri Le Bourgueil : Hist. occ t. IV, p. 38.
Dedeyan, L. Immigration Armenienne en capadoce, p. 83 - 85.

(15) Pasdermjian. H. : Histoire d, Armenie, p. 188.
Dedeyan : op. cit., pp. 99 - 100.
Michel le Syrien pp. 194 - 95 t. 3.

(16) Charanis. p. Armenians and Creeks p. 25.
Pasdermadjian op. cit., p. 183 sq.

وعلى أنهم عنصر أجنبى قد يمثلون خطورة على الامبراطورية وقــته الشدة ، نظرا لمكرهم وخداعهم • وقد أمعن البيزنطيون فى احتقــار الأرمن واضطر كاكيك الثانى آخر ملوك الأرمن فى المهجر أن يقتل رئيس أساقفة قيصرية فى أقليم قبادوقيا لأنه سمى كلبه أرمن وصار يدعوه بهذا الاسم احتقارا لجنس الأرمن ، وكانت النتيجة أن قتل البيزنطيون كاكيك الثانى فيما بعد(١٧) •

والعداوة بين الأرمن والبيزنطين امتازت بأنها لا تعرف الصفح أو المهادنة(١٨) ، تلك العداوة التى كان لها نتائج خطــيرة ومدمرة لكلا الطرفين ، بسبب موقف الأرمن فى المحنة التى تعرضت لها الامبراطورية البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى ، فهجرة الأرمن من وطنهم الأصلى سهل مهمة السلاجقة فى الاستيلاء على ذلك الوطن ، ثم وجودهم فى المناطق الجديدة ساعد على حدوث توتر وأضعف مركز الامبراطورية الدفاعى •

وتدهورت العلاقة بين الأرمن والبيزنطيين بشكل خطير ، ذلك فأنه فضلا عن العداوة التقليدية بين الطرفين ، وسخط الأرمن لطــردهم من وطنهم ، فقد قام البيزنطيون باضطهاد الأرمن بسبب اختلاف المذهب الدينى فقد اعتنق الأرمن المذهب المونوفيزاتى (١٩) ، فى حــين كان البيزنطيون يعتنقون مذهب الطبيعتين •

---

(17) Charanis. p. Armenians and Greeks in The Byzantine empire p. 29 in Armenien review Morgan J. : Hist de peuple Armenian p. 153.

أنطون خانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢١١ •

(18) Jacques de Vitry : History of Jerusalem, p. 81.
Fabri Felix : The Book of Wandring, p. 437.

(١٩) انظر التفاصيل عن مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزتى) الذى كان يعتنقه الأرمن والسوريان ورعايا الامبراطورية فى مصر والشام وقرارات المجاميع المسكونية نيقية فى عام ٣٢٥ م ، والقسطنطينية فى عام ٣٨١ م ،
=

وأصبح الأرمن يتعرضون من وقت لآخر لضغط الكنيسة البيزنطية لحملهم على الاعتراف بمذهب الطبيعتين ، وباتوا يعانون من الاضطهاد الشديد مثل ما كان المسيحيون يعانون من اضطهاد الوثنيين فى الماضى[٢٠] . الأمر الذى دفع كثيرا من الأرمن للتعاون مع السلاجقة وقد ظهر ذلك بوضوح فى معركة ملاذكرد . وكان السكان من الأرمن ينهبون كما كان السلاجقة ينهبون تماما[٢١] .

استمرت العداوة بين الطرفين بعد قيام أرمينية الجديدة ولم تقتصر تلك العداوة على أسرة روبين التى أعلنت موقفها منذ اللحظة الأولى تجاه الدولة البيزنطية ، بل شملت تلك الدويلات التى أقامها أمراء الأرمن فى منطقة طوروس وقيليقية تحت حماية الامبراطورية ، فقد كانت تابعة للبيزنطيين من الناحية الاسمية فقط ، وقد كان تشجيع الامبراطورية البيزنطية لهذا النوع من الدويلات شبه المستقل ، يرمى لحماية حدودها مع السلاجقة[٢٢] .

وتظاهر أمراء الأرمن الذين سبقوا روبين الى أرمينية الجديدة بالخضوع والتبعية للسيادة البيزنطية لأنهم كانوا فى مناطق قريبة من المسلمين ، ولم يكن لهم القدرة للانفصال عن الدولة البيزنطية

أفسوس ٤٣١ م ، وخلقدونية ٤٥١ م ومذهب الطبيعتين الذى كان يعتنقه البيزنطيون الأرثوذكس . فى الخطاب المطول الذى رد فيه كاتجيك Katchik كاثوليكوس الأرمن على رئيس أساقفة سيواس وخطاب بطرك القسطنطينية الذى رد فيه على تساؤل زكريا كاثوليكوس الأرمن لماذا عقد مجمع خلقدونية ؟

Asolik de Taron : Histoire Universelle, p. 76 sq.
Vardam : La Domination Armenie, p. 128 - 38.

(20) Michel le Syrien, p. 173 -, t. 3.

(21) Ibid p. 166.

(22) Tournebize F. : Histoire politique et religiuse de L, Armenie p. 169.
Pasdermadjain Histoire de 1. Armenie p. 198.

صراحة ، وقد اختلف الوضع بالنسبة لأسرة روبين التى كانت تمثل الأسرة الحاكمة فى أرمينية القديمة وأصرت على الانتقام من البيزنطيين فضلا عن أن مؤسس هذه الأسرة اختار منطقة حصينة بعيدة نسبيا عن خطر المسلمين .

وأسرة روبنيان Roupeniens التى تعتبر المؤسس الحقيقى لأرمينية المستقلة فى قيليقية ، لم تنس الأخذ بثأر الملك كاكيك الباكر ادونى الذى قتل بيد الأخوين مانداليان فى قلعة كزيسترا حتى يثبتوا أنهم الورثة الشرعيون للملك كاكيك الثانى آخر ملوك الأرمن وأيضا ليذكروا البيزنطيين بأنهم لن ينسوا ما فعلوه بهم فى الماضى ، فقام الأمير توروس بحصار قلعة كزيسترا وتمكن من هزيمة البيزنطيين ودخول القلعة عن طريق خدعة حربية ، وبمجرد أن احتل القلعة طلب من أمراء القلعة الثلاثة أولاد مانداليان رداء سيف الملك القتيل كاكيك واستولى الأرمن على القلعة بعد أن مات اثنان من أولاد مانداليان وأسر الثالث(٢٣) .

استقبل ليون الأرمنى فى عام ١١٣٢ م اسحاق كومنين أخو الامبراطور حنا كومنين الذى فر من القسطنطينية بعد فشل مؤامرته ضد الامبراطور حنا ، وأراد ليون بذلك تشجيع الثورة على السلطة الشرعية فى بيزنطة حتى تنهار الدولة ، غير أن الاتفاق بين اسحاق كومنين وليون الأرمنى لم يستمر طويلا فبعد أن تزوج ابن اسحاق كومنين من ابنة ليون الأرمنى على أن تمنح مدينتى المصيصة وأذنة صداق لها وأن تحكم المدينتين مع زوجها ، حدث خلاف بين ليون واسحاق كومنين فاستعاد ليون المدينتين المذكورتين من البيزنطيين ،

---

(23) Macler : Armenia : The Cambridge, Med. Hist. p. 169.
استارجيان : تاريخ الامة الأرمينية ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .
انطون خانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢١٧ — ٢١٨ .

واضطر اسحاق أن يهرب مع ابنه الى السلطان مسعود السلجوقى[٢٤].

كان وصول الصليبيين الى الشرق الأدنى فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد فرصة سانحة للأرمن استغلوها خير استغلال لتوطيد نفوذهم فى قيليقية ، فقد كان الأرمن فى حاجة ماسة الى قوى كبرى تساندهم ليس فقط ضد السلاجقة الفاتحين ، وانما أيضا لتصفية النفوذ البيزنطى فى قيليقية وطنهم الجديد . لذلك فان الأرمن بذلوا كل جهد لانجاح الحملة الصليبية الأولى ، فكان للأرمن والصليبيين هدف مشترك ، اتفقا على تحقيقه على حساب الامبراطورية البيزنطية ، فالأرمن يريدون الاستقرار والأمان فى أراضى الدولة البيزنطية ، والصليبيون يرغبون فى الاستيلاء على أراضى تعتبرها بيزنطة جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية ، ومن هنا توثقت عرى الصداقة بين الطرفين فى البداية .

ورغم أن موقف الأرمن من الصليبيين لم يكن ثابتا فتارة صداقة وتارة عداوة الا أن الأرمن والصليبيين كانوا يتحدون على الفور عند ظهور الخطر سواء من قبل البيزنطيون أو المسلمين . ومن ذلك فاننا نرى دواما قوات الأرمن شاركت أمراء أنطاكية والرها معاركهم ضد المسلمين وقد ساعد توروس الأول روجر أمير أنطاكية بكل اخلاص ، وكان رفيقه فى السلاح ، ويرجع الفضل فى استيلاء روجر على عزاز من المسلمين الى القوات الأرمينية التى كان يقودها كلا من الأميرين توروس وليون وقد أصبح ليون مشهورا لدى الصليبيين منذ تلك المعركة ، وتعلق به روجر وقربه اليه[٢٥] .

---

(24) Michel Le Syrien, p. 231, t. 3.
Bar Hebraeus : The Chronography, p. 255, V. 1.

(25) Mathieu d, Edesse : Doc, Arm, p. 121 - 22 t. 1.
Vahram d, Edesse Chronique Remée, pp. 498 - 99, Doc, Arm. t. 1.
Rey, E. : Les Colonies Franques de Syrien, p. 84.

أسر الأمير بلك فى عام ١١٢٣ م بلدوين ملك بيت المقدس ، ثم أسر جوسلين كورتيناى أمير الرها وغاليران ، ووضع الثلاثة فى أحد الكهوف بحصن زياد ، وعندما علم الأرمن الذين يعملون هناك قرروا تخليص بلدوين ورفاقه من الأسر لأنهم كانوا يعرفون أن عدد الحراس قليل ، وتجمع عدد من الأرمن عند بوابة الحصن بحجة أنهم يتذمرون من عدم رفع الأجور المستحقة لهم ، ثم وثبوا فجأة على الحراس ، واستولوا على السلاح الذى كان هناك ، وقتلوا الحراس ثم اتجهوا الى الكهف وخلصوا بلدوين وجوسلين وغاليران من الأسر واستولى الأرمن على حصن زياد(٢٦) ، غير أن بلك أسرع وحاصر الحصن من كل الجهات وتمكن جوسلين وغاليران من الهرب ووصلا الى بيت المقدس(٢٧) .

أصبح الموقف خطيرا للغاية بين الأرمن ونورمان أنطاكية فعلى الرغم مما حدث من اختلاط وترابط بين الطرفين عن طريق الزواج(٢٨) ،

---

(٢٦) اختلفت رواية المؤرخ المجهول بعض الشىء عن رواية أبو الفرج وأيضا عن وليم الصورى ، فقد ذكر المؤرخ المجهول بأن عشرين جنديا أرمينيا من الجهات المجاورة لحصن زياد ، أتوا الى الحصن كجنود فقراء فى ملابس قرويين يحمل عشرة منهم الفواكه والطيور ، وتظاهروا بأنهم حضروا لتقديم شكوى للمسئولين ضد المشرف على الاقطاعة ، وذهب عشرة منهم الى حارس البوابة وأخبروه بسبب حضورهم . أما الباقون أنتظروا فى الخارج لحين وصول اشارة من زملائهم ، وقد سمح الحارس للعشرة الذين يحملون الفواكه والطيور بالانتظار بين البوابات لحين اخطار رئيس الحصن ، وقد تمكن الأرمن فى غفلة من الحراس أن يسطوا على السلاح المعلق بين البوابات ، وأن يقتلوا الحراس بعد أن أنضم اليهم زملاؤهم الآخرون وتمكنوا من اخراج بلدوين وزملائه من السجن . أما وليم الصورى فقد ذكر أن خمسين أرمينيا حضروا من الجهات المجاورة فى ملابس الرهبان وأخفوا السلاح فى ملابسهم بحجة زيارة بعض الأديرة هناك واستطاعوا تخليص بلدوين وجوسلين وغاليران .

(27) Bar Hebraeus : The Chronography, p. 251, V. 1.
Anonymous : The First and second crusades p. 91 - 93.

(28) William of Tyre : A Hist. of deeds done beyond the sea, pp. 541 - 42, V. 2.

وتأثر الأرمن بالحضارة الأوروبية ونقلوا نظام الاقطاع عن الصليبيين وقلدوهم فى كل شىء حتى الطقوس والاحتفالات الغربية ، الا أن العداء المتبادل بين الطرفين أصبح سافرا منذ تولى ليون الأول مقاليد الحكم فى قيليقية ، لذلك أخذ بوهيمند يستعد لغزو قيليقية(٢٩) •

حدثت لقطيعة بين بوهيمند الثانى والروبنيين فى قيليقية العليا، فى وقت بالغ الخطورة بالنسبة للطرفين ، فقد كان حنا كومنين يراقب الموقف عن كثب ، وينتظر الوقت المناسب للانقضاض على الطرفين ، ويبدو أن سبب هذه القطيعة أن الأرمن بعد كارثة عام ١١١٩ م بدأوا يوسعون حدودهم ويسيطرون على قيليقية ، وقد شعروا بأنهم أنداد للنورمان فى أنطاكية ، وهذا الأمر قد أثار مخاوف بوهميند ، وقد أشار المؤرخ المجهول الى ذلك بقوله أن بوهميند استعد لغزو قيليقية لأنه كان يعانى من الروبنيين(٣٠) •

وفى عام ١١٣٠ م فان بوهيمند فور عودته من دمشق غزا قيليقية لوضع حدا للنزاع الذى نشب بينه وبين ليون الأرمنى وقد كان ليون من الشخصيات القوية امتاز بالبسالة والاقدام ، وقد ذاع صيته قبل أن يصل الى الحكم وأظهر شجاعة كانت رمزا لاسمه ، لأن كلمة ليون تعنى بالأرمينية اريوس وتعنى أسدا(٣١) • وكان ليون قد قام بنهب

---

(٢٩) انظر التفاصيل عن الزيجات التى حدثت بين الأرمن والصليبيين فى الشرق •

Doc. Arm, t. 1 : Introduction, pp. 50 - 51.
Anonymous : op. cit., pp. 98 - 99.
Rey. E. : Les colonies Franques de syrie, p. 85.

سعيد عبد الفتاح عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٢٣٥ — ٢٣٦ •

(30) Anonymous : The first and second crusades pp. 98 - 99.

(31) Guiragos de Kantzag : Histoire d, Armenie, p. 421, Doc, Arm. t. 1.
Bar Hebraeus : The Chronography, p. 255, V. 1.
Cahen. C. : La Syrie du Nord, pp. 348 - 49.

أراضى بنى دانشمند ولذلك ففى الوقت الذى بدأ فيه بوهيمند غزو قيليقية فان غازى الدانشمندى أيضا بدأ الزحف على قيليقية ، وكانت نتيجة ذلك أن سقط بوهيمند قتيلا على يد غازى الدانشمندى ، وعلى حد تعبير أوردريق (ذلك أنه نشبت فيما بين المسيحيين أى بوهيمند وليون الأرمنى بعض الخلافات فأدى التسرع الوخيم العاقبة الى مجزرة فى صفوف المؤمنين ابتهج لها الكفرة)[٣٢] •

وهكذا فان النزاع بين الأرمن والصليبيين أدى خدمة جليلة للبيزنطيين لأن نورمان أنطاكية ماكادوا يفيقون من كارثة عام ١١١٩ م حتى وقعوا مرة أخرى فى مأساة جديدة ، لأن قتل بوهيمند أدى الى اضطراب الأوضاع فى أنطاكية[٣٣] ، وقد كان له تأثير بعيد المدى على نورمان أنطاكية ، لأنه أثار مشكلات الوراثة بشكل خطير لعدم وجود وريث من الذكور ، وترتب على ذلك أن وصل الى حكم أنطاكية ريموند دى بواتيه فارس من الغرب فأحدث انشقاقا داخل صفوف الأنطاكيين أنفسهم ، ثم نشوب نزع بين أنطاكية وامارة الرها ، لأن جوسلين الثانى لم يرض عن وصول ريموند دى بواتيه الى الشرق ، وكان يعتبر نفسه أحق منه ، كما أدى ذلك الى انفجار الموقف بين الأرمن والانطاكيين ، وبذلك سنحت الفرصة للامبراطور حنا كومنين وخلا له الجو لتحقيق مآربه السياسية •

وما أن مات بوهيمند وارتبكت الأوضاع فى أنطاكية ، حتى بدأ ليون يسيطر على قيليقية ، ويبدو أنه استطاع حماية ظهره بالاتفاق مع غازى الدانشمندى عندما اجتاح قيليقية فى عام ١١٣١ م ، وتعهد له ليون بعدم غزو أراضى بنى دانشمند[٣٤] مستقبلا ، وفيما بين سنتى

(32) Ordic Vitalis : Historia Ecclesiastica, p. 831, t. 188.
(33) Loc. Cit.

(٣٤) بمجرد أن وصل ليون الأرمنى الى حكم الأرمن هاجم القوى الاسلامية المجاورة بعنف • أنظر :
Guigaros de Kantzag : Histoire d, Armenie, Doc, Arm, pp. 241 - 422, t. 1.

١١٣٢ — ١١٣٣ م استولى ليون على طرسوس وأذنة والمصيصة ، لذلك فقد أعلن نورمان أنطاكية الحرب على الأرمن دون تريث أو حساب للعواقب الوخيمة التى تترتب على ذلك ، فقاموا بهجوم مضاد لنهب وسلب الأراضى الأرمينية ، فرد ، الأرمن بهجوم مضاد فى عام ١١٣٣م غزوا فيه أراضى مسار وخربوها(٣٥) .

دخلت الحرب فى دور خطير بين الأرمن ونورمان أنطاكية ، عندما استولى ليون الأرمنى على ساروفانتيكار Sarovanticar فى عام ١١٣٥ م وأخضع بلدوين Baudouin أمير مرعش Marasch لذلك كان أول عمل قام به ريموند دى بواتيه عندما وصل الى حكم أنطاكية هو اعداد حملة لاسترداد قيليقية ، بعد أن حصل على موافقة الملك فولك ، وسار بقواته مع بلدوين صاحب مرعش ، ورفض جوسلين الثانى الاشتراك معهما ، اما بدافع من الحقد ضد أهالى أنطاكية ، واما بشعور الانتماء الى الأرمن من جهة أمه ، واستطاع ليون أن يصد القوات الصليبية وأن يهزم صاحب مرعش بفضل مساندة جوسلين الثانى(٣٦) .

اتفق ريموند دى بواتيه مع بلدوين صاحب مرعش على خطة للتغلب على ليون الأرمنى ، بأن قام الأخير بدعوة ليون لكى يقوما سويا بزيارة شخصية لريموند دى بواتيه ، وعندما وصل ليون عند

---

(35) Sempad : Histoire de la petite Armenie, pp. 615 - 616, t. 1.
Anonymous : The D first and second crusades, p. 275.
Cinnamous : Epitome Historiarum in Corpus p. 16.

(36) Sempad : Histoire de la pitite Armenie, pp. 615 - 16, Doc. Arm.
Anonymous : The first and second Crusades, p. 275.

أمير أنطاكية أمر بالقبض عليه ، وسجنه لمدة شهرين[٣٧] . وقد استفاد المسلمون من سجن ليون حيث أغاروا على قيليقية وأسروا عددا كبير من المسيحيين[٣٨] . وقد اضطر ليون أن يوافق على التنازل عن مدينتى أذنة Adana والمصيصة Mamestia ، وأن يدفع ستين ألف دينار ثمنا لاطلاق سراحه ، وقد سلم أحد أبنائه كرهينة لتنفيذ ذلك[٣٩] .

وعندما خرج ليون من السجن وعاد الى قيليقية رفض تنفيذ تلك الشروط ، وغزا المدن التى سبق ن تنازل عنها ، وهزم نورمان أنطاكية لدرجة أنهم اضطروا أن يستعينوا بالملك ، ولكن استخدام القوة ضد ليون لم يفد النورمان ، لذلك أطلقوا سراح ابنه وهو بالتالى أطلق سراح رهائن النورمان وقد لجأ ريموند الى جوسلين الثانى يطلب وساطته[٤٠] . ويذكر المؤرخ كيناموس أن سبب اطلاق سراح ليون كان المقصود منه كسب ليون الى جانب نورمان أنطاكية والتحالف معه ضد الامبراطور جنا كومنين « فكروا فى أن يجذبوا ليون الأرمنى الى جانبهم فأخرجوه من السجن الذى كانوا قد أودعوه فيه ، وأعطوه الحرية بشرط أن يكون حليفهم فى المستقبل ويحارب الرومان الى جانبهم »[٤١] .

وبعد هذه الأحداث بقليل وصل حنا كومنين الى سهل قيليقية[٤٢] . وفى الحقيقة فان مطالبة نورمان أنطاكية بقليقية لا ترتكز على سند

---

(37) Gregoire le pretre p. 152, t. 1.
Sempad : op. cit., p. 616.
Anonymous. op. cit., p. 275.
العظيمى : تاريخ العظيمى نشره كاهن ص ٤١٠ — ٤١١ .

(38) Sempad : op. cit., p. 616.

(39) Sempad : Histoire de la Potite Armenie pp. 616 - 17 Doc, Arm, t. 1.

(40) Gregoire Le Pretre, p. 152, Doc, Arm, t. 1.

(41) Cinnamous : Epitome Historiarum in Corpus, pp. 116 - 117.

(٤٢) انظر فيما يلى ص ٢٤٨ .

قانونى ، وأن شهادة أنا كومنين حاسمة فى هذه النقطة ، فالنص الذى ورد فى معاهدة عام ١١٠٨ م والتى أبرمت بين الكسيوس كومنين وبوهيمند ، واضح فى منع نورمان وأنطاكية من التدخل فى شئون قيليقية(٤٣) .

وهكذا فقد وقف الأرمن بجانب الصليبيين كحليف مخلص وأمين يهدف أن يكون الصليبيون تلك القوة الجديدة فى الشرق سندا لدولتهم الجديدة فى قيليقية ضد المسلمين والبيزنطيين ، ولكن خاب أملهم لأن الصليبيين عملوا بكل الطرق للسيطرة عليهم واخضاعهم للنفوذ الصليبى .

لم يرض الامبراطور حنا كومنين بسهولة على فقد قيليقية وخاصة بعد أن أدى تأسيس الدويلات الصليبية فى بلاد الشام الى توطيد وتدعيم دولة الأرمن ، وكان من الضرورى اعادة قيليقية لتأمين حدود الامبراطورية ولفرض السيادة البيزنطية على القوى الصليبية فى بلاد الشام ، فالامبراطور حنا كومنين وجد الفرصة سانحة ، للانتقام من الأرمن ، لأن بيزنطة لم تنس أن الأرمن استولوا على جزء كبير من قيليقية ، لهذا أعد حنا كومنين حملته على قيليقية للانتقام وخاصة من ليون الأرمنى الذى استولى على عدة مدن بيزنطية وهدد سلوقية أيضا(٤٤) .

---

(43) Anna Comnena : The Alexiad, p. 354.

(٤٤) تعتبر أذنه والمصيصة وطرسوس من المدن الأرمينية الهامة ولعبت دورا كبيرا فى التاريخ الحربى بين المسلمين والبيزنطيين وتقع الأولى على الشاطىء الأيمن لنهر سيحان ، وتقع الثانية على الجانب الغربى من نهر جيحان وتقع الثالثة قرب مصب البردان فى البحر الأبيض المتوسط .

انظر التفاصيل عن تاريخ واهمية هذه المدن . ابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٣٥ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٣٧ ٥٦٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠ — ١٨٧ ، فتحى عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

أعد الامبراطور حنا كومنين لهذه الحملة جيشا لم يسبق له مثيل فى عصره ، واتخذ طريقه الى قيليقية مارا بيثنيا Bithynie فليديا Lydie ثم اللاذقية Laodicee ثم بامفيليا Pamphylie محاذيا لشاطىء البحر حتى سلوقية ، وقد ظهر الامبراطور حنا كومنين فى ربيع عام ١١٣٧ م فجأة أمام سهل قيليقية واستطاع حنا كومنين الاستيلاء على طرسوس Tarse وأذنه Adana والمصيصة Mamestia دون أن يقابل صعوبة تذكر(٤٥) .

استيلاء حنا كومنين على ثلاث مدن فى سهل قيليقية دون أن يقابل مقاومة تذكر يبين لنا بأن أمراء الأرمن نقلوا خلافاتهم ومنازعاتهم الى الدولة الجديدة تلك الخلافات التى كانت من الأسباب التى ضيعت وطنهم الأم ، فالأرمن ظلوا فى قيليقية أيضا يفتقرون الى الوحدة السياسية ، فالأميرليون واجه القوات البيزنطية منفردا ولم يمد له كبار الاقطاعيين يد المساعدة فى أثناء محنته .

تركزت مقاومة ليون فى مدينة عين زربة Anazarbe التى كانت تعتبر عاصمة الملكه ، وكانت هذه المدينة كثيرة السكان ذات أسوار ضخمة تقع على قمة صخرية منيعة ، وكانت حاميتها متمرسة على الأعمال الحربية . وقد وضع الامبراطور حنا كومنين آلاته الحربية أمام أسوار المدينة ، وأخذ يقذفها بالمجانيق ، غير أنه واجه مقاومة عنيفة من الأرمن

(45) Gregoire Le pretre, p. 153, t. 1. Doc, Arm.
Nicetas Ch. : Historia in Corpus, pp. 29 - 30.
Michel Le Syrien, p. 245, t. 3.
William of Tyre Hist. of deeds, p. 84, V. 11.
Anonymous : The first and second crusades p. 276.
Bar Hebraeus : The Chronography, p. 264, V. 1.
Grausset, R. : Hist. des Croisades, p. 86, t. 11.
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١ص ٣٥٨ .
العينى : عقد الجمان ، القسم الأول جـ ١٢ لوحة ٩١ .

الذين تمكنوا من حرق المجانيق لدرجة أن الامبراطور فكر فى الانسحاب، غير أن أبنه اسحاق أنقذ الموقف ، واقترح عليه أن يطلى الجزء الخشبى من المجانيق بالطين ولذلك أصبحت لا تتأثر بالكتل النارية التى كان يرميها بها الأرمن(٤٦) .

وبعد أن أصبحت المجانيق لا تتأثر بقذائف الأرمن ، تمكن الامبراطور حنا كومنين من فتح عدة ثغرات فى أسوار المدينة ، وأصبح الدخول منها سهلا . وعندما دخل الجيش البيزنطى مدينة عين زربة تعرض لمقاومة شعبية عنيفة اشتركت فيها النساء والفتيات من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت ، فكانت النساء يحرقن أمتعة البيوت بالزيت والقطران ويقذفن بها على الجنود المارين بشوارع المدينة الأمر الذى أدى الى قتل عدد كبير م نأفراد الجيش البيزنطى ، وقد سقطت المدينة فى أيدى البيزنطيين بعد مقاومة استمرت سبعة وثلاثين يوما وذلك فى شهر يوليو ١١٣٧ م(٤٧) .

سار حنا كومنين بعد ذلك للاستيلاء على قلعة فاهكة ونتيجة لتفكك أمراء الأرمن ، فقد ليون الأمل ، وانسحب الى منطقة جبال طوروس حول قلعة فاهكة وسيس ، وعهد الى القائد قنسطنطين Constantin

---

(46) Cinnamos : Epitome Historiarum in Corpus. pp. 17 - 18.
Nicetas, Ch. : Historia in Corpus, pp. 34 - 35.

(47) Loc. Cit.
Cinnamos : Epitome Historiarum(pp. 17 - 18, in Corpus, Gregoire le pretre, p. 152, Doc, Arm. t. 1.
Anonymous : The first and second crusades, p. 276.
Ephraemius : De Ioanne Comneo p. 166 in Corpus.

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٣٥٨ .
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ .
أنطون خانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢٢٠ .
استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ص ٢٠٩ .

أحد أقربائه بأمر الدفاع عن قلعة فاهكة التى كانت تقع على صخرة شديدة الانحدار محاطة بالصخور الضخمة ، ويبدو أن الامدادات العسكرية التى وصلت من أنطاكية والرها لمساعدة الأرمن جعلت المبراطور حنا كومنين يؤجل[٤٨] فتح القلعة وترك جزءا من قواته يحاصر القلعة ، وسار بالقوات الباقية الى مدينة أنطاكية ، وأراد حنا من ذلك أن يمزق الحلف الصليبى الأرمنى وقد اضطر الجيش اللاتينى أن ينسحب من القلعة ويتوجه الى أنطاكية للدفاع عنها[٤٩] .

بعد أن تم الاتفاق مع ريموند دى بواتيه فى أنطاكية ، عاد حنا كومنين مرة أخرى الى قيليقية لاستكمال فتح ما بقى فيها من قلاع وحصون ، وشتى بها ، وقد وقف الجيش البيزنطى أمام قلعة فاهكة

---

(٤٨) ذكر كيناموس أن الامبراطور حنا كومنين فتح عين ذربة ثم سار لفتح قلعة فاهكة ، غير أنه أجل فتحها وتوجه الى مدينة أنطاكية ، ثم عاد من أنطاكية ففتح القلعة . أما المؤرخ نيقيتا كونياتس فقد ذكر فتح قلعة فاهكة أولا ثم عين ذربة وما أورده كينا موس يبدو أنه هو الصحيح وقد اتفقت المصادر العربية مع كيناموس ، (وجرى بينه وبين صاحبها ريموند مصالحة ، ورحل عنها عائدا الى الدروب وافتتح ما بقى فى يد ابن ليون الأرمنى من الحصون وشتى بها) .

انظر ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ .

Cinnamos : Epitome Historiarum, pp. 17 - 18 in Corpus.

Nicetas Ch. : Historia pp. 34 - 35 in Corpus.

(49) Gregoire Le pretre, p. 152, doc, Arm, t. 1.
Cinnamos pp. 17 - 18, Anonymous : The first and second crusades, 276.
Ephraemius : De Ioanne Comneno, p. 166, in Corpus.
Grousset, R. : L, empire du Levant, p. 432.
Tournebize F. Histoire Politique et religeuse de L, Armenie p. 174.

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ص ٣٥٨ جـ ٨ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ . أنطون خانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢٢ ، استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

طويلا حيث لاقى مقاومة عنيفة للغاية(٥٠) ومع أن الامبراطور أحاط الحصن بكل ما لديه من قوات ، وأخذ يوجه الى المحاصرين الوعود اذا استسلموا ، ويهددهم بالفناء فى حالة المقاومة ، الا أن الحامية أصرت على القتال .

كانت صلابة المقاومة الأرمينية وثقة المدافعين بأنفسهم مثلا نادرا فقد كان قائد الحصن قنسطنطين يطل بسلاحه من أعلى الأسوار ويوجه الشتائم الى الامبراطور البيزنطى وأسرته باللغة اليونانية ، الأمر الذى أثار غضب الامبراطور حنا كومنين ، وأصر على أن يقبض عليه ويعاقبه ، وانتهز حنا كومنين طلب قنسطنطين الدخول فى مبارزة فردية مع أحد القادة فاختار الامبراطور يوستاراتيوس Eustaratius المقدونى (فأمر الامبراطور أن يبحث عن جندى قوى ليواجه الأرمنى فجاء يوستاراتيوس وهو من الوحدة المقدونية)(٥١) .

تغلب المقدونى فى النهاية غير أن قنسطنطين الأرمنى استطاع أن يهرب ، وعاد يدافع عن القلعة بقوة (وأخيرا رفع ذراعيه وطعن قنسطنطين طعنة هائلة على خوذته فشقها الى نصفين ، فهتف البيزنطيون هتافا عظيما ، أما الأرمنى لما فقد خوذته لاذ بالفرار)(٥٢) وبعد أيام قليلة استولى حنا كومنين على القلعة بعد حصار استمر ستة أشهر ووقع القائد قنسطنطين فى الأسر وأرسل الى القسطنطينية لكنه تمكن من

---

(50) Cinnamos : Epitome Historiarum p. 20 in Corpus.
Cahen C. : La Syrie du Nord p. 260.

Runciman : History of the Crusades, p. 214 V. 11.

Grousset, R. : Histoire des Croisades, p. 87 t. 11.

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، لوحة ٩٣ جـ ٣ .

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٠ .

(51) Nicetas, Ch. : Historia, pp. 30 - 31, in Corpus Scriptorum.
(52) Ibid p. 32.

الهرب فى الطريق بعد أن قتل حراسه، غير أنه قبض عليه وأعيد الى الامبراطور[٥٣] .

أما الأمير ليون فقد أرسل اليه الامبراطور حنا كومنين جزءا من قواته تطارده فى الجبال ، وعندما نفدت ذخيرته استسلم وقبض عليه الامبراطور حنا كومنين وأرسله مع زوجته وولديه روبين وتورس Thoros الى سجن القسطنطينية[٥٤] فى عام ١١٣٧ م ، أما أبناء ليون الصغار اسطفان Stephane ومليح Mleh وقنسطنطين Constantin فكانوا فى أمان فى مدينة الرها بجوار جوسلين ابن عمتهم وبعد مرور سنة على سجن ليون Leon وأسرته أمر الامبراطور حنا باطلاق سراحهم فى القصر الامبراطورى ، وعندما مات روبين فى القسطنطينية خشى حنا كومنين من انتقام ليون[٥٥] ، لذلك أعاده مرة

---

(53) Nicetas, Ch. : op. cit., pp. 32 - 34.
Hell. N. : Undierte Texte aus des zeitd,
Kaisers Johannes Komnenos, in B. Z., t. V111 p. 57.

(٥٤) « يروى ابن العديم أن الامبراطور حنا قال للامير ليون الأرمنى : أنت بين الفرنج والأتراك لا يصلح لك المقام فسيره الى القسطنطينية » . انظر : ابن العديم زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٥٥) كان الامبراطور حنا كومنين يدعو الأمير ليون وولديه باستمرار على مائدته للتسلية ، وفى ذات يوم توجه الامبراطور حنا كومنين الى الحمام لقضاء الضرورة وتصادف وجود روبين ، وكان دائما يتقدم لخدمة الامبراطور وكان فى ذلك المكان حوض كبير مملوء بالماء الساخن فأخذه روبين ووضعه أمام الامبراطور حنا الذى أعجبته قوة روبين وقربه اليه أكثر ، غير أن ذلك أدى الى غيرة أفراد حاشية الامبراطور ، الذين أخذوا يدسون له ويديرون المؤامرات ، وخوفوا الامبراطور من قوته ، فاذعن الامبراطور الى وشاياتهم وأعرض عن روبين وأساء معاملته فمات لشدة حزنه .
انظـر :
Vahram d, Edesse, pp. 501 - 502 Doc, Arm, t. 1.
انطون خانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢٢٢ .

أخرى الى السجن حيث مات كمدا فى عام ١١٤٢ م[٥٦] أما توروس فقد نال رضا حاشية الامبراطور حنا كومنين فى بلاط القسطنطينية وعندما مات حنا كومنين فى عام ١١٤٣ م ووصل الى العرش مانويل الأول أخرجه من السجن وقربه اليه ، وفى أثناء ذلك استطاع توروس الهرب من القنسطنطينية والوصول الى قيليقية حيث أعاد تأسيس الدولة الأرمينية[٥٧] .

هناك من ألقى اللوم على الأمير ليون واعتبره مقصر فى حق أمته لأنه هرب الى جبال طوروس ولم يدافع عن وطنه حتى الموت لكى يمنع حنا كومنين أن يلحق بالأرمن خسائر جسيمة[٥٨] ، وفى الواقع فان ليون الأرمنى دافع عن وطنه على قدر استطاعته ، ودخل المعركة دون أن يقدم له الاقطاعيون أية مساعدات ، وكانت القوة البيزنطية أكبر من قدراته الدفاعية بكثير ، ويبدو أن ليون عندما لجأ الى الجبال المحيطة بقلعة فاهكة كان يحاول تجميع قوات أخرى وقد ترك قسطنطين للدفاع عن قلعة فاهكة وهو قائد كفء ، يكفى أن الامبراطور حنا كومنين لم يستطع الاستيلاء على قلعة فاهكة الا عن طريق حيلة حربية[٥٩] . وهذا دليل على الاستماتة فى الدفاع .

بعد استيلاء حنا كومنين على الاسكندرونة تلك المدينة القديمة التى بناها الاسكندر الأكبر على ساحل البحر الأبيض المتوسط شرقى

---

(56) Gregoire Le Pretre, p. 152, Doc, Arm., t. 1.
Vahram d, Edesse : op. cit., p. 152 t. 1.
Michel Le Syrien, p. 245, t. 3.

(57) Gregoire Le Pretre, p. 152, Doc, Arm, t. 1.
Michel Le Syrien p. 245, t. 3.

(٥٨) انطون عانجى : مختصر تواريخ الأرمن ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(59) Ephraemius : De Ioanne Comneno p. 166, in Corpus.

مدينة أنطاكية قام بتعميرها[٦٠] • ويبدو أنه نقل اليها بعض الأسرى الأرمن ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قيليقية ولاية من ولايات الامبراطورية البيزنطية ، وظلت كذلك حتى وفاة حنا كومنين •

---

(٦٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ •

Grousset, R. : Histoire des Croisades, p. 88 t. 2.

انظر التفاصيل أيضا عن أهمية اسكندرونة فى :

— ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٧ •

— ياقوت معجم البلدان جـ ١ ص ٢٣٤ ، ٢٠٣ •

— الادريسى : نزهة المشتاق جـ ٦ ص ٦٤٦ — ٦٤٧ •

الخاتمة

وبعد ، فقد ركز الامبراطور حنا كومنين تركيزا كاملا على اعادة النفوذ البيزنطى فى آسيا الصغرى وبلاد الشام ، وحتى يتفرغ حنا كومنين تماما للشرق فقد قام بعقد اتفاقيات سلام مع الغرب لكى يضمن حماية ظهره ، فأشاع السلم فى الغرب استعدادا لاستخدام القوة فى الشرق •

عمل حنا كومنين على اضعاف القوى الاسلامية فى آسيا الصغرى بالقدر الذى يمكنه من الوصول الى بلاد الشام ، وكان يراقب الموقف من بعيد فى أنطاكية ، محاولا اثارة الفتن والاضطرابات عن طريق جواسيسه وأتباعه ، ومشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس وأنطاكية، وما صاحبها من صراع وفتن داخلية ، مهدت الطريق للامبراطور حنا كومنين لكى يتدخل فى شئون الصليبيين ، ويحاول فرض السيادة البيزنطية على نورمان أنطاكية ومملكة بيت المقدس ، ويحقق ما عجز عن تحقيقه والده الكسيوس •

لجأ الامبراطور حنا فى البداية لحل المشكلة النورماندية فى انطاكية سلميا ، غير أن نورمان أنطاكية لم يستجيبوا الى ذلك وقرروا تزويج الأميرة كونستانس الوريثة الشرعية لمدينة أنطاكية من ريموند دى بواتيه دون أخذ رأى الامبراطور البيزنطى ، وعندما سمع حنا كومنين بذلك قرر استخدام القوة ضد نورمان أنطاكية ، وقد تمخضت حملة حنا كومنين الأولى على بلاد الشام عن تكوين الحلف الصليبى البيزنطى الفرنجى فى عام ١١٣٧ م ضد مسلمى الشام ، وقد فشل الحلف عند أول اختبار عملى له أمام أسوار شيزر عام ١١٣٨ م ، لعدم

تعاون الصليبيين مع حنا كومنين ، وبسبب الحرب النفسية التى شنها عماد الدين زنكى على الحلفاء والمقاومة العنيفة التى أبداها الأهالى • وعندما دخل الامبراطور البيزنطى مدينة أنطاكية دخول المنتصرين اضطر أن يغادرها بسبب الثورة الشعبية التى قامت ضده فى المدينة •

وهكذا عاد حنا الى القسطنطينية دون أن يحقق الهدف المنشود ، وكان فى امكان الامبراطور البيزنطى أن يوجه ضربة قاضية الى نورمان أنطاكية ، لكنه خشى أن يستفحل خطر الزنكيين فى بلاد الشام • كما أن وجود حنا كومنين فى ذلك الوقت ببلاد الشام منع عماد الدين زنكى من ايقاع كارثة بالجيوش الصليبية عند بعرين •

عاد الامبراطور حنا كومنين الى القسطنطينية وهو غير راض بالسيادة الأسمية على مدينة أنطاكية ، وأخذ يعد العدة للعودة مرة أخرى الى بلاد الشام للثأر والانتقام من القوى الطليبية • وأسرع بقواته فى عام ١١٤٢ م الى بلاد الشام ، وطالب نورمان أنطاكية بتسليمه قلعة المدينة لمباشرة عملياته الحربية ضد مسلمى الشام تنفيذا لاتفاقية عام ١١٣٧ م، غير أن نورمان أنطاكية رفضوا تسليمه القلعة واعتبروا اتفاق ريموند مع حنا كومنين فى عام ١١٣٧ م غير قانونى •

أجل الامبراطور استخدام القوة ضد مدينة أنطاكية بسبب حلول فصل الشتاء ، وتحول الى مملكة بيت المقدس ، وكتب يطلب من فولك السماح له بزيارة بيت المقدس بكامل قواته العسكرية ، ولكن فولك اعتذر بلباقة عن عدم امكانية استقبال تلك الجيوش الضخمة ، وعرض على الامبراطور أن يدخل بقوة صغيرة ، ورفض حنا كومنين ذلك العرض • وبينما كان يستعد فى قيليقية لاستخدام القوة ضد الصليبيين فأجاه الموت وقضى على آماله • وهكذا ترتب على عدم قبول الصليبيين تنفيذ اتفاقية عام ١١٣٧ م تمزيق الحلف الصليبى البيزنطى الفرنجى نهائيا ، وحلت محله عداوة شديدة بين الطرفين •

استطاع الامبراطور حنا كومنين بما أوتى من قوة عسكرية أن يحد من خطورة سلاجقة الروم وأمراء بنى دانشمند فى آسيا الصغرى ، وقد أعلن حنا كومنين الحرب الصليبية لمواجهة القوة المتزايدة لأمـراء بنى دانشمند ، ولم يستطع الامبراطور البيزنطى أن يتفرغ تماما للقوى الاسلامية فى آسيا الصغرى ، ورأى ضرورة فرض السيادة البيزنطية على القوى الصليبية فى بلاد الشام ، ولا شك فانه كان من المستحيل على الامبراطور حنا كومنين طرد القوى الاسلامية من آسيا الصغرى حتى فى حالة تفرغه تماما لهذه المهمة .

اتسمت العـلاقة بين البيزنطيين والأرمن بالعـداوة والكراهية الشديدة وتعرض الأرمن للاضطهاد العنيف من قبل أباطرة بيزنطة ، لذلك رحب الأرمن بقدوم الصليبيين الى الشرق الأدنى وتعاونوا معهم ، وكانوا يهدفون من وراء ذلك العمـل الى تثبيت دولتهم الجديدة فى قيليقية ولكن البيزنطيين لم ينسوا أن الأرمن استولوا على جزء كبير من قيليقية ، واعتبر الامبراطور حنا كومنين استعادة قيليقية أمرا حيويا بالنسبة لأمن الامبراطورية وخاصة بعد أن قامت الامارات الصليبية فى بلاد الشام ، لذلك هاجم الامبراطور الأرمن وتمكن من استعادة قيليقية للامبراطورية مرة أخرى ، ويرجع سبب استيلاء حنا كومنين على قيليقية بسهولة الى الخلافات الداخلية بين أمراء الأرمن وعدم تقديم مســاعدة قوية من قبل الصليبيين . وأدت العداوة التى اشتعلت بين البيزنطيين والصليبيين الى عدم وجود تعاون بين الطرفين ضد عماد الدين الأمر الذى أدى الى سقوط الرها فى أيدى المسلمين فى عام ١١٤٤ م ، وكان ذلك بداية النهـاية بالنسبة الحركة الصليبية فى الشرق الأدنى .

ملاحق الكتاب

ملحـــق رقم (١)

نص اقتراح أحد ضباط ريموند دى بواتيه العائدين بعد مقـــابلة الملك فولك بالقرب من حصن بعرين لدخول مدينة أنطاكية التى كانت محاصرة بواسطة جيوش حنا كومنين[1] ٠

« من المعروف لدى الجميع أن اليونان يتميزون بالحكمة ويفوقون الأمم كلها فى الخطابة ٠ لكن تعوذهم الشجاعة والجرأة عند الشدائد ٠ لذلك يا زملائى الجنود المخلصون والأبطال الشجعان أرجوكم أن تقبلوا نصيحتى ٠ اتخذوا ســـلاحكم واحملوه وكأنكم من رجال الامبراطور وتقدموا صامتين حتى مخيم الامبراطور نفسه عبر الوحدات اليونانية ، وعندئذ أعلنوا عن أنفسكم بصوت مرتفع على مسمع من الامبراطور وبينوا لهم من أنتم بكل ما لديكم من شجاعة » ٠

(1) Ordric Vitalis : Historia ecclesiastica, t. 188 p. 964.

انظر الفصل الثانى ٠

ملحق رقم (٢)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى ريموند دى بواتيه أمير انطاكية عند اجراء المفاوضات فى عام ١١٣٧ م حول مشكلة أنطاكية .

« ان مدينة أنطاكية تابعة للامبراطورية البيزنطية ثم أن الأمير بوهيمند تعهد لأبى وأكد هو وجميع أمراء الغرب أنه سيعيدها الى الامبراطورية . لذلك فانى أسألك الآن وأنت الممسك بزمام الحكم بتنفيذ هذا العهد وأطالبك باعادة المدينة المغتصبة »[١] .

(1) Ordric Vitalis : Historia ecclesiastica, t. 188 p. 965.

انظر الفصل الثانى .

ملحـــق رقم (٣)

نص رد ريموند دى بواتيه ، على الامبراطور حنا كومنين .

« ليس من شأنى أن أناقشك فى شروط أملاها أسلافى ، انى تلقيت هذه المدينة من ملك القدس مع ابنة الأمير وبايعتـــه كسيد لى ، وانى سأعرض عليه اقتراحكم وأتبع فى كل شىء ما يمليه من آراء ولا أتخذ أى خطوة فى هذا الشأن من غير أن استشيره »[1] .

---

(1) Ordric Vitalis : op. cit., p. 965.

انظر الفصل الثانى .

ملحق رقم (٤)

نص رد فولك ملك بيت المقدس على ريموند دى بواتيه أمير أنطاكية :[1]

« انى عاجز عن نجدة بنى جلدتى ، انى بسبب الحر[2] والهموم والمتاعب التى اعترتنى وبسبب الغذاء غير الملائم الذى ما زلت أتناوله وأنا سجين فى هذه المنطقة أصبت أنا ورجالى بالأمراض . لذلك فانى لا أقبل أن يدخل ابن خالتى (ريموند) فى المعركة فاقبلوا عذرنا هذا وقولوا لسيدكم من قبلى أن يعقد سلما مع الامبراطور . ويقبل منه ويأمر منى المدينة التى هى حق له (أى حق للامبراطور هنا) ويحكمها بالقانون »[3] .

---

(١) انظر ما سبق الفصل الثانى .

(٢) تعرض الصليبيون فى منطقة الشرق الأدنى لمتاعب كثيرة بسبب اختلاف المناخ وأيضا بسبب الطعام وأصيب كثير منهم بالأمراض .

(3) Ordric Vitalis : op. cit., p. 965.

ملحـق رقم (٥)

نص حـديث الامبراطور حنا كومنين وهو على فراش المـوت بمعسكره فى منطقة قيليقية :[١] .

« عندما أحس حنا كومنين بدنو أجله بدأ يفكر فيمن يخلفه على عرش الامبراطورية ، وفى يوم عيد الفصح تناول القربان وأمر بفتـح الأبواب وسمح أن يدخل اليه من يشاء فيطلب ما يشاء وفى اليـوم التالى وزع على الفقراء ما لديه من طعام وأمر بابعاد المستشارين ، ثم استدعى أقاربه وأصدقاؤه والأعيان وجاء معهم مانويل ابنه الصغير، فقال الامبراطور حنا :

انى لم أت الى سوريا لأصل لهذه الحالة التى ترونها يا سادة ، بل كنت أرجو التفوق على حظ اسلافى وأصل الى الفرات واغتسـل وأشرب منه ، والى دجلة أيضا فأقهر أعدائى بالسلاح ثم أعـود الى قيليقية وأحيد على الهجريين[٢] وأطير كالنسر الى فلسطين حيث صليب المسيح وأصعد الى جبله كما يقول المزمور ، وأهاجم جميع الأعداء الذين حوله الذين احتلوه بالقوة ، ولما لم يتحقق أملى فلا فائدة من الاصرار ونكران الواقع ومن يدرى قصد الله تعالى . لأن تفكير الانسان سىء ، أما مشورة الرب فلا تسقط ، ولـما كانت النعم التى نلتها لا تحصى ولا تعد فانى أشكر الله عليها أمامكم . خلفت والدى فى الامبراطورية ولم أفقد شيئا مما سلمنى ، وتصرفت فى الأمانة كما يجب ، وانى أسلمها الى غيرى . لقد حاربت فى الشرق والغرب وهاجمت كل البلدان ، ولم أمكث فى البلاط الا قليلا ، وقضيت معظم عمرى فى المعسكر والأرض التى أنا فيها تشهد بذلك . لقد مضى وقت طويل لم يشهد فيه الفرس

---

(1) Nicetas, Ch. : Historia p. 55 - 61 in Corpus.

(٢) يقصد بالهجريين المسلمين .

والعرب الجيوش الرومانية أما الآن وبعونه تعالى فقد سلمونا مدنا كثيرة تخضع الآن لنا فيا ليت أنال الجزاء السماوى الذى يمنحه الله للودعاء . وليمنحكم الله القوة ضد كل من يريد الحــرب ، والذين لا يعترفون بالهنا وذلك يتم اذا أطعتم الله وتوكلتم على قوته واخترتم حاكما مناسبا لأن الدولة تصلح بالحاكم الصالح وتفسد بالحاكم الفاسد وأسمعونى الآن بالنسبة للخلافة لقد ورثت الملكة عن والدى وأراكم ميالين الى ابنى مانويل وقد فضل اسحاق على اسماعيل وعيسى على يعقوب وداود على أخوته لأن الله لا يتصرف كالناس بل ينظــــر الى القلوب ، لذلك أنا أيضا أتبع طريقه ، ولو تولى الحكم الابن الأكبر لمـــا احتجنا الى كل هذا الكلام ، لكن بما أن الخلافة لمانويل فلابد من ذكر بعض الكلام ، فان الناس تختلف فى طباعها وتصرفاتها ، وكذلك أبنائى لكل طباعه وتفكيره ، كلاهما لديه اللياقة البدنية اللازمة ، غير أن مانويل الأصغر يبدو لى أصلح الى الحكم اذ أن اسحاق سرعان ما يغضب لأى سبب ويفقد صوابه لأقل الأسباب ، أما الآخر فانه ليس كذلك ويتبع طريق العقل . لذلك فانى أرى أن يصــبح مانويل امبراطورا فاقبلوه لرضايا ورضا الله على ذلك ، وهناك نبؤات كثيرة تثبت أن الحــــكم لمانويل »[1] .

---

(1) Nicetas, Ch. : op. cit., p. 55 - 61.

ملحق رقم (٦)

كتابة قبر[1] للسيد حنا كومنين المنتصر المعظم البورفيروجنيت[2]

« أنتم أيها الملوك المتعالون والقادة وجميع ذوى المناصب تعلموا منى تقلبات الدهر فتزدانوا بروح التواضع ، لأنكم ستموتون[3] وأنتم ضحايا هذا الدهر الفانى .

لقد خلفت عدة ملوك ولى الفخر أن أكون من آل كومنين ودوكاس، فكان والدى الكسيوس كومنين الذى لم يعل عليه أحد فحكم ايطاليا بعزم وحارب الكلتيين والسكتيين والفرس ثم جللنى بالأرجوان علامة الملك منذ نعومة أظافرى ، كما أن حبى لاحراز النصر فى الحروب جعلنى أحب الفرس والجعبة . ثم تعلمت استعمال السيف ذى الحدين وصيد الوحوش فغلبت بالحربة دبا وقهرت بالسهام فهدا . وانتصرت على برابرة مدججين بالسلاح . انى لا أريد أن أفتخر بانتصاراتى . لقد حاربت بعونك أيها المسيح الأعداء فاستوليت على عدد كبير من مدن الفرس وحاصرت قلاعا منيعة فذللت رقاب ولاة متكبرين . لقد بسطت سلطانى بالسيف الى ما وراء نهر هاليس نفسه بعد أن خضع لى . لقد

---

(1) Prodrom os, T. : p. 1392 - 95, t. 133 in M. P. G.

(٢) لقب من ألقاب الشرف والتعظيم كان يطلق على حنا .

(٣) ناقش المؤرخ روبرت براونج موت الامبراطور حنا كومنين فى مقال كتبه حديثا وتوصل الى أن موت حنا كومنين لم يكن بسبب حادث الصيد(*) ، وانما مات الامبراطور بيد أحد أعدائه(**) . ونميل الى تأييد رأى براونج ذلك لأن كتابة قبر حنا كومنين التى استخدمناها فى بعض أجزاء البحث ، وكتبت بعد موت حنا مباشرة لم تشر من قريب أو بعيد الى موت حنا كومنين أثناء حادث صيد .

(*) انظر : ما سبق الفصل الثانى ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(**) Browing. R. : The death of John 11 Comnenus, p. 228 - 35.

خافت وحوش غزة من قبضتى ، وكذلك خافنى الفرس وبنو اسماعيل ، لقد حطمتهم بالحديد ، وقضيت على قبائل السكتيين قضاء تاما ، أنت الذى وجهت سيفى أيها المسيح فحنى أهل داسيا أعناقهم تحت قدمى وتعرض أهل دالمشيا لتوعدى صاغرين ، وأدار نهر أستير ظهــره لى أنا المنتصر وحمل مراكبى على أمواجه اللينة بفضل من هذا كله سواك أيها المسيح ؟ لم يمض على يوما واحدا بلا عذاب ولا ليلة واحــدة قضيتها بلا أنين ، لقد تحملت حر أيام الصيف وتعرضت للثلج والجليد وجبت الأرض طول عمرى بقدم لا تكل ، تارة أتجه نحو الجنوب ، وطورا أعرج نحو الشرق والغرب ، وكثيرا ما قدت الجيوش الايطالية، لم أنفك أسعى لتوسيع رقعة الامبراطورية ، غير أنى لم أرفض قط أن أقوم بدور الجندى البسيط وأطعن العدو بالسهام حيث ترجح كفــة المعركة ، انه لأسهل على انسان ما أن يحدق بشعاع الشمس دون أذى من أن يقص جندى بربرى مآثرى العظيمة ، لقد جربت جميع الحيــل والطرق فى الفنون الحربية فقاتلت برا وبحرا وهدمت الأسوار وسويته المدن بالأرض وفتحتها بالمجانيق المصنوعة من الدروع وبالأنفــاق ، تشهد لى قسطمونى المدينة المنيعة المحصنة بالأسوار والأبراج ، تشهد لى جانجرا التى تنطح تحصيناتها السحاب والتى جرؤت أســوارها المصنوعة من الحديد والنحاس على مقاومة آلاتى الحربية المصنوعة من خشب ، ولكن لم اطالة الكلام ، لقد هزمت فرقا كاملة بمجرد صيتى متكلا على حسن توفيقك أيها الكلمة[1] ، كيف ؟ ان مجرد سماع اسم كومنين يقذف بالأعداء ويجرفهم كالعاصــفة الى مقر الموت ، وقمــت بجميع الأعباء والمهمات على مثال والدى بلا كبرياء ، وكيف أخــفى الحقائق ؟ لقد دفعت حدود روما الجديدة نحو الشرق الى ما وراء نهر هاليس كما تقدمت بها الى ما وراء البحر والدانوب نحو الغرب ،

هذه هى يا عابرى السبيل المآثر التى حققتها فى حياتى ، لقــد

---

(١) المســيح ،

عدت الآن الى الظلام والتراب بعد أن مجدت ربى الذى توجنى وحافظت على مدينة روما • فيما يخص زواجى الشرعى وأولادى فليس من السهل أن يضاهينى أحد فى ذلك • اذ أنى انجبت من زوجة من أهل الغرب ثمانية من الأولاد أربعة من الذكور الأقوياء الأشداء رزقتهم وأنا على عرش الامبراطورية وكذلك من البنات بنفس العدد • وبعد أن جعلت أقطارا لا تحصى تخضع للامبراطورية الرومانية مكثت ههنا تحت هذا الحجر الصغير البارد • كنت يوما ملك الشرق والغرب دخلت الآن نعش الظلام ولم يستطع الأرجوان رد الموت عن وجهى • وأنت أى كنت اذا ما شاهدت رفاتى فان لم تكن لديك تعزية أخرى فاذكرنى فى صلواتك •

المصادر والمراجع

أولا : المصادر غير العربية :

1) Anna Comnena : The Alexiad, London 1967.

2) Anne Comnene : Alexiade, Paris, 3 tomes 1943 - 1945.

3) Anonymous : Syriac Chronicle.
The first and second crusades (tran. by Tretton. S. with notes by Gibb. H. R. R.) in J. R. A. S., London 1933.

4) An account of a rare Mancript History of the Seljuks in J. R. A. S. London 1902. (ed. by Browne Edward).

5) Asolik de Taron : Histoire universalle (traduite de L, Armeniens par Macler) Paris 1917.

6) Albert d, Aix :
Liber Christiane expeditionis proerectione, emundatione et restitutione sancte Hierosolymitane ecclesie (Hist. occdes croisades, t. IV).

7) Bar Hebraeus : Gregory, Abulfaraj : The Chronography, Vol. 1, Political History (ed. with english trans, by A. Wallis Budge) oxford 1932.

8) Bryennus N. Commentarioum, in corpus scriptorum Historiae Byzantinae. Bonn 1836.

9) Baurdric, eveque de Dol :
Historia jerosolimitana, in R. H. C. occ. Vol. IV Paris 1879.

10) Cartulaire de la Chancellerie Royale des Roupeniens (Pablie par victor Langlois) Venise 1863.

11) Chroniqne de Michel Le Syrien Patriarch d, Antioche 1166 - 1199 (Traduite par Chabot) Paris 1905.

12) Chroni que de Zimmern :
(ed par. H. Hagnemeyer) dans Archives de L, Orient Latin. t. 2 Paris, 1884.

31) Chroniqne Rimee de la petite Armenie : in R. H. C. Doc. Arm, t. 1, Paris 1869 - 1906.

41) Chroniqne de Gregoire le Pretre in R. H. C. Doc Arm, t. 1 Paris, 1869 - 1906.

15) Cinnamos J. :
Epitome Historiarum in Corpus scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn 1836.

16) Dulaurier :
In R. H. C., Doc, Arm, t. 1.

71) De vitry Jucques :
The History of Jerusalem Vol. XI. Tron from the original latin by Aubrey Stewart, London, 1896.

18) Documents Relatifs a successibilitè au trone et a la regence. Assise de Jerusalem t. 11 Paris 1841 - 1843.

19) Ephraemius :
De Joanne Comneno : in corpus Historiae Byzantinae Bonn, 1840.

20) Ekkehard of aura :
Hierosolymita in R. H. C. occ. Vol. 5.

21) Fabri Felix :
The Book of wandering, 2 vols, 4 parts, tran. by Aubrey stewart. London, 1893.

22) Fulcher of Charters :
A History of the Expedition to jerusalem 1095 - 1127 (edited by Harold. S. Fink) America 1969.

23) Guiragos de Kantzag :
Histoire d, Armenie, Extrait, cf, in R. H. C. Doc, Arm, Paris 1869.

24) Goodacre, H. :
Handbook of the Coinage of the Byzantine empire London, 1971.

25) Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum (ed. by Rosalind Hill) London 1962.

26) Hell. N. : Unedierte Texte aus der Keit d. Kaisers Johannes Komnenos, in BZ, t. VIII, 1911.

27) Hamd Allah Mustawfi of Qazwin :
Etrait du Tarkish Guizedeh (Traduit par M. defremery) in J. A., 1848, t. XII, et 1849, t. XIII.

28) Hethoum. Comte de Gorigos :
in R. H. C. Doc, Arm, t. 1.

29) Hagnmeyer :
Chronologie de la premiere croisades 1094 - 1100 et chronologie de L, histoire du Royuame de Jerusalem, 1101 - 1118, Archives L, orient latin societ de 1, orient latin 1881 - 84.

30) Ludolph von suchem's :
description of the Holy land, translated by Aubrey stewart, Vol. XII, London, 1895.

31) Les monais; A Legendes de la dynesty Turque des fils du Danichemend. Suite aux Recents Travaux de M. M. de sallet et le D.A. Mordtmann de constantinople dans Revue Archeologique 1880.

32) Michel Psellus :
The Chronographia af Michel Psellus (trans from Greek by E. R. A. Sewter) London 1953.

33) Matthieu d, Edesse :
Histoire d, Armenie extrait cf in R. H. C. Arm Doc, Arm, t. 1.

34) Moravcsik. G. :
Byzantino turcica 1, die byzabtinischen queellen der Geschichte der Turkervolker, Bodapet 1942.

35) Making Crusades :
Texts trans by Enid, Mcleod, London, 1962.

36) Michaelis Glycae :
Par quinta Excerpta Minora in R. H. Grecs, V. 1.

37) Nicetas, Ch. :
Historia in Corpus scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn 1835.

38) Nicephore Gregoras :
Pars quinta Excerpta minora Extrit in R. H. Grecs V. 1.

39) Numismatique de L, Orient Latin :
Pablie Par Gustave schlumberger Paris 1878.

40) Ordric Vitalis :
Historia Ecclesiastica in Patrologiae Latinae Cursus Completus, t. 188.

41) Pilgrimage of the Rusian abbot daniel in the Holy land, tran. from the original latin by Aubrey stewart, London, 1888.

42) Prodromos Theodore :
in Patrologiae graecae cursus completus, t. 133.

43) Robert Le Moine :
in R. H. C. occ tome 3.

44) Raoud de Caen :
Gesta Tancred in R. H. C., Occ., tome, 3.

45) Raimund d, Agilers :
Historia Francorum qui ceperunt jherusalem in R. H. C. occ. t. 3 Paris 1884.

46) Roger of wendover :
Flowers of History, Tran. from the latin by J. A. Gilles, Vol. 1, London 1849.

47) Sempad Le Contable :
Chronique du Royaume de la Petite Armenie Extrait, cf, R.H.C. Doc, Arm, t. 1.

48) Sigurd The Crusader :
Early traveles in Palestine, London 1848.

49) Saewulf :
Early Traveles Vol. 4, London, 1869.

50) Tudeodus :
Historia, Peregrinsrum, in R. H. C., Occ, V. 3 ?

51) Une Nauvelle Monnaie a Legende Greque des Emirs danichm-endides de cappadoce. Paplie par, Schlumberger, dans Melanges d, Archeologie, Byzantine d, apres Revue Numismatique francaise de 1887 Paris 1895.

52) Vahram d, Edesse :

Chronique des rois de la petite Armenie in R. H. C., Doc, Arm., t. 1.

53) Vardan : V. :

Le Domination Arabe en Armenie Extrait de L. Histoire universalle de vardan (tr par Muylderman) Paris 1927.

54) William Archbishop of Tyre :

A History of deeds done beyond the sea, 2 Vols tran. by Emily Atwater Babcock and A. C. Kery New York 1943.

55) Zonaras, J. :

Epitome Historiarum in Corpus scriptorum Historiae Byzantinae Bonn 1841 - 1897.

ثانيا : المصادر العربية :

١ ــ المخطوطات :

١ ــ ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد ت ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٣ م • بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٢٣ •

٢ ــ ابن الفرات : ناصر الدين محمد محمد بن عبد الرحيم بن على ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥ م • تاريخ الدول والملوك ، مخطوط مصور بدار الكتب ، رقم ٣١٩٧ الأول ، والثالث تاريخ •

٣ ــ ابن الجوزى : أبو محمد يوسف سبط الشيخ أبو الفرج عبدالرحمن ت ٦٥٤ مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط مكتبة الجامعة الأمريكية رقم ١٥٢ •

٤ ــ أسامة بن منقذ ت ٨٥٤ هـ •
لبلب الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٩١٨ أدب •

٥ ــ سبط بن العجمى الحلبى : موفق الدين أبو ذر أحمد بن ابراهيم
كنوز الذهب فى تاريخ حلب جـ ١ رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور •

٦ ــ العينى : بدر الدين محمود الحنفى : ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ •

٧ ــ النوير : شهاب الدين أحمد : ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢ م •
نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٤ ، جـ ٢٥ مخطوط بالتصوير الشمسى بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة •

٢ ــ المصادر المطبوعة :

١ ــ ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على الجزرى ت ٦٣٠ هـ :
الكامل فى التاريخ الجــزء الثامن والتاسع والعاشر القــاهرة ١٣٥٧ م •

٢ــ التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية : القاهرة ، ١٩٦٣ م •

٣ ــ ابن أيبك : أبو بكر عبد الله ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢ م :
كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٦ ، القاهرة ١٩٦١ •

٤ ــ ابن الشحنة : محمد بن الشحنة الحلبى الحنفى ٨٥٠ هـ/١٤٤٦م
الدر المنتخب • بيروت ١٩٠٩ م •

٥ ــ ابن العبرى : غريغوريوس أبى الفرج بن أهــرون الطبيب ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م
« تاريخ مختصر الدول » ، بيروت ١٨٩٠ م •

٦ ــ ابن العديم : كمال الدين عمر أحمد العقيلى ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢ م
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، بيروت ١٩٥٤ ــ ١٩٦٨ م ،

٧ ــ منتخبات من تاريخ حلب مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية جـ٣•

٨ ــ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨١ م :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ط تحقيق د• حسان عباس، بيروت ١٩٦٨ •

٩ ــ ابن القلانسى : أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م •
ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م •

١٠ ــ ابن كثير القرشى (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م) : عمــاد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر :
البداية والنهاية فى التاريخ جـ ١٢ ــ القاهرة ١٣٥١ ــ ١٣٥٨هـ•

١١ ــ ابن واصل : القاضى جمال الدين ت ٦٩٧ هـ :
مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب : تحقيق د• الشيال جـ ١ القاهرة ١٩٥٣ •

١٢ ــ أسامة بن منقذ : ت ٥٨٤ هـ :
كتاب الاعتبار : الولايات المتحدة ١٩٣٠ م نشر فليب حتى •

١٣ — أبو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى ت ٦٦٥ هـ : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ القـاهرة ١٩٥٦ م .

١٤ — أبو الفداء : الملك المؤيد اسماعيل بن على ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ القاهرة ١٣٢٥ هـ .

١٥ — الأدريسى : أبو عبد الله محمد بن محمد الأدريسى ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥ م : نزهة المشتاق فى اختـراق الآفاق ، مدينة ليـدن المحروسة بمطبعة بريل ١٨٦٦ م .

١٦ — الأنصارى شمس الدين أبى عبد الله محمد ت ٦٢٧ هـ/١٢٥٦ م نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر . بطرسبورج ١٨٦٥ م .

١٧ — العظيمى : محمد بن على بن محمد أبو عبد الله التنوخى الحلبى ت ٥٥٦ هـ/١١٦١ م :
تاريخ العظيمى ، نشر لندن ١٩٣٨ (Cahen, J. A.) .

١٨ — القلقشندى : ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م أحمد بن على بن أحمد عبدالله (صبح الأعشى فى صناعة الانشا) ١٤ جزء القاهرة ١٩١٣ — ١٩٢٠ م/١٣٣١ — ١٣٣٨ هـ .

١٩ — القزوينى : زكريا بن محمد ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م :
آثار البلاد وأخبار العباد . بيروت ١٩٦٠ م .

٢٠ — المقريزى : تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ
السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ نشر الدكتور زيادة القـاهرة ١٩٣٤ .

٢١ — اليافعى : أبو محمد عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨ هـ .
مرآة الجنان : بيروت ١٩٧٠ .

٢٢ — ياقوت الرومى الحمـوى : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الملقب شهاب الدين ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م :
معجم البلدان ٥ أجزاء وفهرس ليبزج ١٨٩٠ م .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1) Adontz. N. : Notes Armeno- Byzantines, in Byzantion tome, X, 1935.

2) Aslan. K. :
Etudes Historiques sur le peuple Armenien Paris 1930.

3) Ahrweiler. H. :
Byzance et la mer Paris 1966.

4) Browing, Robert :
The death of John 11 Comnenus Byzantion t. XXXI, 1961.

5) Bailly. A. :
Byzance Paris 1939.

6) Brehier, L. :
Vie et mort de Byzance Paris 1947.

7) L, eglise et 1, orient au Moyen Age, Paris 1928.

8) Cahen. C. :
La Syrie du Nord au temps des croisades 1940.

9) Pre Ottoman Turkey. London 1968.

10) Cartis, E. :
Roger of sicily, New York 1912.

11) Chalandon. F. :
Essai sur le regne d, Alexis 1 er Comnene (1081 - 1118) Paris 1900.

12) Histoire de la premiere croisades, Paris 1925.

13) Cambridge Medieval History London, 1923.

14) Conder. C. R. :
The Latin Kingdom of Jerusalem 1099 - 1291, London 1897.

15) Charanis. P. :
Byzantium the west and the origin of the first crusade in Byzantion, Vol. XIX 1950.

16) Greek source on the origin of the first crusade in Speculum, Vol. XIV. 1949.

17) The monstic properties and the state in the Byzantine empire in D. O. P. Washington 1948.

18) Armenians and Greeks in the Byzantine empire in Armenian review, Vol. 25, 1972.

19) Dodu. G. :
Histoire des institutions monarchiques dans le Royaume Latin del Jerusalem, Paris 1894.

20) Dedeyan. G. :
L, Immigration Armenienne en Cappadocia au XI e Siecle Byzantion, 1975 t. XLV.

21) Davis. R. :
Relations between east and west in the Middle ages . Great Britain 1973.

22) Diehl C. :
History of the Byzantine empire princton 1925.

23) Elisseef. N. :
Nor Ad-Din un grand prince Musulman de syrie au temps de croisades, tome 11 Damas, 1967.

24) Finlay :
Hist. of the Grecs from its conquest by the Roman to the present time Vol, 111 Oxford, 1877.

25) France J. :
The Crisis of the first crusade from the defeat of kerbogah to the departure from Arqa Byzantion t. XL, 1970.

26) Franzius. E. :
Hist of the Byzantine empire mother of nations New York 1967.

27) Gottwald. J. :
Les faits principaux de L,histoire Byzantine par chronologique, Constantiople, 1911.

28) Grousset, R. :
Histoire des croisades - 3 tomes Paris 1934 - 36.

29) L, Empire du Levant Histoire de la question de L, Orient Paris 1946.

30) Hussey. J. M. :
The Cambridge Medieval history - the Byzantine empire Byzantium and its neighbours, Vol. 4 Part 1, Cambridge 1966.

31) The Byzantine World America 1961.

32) Heyd. W. :
Histoire du commerce du levant, t. 1 Leipzig 1923.

33) Hugh, J. and Laurita L. :
The Convention of Alexius Comnenus and of saint Gilles in A. H. R. New York 1953.

34) Iorga, N. :
Brieve histoire des croisades et des leur fondation en terre sainte Paris, 1924.

35) Jonanson. E. :
The Problem of the spurious letter of Emperor to the count Flander in A. H. R. Vol., LV, New York 1950.

36) Kyriakis. M. :
Poor Poets and starving literati in twelfth century Byzantien, Byzantion XLIV, 1974.

37) Kolias. G. :
Le Motif et les Raisons de l,invasion de Robert Guiscard en territoire Byzantine Byzantion, t. XXXI 1966.

38) Le Bas. M. Ph et Cheron. M. :
Asie Mineure depuis les temps les plus Anciens jusqu A la Bataille d, Ancyre en 1402, Paris 1878.

39) Levtchenko. M. V. :
Byzance des Origines A 1453 (tr. Par Piere Mabille Paris 1949.

40) Le Beau. Ch. :
Histoire du Bas empire, tome, 9, Paris 1870.

41) Laurent. J. :
Byzance et le Turcs seljoucides dans 1, Asie Occidental jusqu, en 1081 Paris 1913.

42) Byzance et Les Origines du Sultanant de Rum, in Melanges, Ch, Diehl Paris 1930.

43) Armeniens de Cilicie dans schlumberger Melanges offerts Paris 1924.

44) La Monte. J. L. :
(to what extent was the Byzantine empire the suzerain of the crusading states) Byzantion, V. VII 1932.

45) Mardtmann. J. H. :
Kastamoni in Ency de 1, Islam, t. 2.

46) Macler. F. :
La notion Armenienne. Paris 1924.

47) Mccabe J. :
The empresses of Constinople, London 1913.

48) Morgan. J. :
Histoire de peuple Armenien Paris 1919.

49) Michaud. M. :
Histoire des Croisades, t. 1, Paris 1816.

50) History of the Crusades, 3 vols (trans by W. Rosbson) London 1963.

51) Miller W. :
Essays on the latin orient cambridge 1924.

52) Mayer. H. E. :
Queen Melisende of Jerusalem Dumbrton Oaks papers columlia 1972.

53) Matthieu M. :
Cinq poesies Byzantines des XIe et XII e siecles Byzantion t. XXII 1953.

54) Ostrogorsky G. :
History of the Byzantine state oxford 1956.

55) Pour, L, Histoire de 1, immunite A Byzance, Byzantion, t., XXVIII, 1958.

56) Pasdermadjian H. :
Histoirede 1, Armenie depuis les origines jusqu au traite de lausanna Paris 1964.

57) Ramsay :
The Historical geography of Asia Minor Amsterdam 1962.

58) Riant P. :
Inventaire critique des lettres Historiques des croisades dans Archives de 1, orient latin, t. 1. Paris 1881.

59) Rey, E. :
Les colonies Franques de syrie Paris 1883.

60) Resume Chronologique de 1, histoire Princes de Antioche, dans Revue d, L, orient latin Paris 1896.

61) Runciman S. :
History of the crusades, 2 vols Cambridge 1951 - 54.

62) The eastern schism Oxford 1955.

63) The Byzantine Protectrate in the Holy land in the eleuenth century, the Byzantium. 1948.

64) Setton K. M. :
History of the crusades 2 Vols philadelphia and London, 1955 - 1969.

65) Stevenson. M. :
The Crusaders in the East. Bierut 1968.

66) Sherrard P. :
Byzantium, Holland, 1966.

67) Tabbot. T. :
The seljuks in Asia Minor, London 1961.

68) Toumanoff. G. :
Foundation of lesser Armenia, in Cam. Med. His. Cambridge 1936.

69) Tournebize F. :
Histoire politque et religieuse de 1, Armenie Paris, 1900.

70) Vasiliev. A. A. :
History of the Byzantine empire madison, 1952.

71) Vryonis. S. :
The decline of Medieval Hellenism in Asia minor 1971.

72) Wittek. P. :
Deux Chapitres de 1, histoire des Turcs de Rum, Byzantion, 1936.

73) Encore L, Epitaphe d, un Comnene A Konia in Byzantion. t. XII, 1937.

74) Watter. G. :
Le vie quotidienne a Byzance au siecle des comnenes, 1081, 1180, Paris 1866.

75) Yanoski J. :
Syrie Ancienne et Moderne Paris 1848.

رابعا : المراجع العربية :

١ — أنطون خانجى :
مختصر تواريخ الأرمن • أورشليم ١٨٦٨ م •

٢ — أسد رستم : دكتور :
الروم فى سياستهم وحضارتهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزءان ، بيروت ١٩٥٦ م •

٣ — استارجيان : دكتور :
تاريخ الأمة الأرمينية الموصل ١٩٥١ م •

٤ — جوزيف نسيم يوسف : دكتور :
العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، القاهرة ١٩٦٧ •

٥ — حسين مؤنس : دكتور :
نور الدين محمود : الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٩ م•

٦ — سعيد عبد الفتاح عاشور : دكتور :
الحركة الصليبية جزءان ، القاهرة ١٩٦٣ م •

٧ — تاريخ أوربا ، العصور الوسطى ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٨ •

٨ — بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٧ •

٩ — سركيس :
معجم المطبوعات العربية ، جزءان ، القاهرة ١٩٢٩ م/١٣٤٧ هـ•

١٠ — السيد الباز العرينى : دكتور :
مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ •

١١ ـــ عماد الدين خليل : دكتور :

عماد الدين زنكى ، بيروت ١٩٧١ م .

١٢ ـــ عمر كمال توفيق : دكتور :

تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، اسكندرية ١٩٦٧ .

١٣ ـــ عبد المنعم ماجد : دكتور :

العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، بيروت ١٩٦٦ .

١٤ ـــ فتحى عثمان :

الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى جزءان ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٥ ـــ محمد كرد على :

خطط الشام الجزء الأول ، دمشق ١٩٢٥ .

١٦ ـــ ارشيبالد . ر. لويس :

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٥٢ .

خامسا : مجموعات ودوريات :

— A H R : American Historical Review.

— A O L. Archives L, Orient Latin society de L, orient Latin, 2 vols, Paris 1881 - 1884.

— Byz : Byzantion.

— C S H B : Corpus scriptorum historiae byzantinae. eds. B. G. Niebuhr, imm. Bekker, and others, 50 vols, Bonn, 1828 - 1897.

— D O P Dumberton Oaks papers center for Byzantine studies. Trustees for Harvard universty, 1972.

— Hagnmeyer, «Chronologie» Heinrich Hagnmeyer, chronologie de la premiere croisades 1094 - 1100.
R O L VI - VII et chronologie de 1, histoire du Royuame de jerusalem, 1101 - 1118, R o I, IX - XII (1902 - 1911).

— J R A S Journal of Royal Asiatique society.

— P P T S : Palestine pilgrims text society 13 vols and index London 1896 - 1897.

— R O L : Revue de 1, orient latin, 12 vols, Paris 1893 - 1911.

— R A : Revue Archeologique.

— R H C Recueil des Historiens des croisades pabli par soine d, Academie des inscriptions et bell lettres, Paris, 16 Vols, 1841 - 1906.
1) Historiens Occidentaux, 5 Vols. 1841 - 1895.
2) Historiens Orientaux, Arabes, 5 Vols 1875 - 1906.
3) Historiens grecs, 2 Vols 1875 - 1881.
4) A R M : Documents Armeniens, 2 Vols 1869.
5) Assises de Jerusalem, 2 Vols. 1841 - 1843.

— M P G : Patrologiae graecae cursus completus ed. J. P. Migne, 161 Vols, Paris 1857.

— M P L : Patrologiae Latinae cursus complitus ed. J. P. Migne, 221 Vols.

— Speculum.

— ❋ —

المحتويات

رقم الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

* * *

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨١/٤٥٩٤

